الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مُحَمَّد لمين دباغين–سطيف2–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه

التخصص: قضايا لسانية وأسلوبية

إعداد الطالبة: **رحيمة رحاحلة**

الاتّساق والانسجام النّصي في سورة طه

المشرف: أ. د مُحَمَّد بوادي

جامعة: سطيف 2

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. أحمد مرغم	أستاذ	جامعة سطيف 2	رئيسا
أ.د. مُحَمَّد بوادي	أستاذ	جامعة سطيف 2	مشرفا ومقررا
د. زايدي بودرامة	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	ممتحنا
د. فطيمة زياد	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	ممتحنا
د. عبد المجيد قديدح	أستاذ محاضر أ	جامعة برج بوعريريج	ممتحنا
د. نوال منديل	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

2022-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أبي وأمي العظيمين

حبا خالصا ..احتراما وإجلالا أبديا

إلى إخوتي

سندا ..أحبة..

مقدمة

وقف الدّرس اللّساني منذ القديم عند حدود الجملة كونها أكبر وحدة قابلة للوصف النّحوي والتّحليل اللّساني، فنشأ ضمن هذه الحدود مدارس ونظريات مختلفة ومتعاقبة درست الجملة من أوجه متعددة، وظّل الحال كذلك ردحا من الزمن إلى أن ظهرت ملامح علم جديد يدرس النّص ككيان موحد في السّتينيات من القرن العشرين، وذلك عندما دعا الأمريكي "زليغ هاريس/Z.Harris" إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب المترابط سواء في حالة النطق أو الكتابة، وذلك منذ نشره لدراسة هامة بعنوان تحليل الخطاب Analyse du discours قام فيها بتحليل منهجي لبعض النصوص.

ثم تطورت تلك الإرهاصات في السّبعينيات من ذلك القرن على يد الهولندي "فان دايك/ van Dijk "الذي دعا إلى أهمية أن يشمل الوصف النّحوي العلاقات بين الجمل في المستويين السّطحي والعميق، وعدم الاقتصار على الوصف النحوي لتلك العلاقات أو ما يطرأ عليها من تغييرات في المستوى السّطحي فقط، كما اقترح في مؤلف له بعنوان "النّص والسّياق/ Le Texte et Le Contexte " تأسيس نحو للنّص يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد التي لها صلة بالنّص، بما في ذلك الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية.

عاصر "فان دايك/ van Dijk "لغويين آخرين ألفوا في علم النّص أمثال"هارفج/Harweg"و"شميث/Schmidt"،و"دريسلر/Dressler"،و"برنكر/Brinker"، غير أن الدّراسات النّصية لم تبلغ أوجها إلا مع اللغوي الأمريكي "روبرت دي بوجراند Robert /De Beaugrande" في الثّمانينيّات من القرن العشرين خاصة بعد أن وضع سبعة معايير تجعل من النص نّصا: السّبك والحبك والقصدية والمقبولية والمقامية والإعلامية والتّناص.

أفضت كلّ الجهود التي سبق ذكرها وغيرها إلى ظهور اتجاه جديد في البحث اللغوي يتضمن دعوة مهمة يقدمها أصحاب هذا المنهج الجديد تكمن في أهمية تجاوز حدود الجملة في التحليل اللغوي وهي دعوة لاشك في صحتها، ولكن هذا لا يعني أن نحو الجملة قد عفا عليه الزمن ولم تعد له أهمية بحسب ما يراه بعض المحدثين الغربيين ومن تبعهم، لأن المنهج الجديد نفسه لا يغفل الجملة بل ينظر إليها من خلال علاقتها بالجمل الأخرى المكونة للنّص، فضلا عن علاقاتها بالسّياق الذي أنتجت فيه. هذا العلم عرف بمسميات عدة منها: لسانيات النّص واللسانيات النّصية ونحو النّص،

والذي يبحث أساسا في تماسك النّصوص وتعالقها حتى تكون وحدة كلية تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

يُعد الاتّساق والانسجام من أهم المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة، ومن أهم القضايا التي لقيت اهتماما من علماء العرب والمسلمين، في دراستهم للنّص القرآني أو النصوص الأدبية، وتأسيسا على ما سبق جاءت فكرة موضوع هذه الأطروحة الموسومة:

الاتساق والانسجام النصي في سورة "طه"

وانطلاقا من الأهمية المعرفية والمنهجية لهذا الموضوع يمكن طرح الإشكالية العامة:

كيف تجلت أدوات الاتّساق وآليات الانسجام في سورة "طه"؟ وما دورها في تحقيق نصيتها؟ هذه الإشكالية تتفرع عنها عدة تساؤلات أبرزها:

1- ما الدوافع إلى الانتقال من وصف الجملة إلى مقاربة النّص في الدرس اللساني الحديث؟

2- ما أهم الجهود الغربيّة والعربيّة في مجال الدراسات النّصية؟

3- ما أدوات الاتّساق وآليات الانسجام للمنهج اللساني النّصي؟

4- ما دور الاتّساق والانسجام في تحقيق التّماسك النّصي في سورة "طه" ؟

وهناك أسباب كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع من أبرزها:

- رغبة الباحثة في دراسة اللسانيات النّصية ومعرفة أبرز أسسها، ذلك أن تطور علوم اللغة حديثا يفتح آفاقا جديدة للباحث تحفزه على المضي والإقدام، قصد الإطلاع على الأعمال الغربية بعد التعرف على التراث العربي والإسلامي.

يهدف هذا البحث إلى بيّان أهم دوافع انتقال الدرس اللساني من الجملة إلى النّص، والوقوف على أهم الجهود الغربية والعربية التي أدت إلى حدوث هذه النّقلة، ومحاولة الجمع بين نتائج الدراسات الغربية في مجال لسانيات النّص والبحث في اتساق النصوص وانسجامها، ونتائج البحوث العربية الاسلامية في كتب التفسير وعلم المناسبة .

يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي لأنه الأنسب لطبيعة الموضوع، إذ يسمح بوصف الظاهرة اللغوية وصفا شاملا، والبحث في وسائل تحققها، ودراسة أدوات الاتّساق والانسجام دراسة تحليلية لبيّان دورها في تحقيق التماسك النّصي في الأنموذج القرآني المدروس" سورة طه".

ولتحقيق ذلك جاء البحث مقسما إلى:

ثلاثة فصول بعد المقدمة والمدخل، وتتأخر عنهم خاتمة.

- **المقدمة**: وفيها حديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختيار الموضوع، هدف البحث، والمنهج الذي يمكن تطبيقه على الموضوع، عرض خطة البحث وأهم المصادر والمراجع.
- **المدخل**:معنون بـ: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص وفيه عرض للمسار الانتقالي في الدراسة اللسانية من الجملة إلى النص، ثم عرض موجز لبعض المفاهيم اللسانية النّصية : الجملة، والنّص ولسانيات النّص.
- **الفصل الأول**: معنون بـ: الدّراسات النّصية في التراث العربي، يتطرق إلى نظرة العرب القدماء إلى النّص ،بالإضافة إلى أهم محاولات الدّراسة النّصية التي تتجاوز حدود الجملة.
- **الفصل الثاني**: معنون بـ: الاتّساق والانسجام المفهوم والآليات وفيه تحديد لمفهوم الاتساق وآلياته الإجرائية، حيث اندرج في المستوى النحوي كل من: الإحالة والاستبدال والحذف والوصل، أما المستوى المعجمي فنجد التّكرار والتّضام، ثم تطرقنا لمفهوم الانسجام وآلياته: التغريض والسياق، بينما خصص آخر الفصل لآلية من آليات الانسجام ألا وهي المناسبة لما تحققه من انسجام دلالي وإن غاب ذكرها لدى علماء لسانيات النّص نظرا لطبيعة النّصوص المدروسة فقد نالت عناية كبيرة من قبل العلماء العرب أمثال البقاعي والسيوطي والزركشي .
- **الفصل الثالث**: مسمى بـ: الاتّساق والانسجام في سورة طه، فصل تطبيقي إجرائي خصص للتّحليل النّصي للمدونة (سورة طه) من خلال اتساقها وانسجامها المجسد بمختلف أدواته،فقد انتقيت سورة "طه" لتكون مجالا تطبيقيا للاتّساق والانسجام، في محاولة لإظهار مكامن النّصية فيها، من خلال أدوات الاتّساق التي جعلت من تشكيلها النّصي مترابطا قصد الوصول إلى الهدف الأخير هو انسجامها الدلالي.

- **الخاتمة:** حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها في البحث بشقيه النظري والتطبيقي.

أما قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث فقد تنوعت بين كتب عربية:تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، برهان الدين البقاعي:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دلائل الإعجاز للجرجاني، لسانيات النّص لمحمد خطابي، مدخل إلى علم لغة النّص ومجالات تطبيقه لمحمد الأخضر الصبيحي، علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات لسعيد حسن بحيري، علم اللغة النصي لصبحي إبراهيم الفقي.كتب مترجمة: النّص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande، علم النّص مدخل متداخل التخصصات لفان دايك van Dijk، تحليل الخطاب ليول وبراون، مدخل إلى علم لغة النّص "لفولفجانج هانيه مات Wolfgang haniyeh matt".

ولا يسعني في الأخير إلا أن أشكر الأستاذ المشرف مُحَمَّد بوادي الذي تفضل بالإشراف على هذه الدراسة وتتبعه لمسار إنجازها، ولم يدخر جهدا في تنقيحها وتصحيحها ولم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته فكان نعم العون فجزاه الله خير الجزاء، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة المحترمة على تفضلهم بقراءة ومناقشة هذا العمل لتصويب هفواته ونقائصه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا مُحَمَّد وآله الطيبين وصحبه الميامين.

مدخل

المدخل:

من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص

* المسار الانتقالي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص

أولا – مفهوم الجملة.

ثانيا – مفهوم النّص.

ثالثا – مفهوم لسانيات النّص

بقي الدّرس اللّساني زمنا طويلا لا يتعدّى حدود الجملة، وفي أوائل السّتينيات من القرن الماضي استطاعت اللسانيات أن تحدث نقلة نوعيّة فنقلت محور الدّرس إلى مستوى أعلى نسفت بذلك جميع الحدود المرتسّمة بينها وبين المعارف الأخرى فاستفادت منها في الولوج إلى عالم النّص، ومن ذلك برزت معرفة جديدة تهتم بدراسة النّص وتحليله وهو ما يعرف بلسانيات النّص.

يبحث هذا العلم الجديد في تماسك النّصوص وتعالقها بناء على افتراضها وحدة كليّة تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محدّدة، هذه النظرة الجديدة في اللّسانيات تمكنها من التعامل مع النّصوص المكتوبة والمنطوقة بنوع من المرونة والمنهجية تجعلها قادرة على الإحاطة بها بعدّها الأقدر على كشف مكامن النّصوص والبحث في مستويات اتّساقها وانسجامها بفضل ما تمتلكه من أدوات إجرائية .

*** المسار الانتقالي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص:**

لقد انقطع التحليل اللساني للجملة زمنا طويلا، حيث كان ينظر إلى الجملة على أنها الوحدة الأساسية في علم اللغة وهي أكبر وحدة يمكن تعيينها، وهي من ثمة وحدة قابلة للوصف اللغوي، وعلى هذا الأساس قامت نظريات نحوية واتجاهات لسانية مختلفة ومتعاقبة كانت أقصى غايتهم دراسة الجملة.

إلا أنه وجد من العلماء من يرفض هذا القيد على دراسة الجملة، وسعى إلى: "تحليل كليات النص – وليس فقط المركبات من الجمل– بدقة"[1]،وذلك على اعتبار أن البشر عندما يتواصلون لغويا لا يمارسون ذلك في جمل مفردة منعزلة، بل في تتابعات مترابطة مجاوزة للجملة، يقول في هذا الصدد "زليغ هاريس Z.S. Harris": "اللّغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة، بدءا من المونولوج وانتهاءً بمناظرة جماعية مطولة"[2]، فالجملة إذا ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، لذا يجب

[1] فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 18.
[2] المرجع نفسه: ص 21.

تحليل الجمل دائما في سياق النّصوص على أنها أجزاء من خطاب عام، لا على أنها الوحدة اللغوية، بدليل أن فهم جملة ما يستدعي فهم الجملة السابقة لها (السّياق اللغوي).

كما اتسمت الدراسات اللغوية في إطار الجملة بإغراقها في الشّكلية وإهمالها للجانب الدلالي، أو عدم إعطائه عناية كافية، يقول "فان دايك Van Dijk": "في كل الأنحاء السابقة على نحو النّص وصف للأبنية اللغوية، ولكنه لم يعن بالجوانب الدلالية عناية كافية مما جعل علماء النص يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصرا على وصف الجملة، بينما يتضح من يوم إلى آخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية وبخاصة الجوانب الدلالية لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النص"[1].

إن ما نستشفه من هذا التعريف أن الدراسات اللغوية التي كانت تدور في فلك (الجملة) اعتبرت اللغة نظاما مغلقا، وهو ما حاول علماء النّص تجاوزه، حيث دعوا إلى ضرورة توسيع مجال علم اللغة، ليتجاوز علم اللغة النّسقي ليمتد علم لغة الجملة إلى علم لغة النّص.

كما عيب على نحو الجملة إهمال السّياق الاجتماعي التواصلي وهو سياق على قدر كبير من الأهمية في الدّراسة اللغوية، وقد أكد هذه الأهمية الاتجاه الوظيفي، الذي رأى أن اللغة "عبارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات"[2].

وإذا ما تحدثنا عن الجانب التواصلي للغة فنحن في إطار النّص لا الجملة، "فلا شك أن الجملة هي المقولة الأساسية في النظرية اللغوية، غير أن الوحدة الأساسية للاتصال ليست الجملة بل النص"[3]، ومن ثمة يجيء تعامل علماء لغة النص مع النص بوصفه حدثا اتصاليا، من خلال الاهتمام

[1] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998، ص 67.
[2] المرجع نفسه، ص 67.
[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997، ص 285.

بالسياق الذي يرد فيه وما يتصل به من أمور تتعلق بمنتج النّص ومستقبله والمحيط الثقافي والمقاصد والغايات، الأمر الذي يلزم عنه استحداث نحو متجاوز لحدود الجملة إلى ما هو أكبر (النّص).

وبناء على ما سبق اكتشف العلماء الحاجة الماسة لنحو النّص والمهام التي يقوم بها، فظهرت عدة دراسات ومحاولات قدمت بعض الأفكار النصية الجوهرية، إلا أنها كانت متناثرة ومحدودة إلى أن نشر "زلينغ هاريس Zelling Harris" بحثا بعنوان: "تحليل الخطاب Discours Analysis" عام 1952م، ويعد مقاله هذا أولى المحاولات الصريحة التي تكلمت عن وحدة أكبر من الجملة؛ حيث دعا إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب المترابط Conected، سواء في حالة النطق Speek أم الكتابة Writing، استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية[1]، بمعنى أنه نقل ما يتصل عنده بالوسائل المنهجية لتحليل الجملة تحليلا بنيويا (التقطيع والتصنيف والتوزيع) إلى المستوى الجديد للنّص.

ولكي يتحقق هذا الهدف، رأى "هاريس" أنه لابد من تجاوز مشكلتين وقعت فيها الدراسات اللغوية (الوصفية والسلوكية) وهما[2]:

الأولى: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة Language والموقف الاجتماعي Social Situation مما يحول دون الفهم الصحيح.

ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين[3]:

1- العلاقات التّوزيعية بين الجمل: The Distributional Relations Among Sentences

[1] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص: 65.
[2] المرجع نفسه، ص 65.
[3] المرجع نفسه، ص: 66.

2- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي: The Correiation Between Language And Social Situation

ومن هنا بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلى المشكلتين اللتين أثارهما "هاريس" وإلى أهمية تجاوز الدراسة اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النّص، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، مشكلين بذلك اتجاها لسانيا جديدا، أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في التبلور منذ منتصف السّتينيات تقريبا، وهذا الاتجاه عرف بلسانيات النّص Text Linguistics واللسانيات النصية Textual linguistics ونحو النص Text Grammar[1].

إن نقطة التحول الجوهري في هذا المجال كانت بالإضافة إلى إسهامات أخرى فرضيات "هارتمان Hartman" (1964) مفادها أنه: "يمكننا أن نطلق النّص على كل ما يرد بلغة، ذلك بأن اللغة تكون في شكل اتصالي أو اجتماعي، كما هي الحال دائما، أي مرتبط بشريك"[2]، بمعنى أن النّصوص لديه هي أيضا الرموز اللغوية الأصلية وهي المدار الحق للاتصال اللغوي: "فإنه إذا تم نطق كلام أصلا فسيكون فقط على شكل نصوص ... فاللغة ذات القدرة النّصية والقيمة النصية هي وحدها وسيلة الاتصال بين البشر"[3]، ومن ثم دعا "هارتمان" إلى أن يكون النص أساسا للدراسة اللسانية، وشدد في ذات السياق على علاقة (المرسل – النص – المتلقي)، "وفهم السياق على أنه سياق الورود"[4]، كما عد "هارتمان" أول من وضع إسهاما للتفريق بين النصوص.

وتوالت الدراسات والأطروحات في هذا المجال، يذكر على سبيل المثال لا الحصر (هايدولف K.E. 1966 Heidolph) "اجتهد في استنباط قواعد العلاقات السّياقية للجمل في النحو

[1] ينظر جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 66.
[2] فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجيمي، ص 22.
[3] المرجع نفسه، ص 22.
[4] المرجع نفسه، ص 22.

التوليدي"[1]. وحرص "فاينرش H.Weinrich" على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النّص[2].

كما كان إيزنبرج Izenperg 1968 أول من حاول أن يطور نحوا شاملا للنص، وبذلك اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي لإنشاء الجمل لتشمل قاعدة النص[3].وهارفيج 1968Harveg "الذي قدم نموذج استبدال، تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي، وغلب عليه إدراك النص إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية المشكلة لبناء النص"[4].

أما "فان دايك Van Dijk" (1972) فقد قدم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسة النّصوص ووصفها وتفسيرها، وقد اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية – دلالية ، واتصالية- وتداولية إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية التوليدية"[5].

ثم جاء "بتوفي Petovi" "وقدم محاولات لا تقل عن محاولات "فان دايك" جدية وثراء، إلا أن محاولاته لها سمات خاصة مائزة، واتسمت نظريته بالتوسع والتي استقصى عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية"[6].

وفي سنة 1976 ظهر كتاب الاتساق في اللغة الانجليزية Cohesion in English لـ"هاليداي Haliday" ورقية حسن Roqaiya Hassan وهو كتاب "يتألف من مدخل وسبعة فصول، خصص المدخل لتحديد بعض المفاهيم مثل: النص والنصية والاتساق ... إلخ، وخصصت ستة فصول لبحث مظاهر الاتساق، مثل: الإحالة والاستبدال، والحذف والوصل،

[1] فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص 24.
[2] سعيد حسين بحيري: علم لغة النص، ص 191.
[3] فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجيمي، ص 24.
[4] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 94.
[5] المرجع نفسه، ص 94.
[6] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 95.

والاتساق المعجمي، أما الفصل السابع فقد حللت فيه نصوص متنوعة تطبيقا لما صيغ في الفصول السابقة عليه"[1].

مؤلف آخر أحدث نقلة نوعية في دراسات نحو النص وهو كتاب "النص والسياق Text and Context" (1977) لـ"تون فان دايك"، الذي يأتي تطويرا لآرائه وأطروحاته التي سبق صياغتها في مؤلف سابق له سنة 1972 بعنوان "بعض مظاهر نحو النص Some Aspects of Text Grammar"، ويهدف أساسا إلى: "إنشاء مقاربة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسة اللسانية للخطاب"[2].

وتعد محاولات "فان دايك" "من أكثر محاولات التحليل توفيقا، إذ يسعى إلى صياغة نموذج تحليل للنص بإدخال عناصر من المنطق الحديث، وعلم النفس التجريبي، وذلك لتفسير كيفية إنتاج النصوص من خلال تحديد قواعد توليدية، ويرى أنه يمكن أن تضاف في خلال عملية التفسير في إطار أشكال صياغة محددة للنماذج اللغوية أسس اتصالية وتداولية، وقد فصل القيود التّوليدية، والنّحوية- التّوليدية للمتواليات النّحوية والجملية، تفصيلا واسعا، وبخاصة من خلال التفريق بين البنية الكبرى والبنية الصغرى"[3]، وبذلك يكون قد قدم تصورا واضحا عن البناء الكلي الممتد للنص.

ثم ظهر كثير من الباحثين الذين عنوا بعلم النّص عناية فائقة، فقدموا دراسات أدت إلى تطور هذا العلم، بحيث إنه لا يقتصر على دراسة النّص Text فحسب بل يسعى إلى دراسة البيئة والثقافات المتصلة به ومعارفه ... إلخ، وذلك من خلال الاهتمام "بالسّياق وما يتصل به من أمور تتعلق بمنتج النّص ومستقبله، والمحيط الثقافي والمقاصد والغايات"[4]، ويؤكد "فان دايك" "أنه ليس

[1] محمّد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي الغربي، بيروت، 2006، ص 11.
[2] خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير، عمان، 2009، ص 45.
[3] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 58.
[4] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 67.

بمقدور علم النّص أن يكون في واقع الأمر تسمية لنظرية منفردة أو لمنهاج محدد وإنما يدل على أي عمل في اللغة مخصص للنّص باعتباره الهدف الأول للبحث"[1].

وهكذا ظهر علم النّص وبدأت ملامحه واتجاهاته في التبلور، باعتباره آخر المناهج وأحدثها، وأكثرها إفادة من المقولات السابقة عليه، واستيعابا لها، حتى أصبح حقيقة راسخة على يد الأمريكي "روبرت دي بوجراند" في الثمانينيّات.

[1] إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكاتب، ط1، 1992، ص 38.

تمثل المصطلحات مفاتيح العلوم، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، فإذا استبان أثر المصطلح في كل فن توضح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم صورة الجامع وحصنه المانع، فهو كالسياج العقلي الذي يرسي حرماته، رادعا إياه ألا يلابس غيره وحاظر غيره أن يلبس به[1]. ولما كان الحال كذلك كان لابد علينا قبل الولوج إلى موضوعنا أن نتطرق إلى بعض المصطلحات: الجملة، النص، نحو النص.

أولا– مفهوم الجملة:

اعتمدت الدّراسات اللغوية منذ نشأتها في تناولها للغة على الجملة، على الرغم أن مفهومها لم يكن بذلك الوضوح الذي يجعل الجميع يتفقون عليه، بالإضافة إلى اختلاف المصطلحات التي يطلقها النّحاة على ما نسميه الجملة، فلا يظهر أنهم كانوا في البداية يستعملون مصطلحات يتبلور فيها ما تتميز به الجملة من تركيب خاص، وهذا ما يلاحظ عند سيبويه (ت 180 هـ) الذي لم يستخدم مصطلح الجملة، وإن أشار في غير موضع إلى فكرة الإسناد مستخدما بالفعل مصطلحين من مادته للدلالة على طرفيه: المسند والمسند إليه، يقول: "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما من الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبنى عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلابد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"[2]، فالإسناد عنده يستلزم تركيب، والعناصر المركبة اثنان، يطلب كل منهما الآخر، ولا مناص للمتكلم من الوفاء في نتاجه اللغوي بهما حتى يتحقق ما يتغياه هذا التركيب من فوائد.

[1] ينظر: عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسة في اللسانيات، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2010، ص 43.

[2] سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمّد هارون، ج1، ط3، 1988، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 23.

مشيرا بذلك إلى الالتحام الذي يحصل بين هذين العنصرين دون أن يستعمل مصطلح الجملة: "لأنه كان يعنى بالتمثيل وبوصف التركيب في أغلب الأحيان دون تسمية[1].

ولعل أول من استخدم مصطلح الجملة بالمفهوم الذي شاع فيما بعد هو "المبرد" (ت 285 هـ) في كتابه: "المقتضب" حين استعمل هذا المصطلح للإشارة إلى الفعل وفاعله، أو المبتدأ أو خبر، ومن ذلك قوله: "الأفعال مع فاعليها جمل"[2]، وقوله: "ومثل هذا من الجمل قولك: مررت برجل أبوه منطلق، ولو وضعت في موضع (رجل) معرفة لكانت الجملة في موضع الحال فعلى هذا تجري الجمل"[3]، فهو يستعمل اللفظتين في مجال تقرير الحقيقة النحوية القائلة: إن الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال.

غير أن هذا المصطلح لم يتغلب على مصطلح الكلام فيما بعد، وتردد المصطلحان معا يسوي بينهما بعض النحاة ويفرق بينهما آخرون.

حيث ذهب قسم من النحاة إلى أن الكلام والجملة هما مصطلحان مترادفين يدلان على شيء واحد، وهو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، وذلك ما ذكره "ابن جني" (ت 392 هـ) في كتابه "الخصائص"، حيث يقول: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[4]، فـ"ابن جني" ههنا يوحد بين مصطلحي الكلام والجملة في دلالتها على اللفظ المستقل المفيد، وهو بذلك يركز في مفهوم الجملة/الكلام عنده على خصيصتي: الاستقلال والفائدة دون أو يولي فكرة الإسناد أية أهمية.

[1] محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 30.

[2] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ج4، القاهرة، 1994، ص 123.

[3] المرجع نفسه، ص 125.

[4] ابن جني: الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 2001، ص 72.

وتبعه "الزمخشري" و"ابن يعيش"، فيقول الأول: "والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك ، أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر ... ويسمى الجملة"[1].

ويقول "ابن يعيش": "الكلام عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها، فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه كما أن الكلمة جنس للمفردات"[2].

ومن ثمة يرى "ابن يعيش" أن الجملة ترادف الكلام آخذا في ذلك برأي "ابن جني"، يقول: "الكلام عند النحويين عبارة عن لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه ويسمى الجملة"[3]، بيد أن "ابن يعيش" لا يتابع "ابن جني" متابعة مطلقة في الربط بين مفهوم الجملة والفائدة، مهملا فكرة الإسناد، بل يأخذ باتجاه "الزمخشري" الذي يربط هذا المفهوم بالإسناد، ومن ثم يشترط وجود عنصرية الأساسين في تركيبها.

ومن النحاة من فرق بين المصطلحين، ويأتي في طليعتهم "الرضي الاستراباضي" (ت 686 هـ)، يقول: "والفرق بين الكلام والجملة أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائر ما ذكر من الجمل ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة، ولا ينعكس"[4].

وهو ما يذهب إليه "ابن هشام" قائلا: "الكلام هو القول المفيد بالقصد (...)، والجملة عبارة عن الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، وما كان بمنزلة أحدهما (...)، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال ويسمى جملة، والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا نسمعهم يقولون: جملة الشرط،

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، دار الطباعة المنيرية، مصر، ص 20.
[2] المرجع نفسه، ص 21.
[3] المرجع نفسه، ج1، ص 20.
[4] الاستراباضي رضي الدين: شرح كافية ابن الحاجب، ج1، هجر للطباعة والنشر، 1993، ص 18.

جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام"[1]، بمعنى أن الكلام أخص من الجملة وليس مرادفا لها، فالإسناد في الكلام لا يكون إلا مقصود لذاته، في حين أن الإسناد في الجملة أوسع دائرة، إذ قد يتضمن ما لم يقصد لذاته، وذلك كالإسناد الذي تتضمنه الجمل الواقفة صلة أو مضافا إليها.

وعليه يمكن القول إنّ الكلام والجملة مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة، ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة وإنما يشترط فيها الإسناد سواء أفاد أم لم يفد، فهي أعم من الكلام، إذ كل كلام جملة ولا يحدث العكس.

وهذا التباين في تعريف الجملة لم يكن لدى الدارسين العرب فحسب، بل حتى الدارسين الغربيين اختلفوا فيما بينهم في وجهات النظر إلى الجملة، ولعل أشهر التعريفات اللسانية المعتمدة ما قرره "بلومفليد" بشأنها: "ففي شكل لغوي مستقل لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه"[2]، وقد عقب "جون لاينز" على هذا التعريف معتبرا الجملة الوحدة الكبرى للوصف اللغوي، وقد بات من غير الضروري اشتراط التمام الدلالي فيها ما دام المتكلم لا يستطيع في جميع الأوضاع إيضاح ما يعني، عرفها قائلا: "نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة"[3].

يعرفها "إيفنش Ifench" بالقول: "الجملة عبارة عن فكرة تامة"[4]، أما "جاردنر Gardner" يعرفها على أنها: "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة"[5].

إن ما يمكن ملاحظته على هذه التعاريف هو ذلك الاختلاف في المعايير التي تعتمد عليها، فبعضها يرتكز على منطلق دلالي محض، وبعضها يرتكز على معيار شكلي بحت، في حين فضل

[1] ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص 419.

[2] Leonard Bloomfield : language, London, 1973, P : 170.

[3] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2007، ص 88.

[4] المرجع نفسه، ص 88.

[5] المرجع نفسه، ص 88.

البعض الآخر المزاوجة بين الدلالة والشكل، غير أنها في معظمها تؤكد على مبدأ استقلالية الجملة، وهنا يمكن أن نميز بين نوعين من الجملة[1]:

1- جملة نظام System Sentence: وهو شكل الجملة الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما.

2- جملة نصية Text Sentence: وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام، تتوفر ملابسات لا يمكن حصرها، يقوم عليها الفهم والإفهام.

في الأخير يمكن القول إن التعريفات التي جاء بها الدارسون العرب والغرب، وإن اختلفت في المرتكزات التي اتكأت عليها في تعريف الجملة وتحديدها، إلا أنها تتفق كلها على مبدأ استقلالية الجملة، وعدها الوحدة الأساسية للدرس اللغوي.

ثانيا- مفهوم النّص:

يعد تعريف النّص مبحثا صعبا، ذلك أن: "هذا الاتجاه نقد نقدا شديدا، وخلافا كبيرا بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لعلم لغة النص، حيث إنه حتى الآن، وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم يتحدد بعد بدرجة كافية، بل إنه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين، وفروع علمية غاية في الاختلاف، ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل للغاية رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى"[2].

[1] الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص 14.
[2] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 115.

ومن ثمة لم يكن حظ مصطلح (نص) أسعد حالا من مصطلح (جملة)، فهناك اختلاف شديد بين الدارسين في تعريفهم للنص إلى حد التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى، فلا يوجد تعريف معترف به من قبل عدد مقبول من الباحثين في مجال نحو النص بشكل مطلق[1].

وجدير بالذكر: "أن الاختلاف في التعريف مصطلح النّص ليس بدعا في الدراسات اللغوية، بل في العديد من العلوم، خاصة في بداية نشأتها، وهذا أمر طبيعي، أمر عدم الاستقرار على التعريف بالمصطلحات وطبيعة العلوم وأهدافها ... وغيرها من الجوانب المتعلقة بكل علم"[2].

عموما يمكن القول إن التعدد في تعريف النّص يرجع إلى "تعدد معايير هذا التعريف ومداخله ومنطلقاته، وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوفر في ما نطلق عليه اسم نص"[3]، ولعل أحسن المداخل في مثل هذا التعريف هو المدخل المعجمي.

1- النّص لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس في باب النون والصاد وما يثلثهما ما يأتي: "النون والصاد والحرف المعتل – وهذا المعتل أكثره واو- أصل صحيح يدل على تخيّر وخطر في الشيء وعلو، ومنه النصية من القوم ومن كل شيء، الخيال، ويقال انتَصيْتُ الشّيء، اخترته، وهذه نصيتي: حيزتي، ومنه الناصية سميت لارتفاع منبتها، والناصية: قُصاص الشعر. وفي تصريف هذه الكلمة: نصوت فلانا قبضتُ على ناصيته، وناصيْتُه: أخذ كل منّا بناصية صاحبه، ومفازة تناصي أخرى، من هذا كأنّها تتصل بها كالقابضة على ناصيتها، وهو تشبيه، وانتص الشعر: طال، وقول عائشة: "مالكم تَنْصُون ميتكم"، فإنها أرادت تمدون ناصيته، كأنها كرهت تسريح رأس الميت"[4].

[1] ينظر سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 101.

[2] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000، ص 24.

[3] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 11.

[4] ابن فارس بن زكريا أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمّد هارون، مج 5، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص 433-434.

وجاء في لسان العرب في مادة (ن.ص.ص): "النّص: هو رفعك الشيء، ونصّ الحديث ينصه نصًّا، رفعه، وكل ما أظهر فقد نصّ، والمنصة ما توضع عليه العروس لترى، والنصنصة إثبات ركبتيه في الأرض وتحركه إذا همّ بالنهوض، ونص المتاع نصًّا جعل بعضه على بعض، وأصل النّص أقصى الشيء وغايته وهو نوع من السير السريع، ونصّ كل شيء منتهاه"[1].

"ويسلك صاحب القاموس المحيط المسلك نفسه في استقصائه لمادة نص، حيث يديرها هو الآخر على معاني الرفع والإظهار والتحريك والتعيين والتوقيف، وبلوغ الشيء وأقصاه ومنتهاه"[2].

وجاء أيضا في المعجم الوسيط في مادة نصص الآتي: "نص الشيء: رفعه، وأظهر يقال نصت الظبية جيدها، ويقال نص الحديث رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، ونص المتاع جعل بعضه فوق بعض، ونص فلان أقعده على المنصة ... ويقال نص فلان: استقصى مسألته عن شيء حتى استخرج كل ما عنده، والنص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف ... والنص عند الأصوليين الكتاب والسنة، ونص الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه"[3].

إن المتأمل في المعجم العربي يجد أن المعنى اللغوي للنص يدور حول الأمور الآتية، الرفع والإظهار والثبات والضم الشيء إلى الشيء.

أما في المعاجم الغربية فإن مصطلح Text مشتق من مادة (Textus) اللاتينية من الفعل (Textère)، ومعناه بالعربية (نسج)، وبذلك يكون معنى النص هو النّسيج، فمثلما يتم النّسيج بإتباع عمليات معينة تنتهي بتشابك الخيوط وتماسكها مكونة قطعة قماش متينة ومتماسكة "فالنص

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار خليل، بيروت، مج 6، مادة: نصص، 1988، ص 648.

[2] ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج2، مادة (نصص)، 1995، ص 489.

[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطنبول، مادة نص، 1989، ص 926.

نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص"[1].

ونجد هذا التعريف تقريبا في معجم "لاروس العالمي"، حيث جاء فيه أن كلمة نص "أتت من الفعل "نصّ Textère" ومعناه نسج، وهذا ما يعني أن النص هو النسيج، لما فيه من تسلسل في الأفكار وتوالي الكلمات"[2].

إن ما نفهمه من هذين التعريفين أن الوشيجة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لمصطلح النص في الثقافة الغربية حاضرة، فالنص مرتبط في مفهومه الأولي بمفهوم النسيج والحياكة لما يبذله الكاتب فيه من جهد في ضم الكلمة إلى الكلمة والجملة إلى الجملة، وكذلك لما يبذله من جهد في تنظيم أجزائه، والربط بينهما، بما يكون كلا منسجما مترابطا.

وفي محاولة للتقريب بين أصل كلمة "نص" في اللغة العربية وفي الأصل الغربي "Texte" يذهب "الأزهر الزناد" إلى أن معنى النسيج يتوفر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح (نص / Texte) على أن هذا المعنى ليس غريبا عن تصور العرب للنص، ذلك أن: "الكلام عند العرب يكون نصا، إذا كان نسيجا، والنص والنسيج في بعض الوجوه يلتقيان، ففي اللسان (مادتا: ن ص ص، و ن س ج) "النص جعل المتاع بعضه على بعض"، و"النسيج ضم الشيء إلى الشيء"، فالأول تركيب والثاني ضم، والتركيب والضم واحد"[3].

[1] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 12.

[2] Jeans Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique et de science du language, Larousse, Paris, 2001, P 482.

[3] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 06.

2- النّص اصطلاحا:

أ- عند الغربيين:

تعددت دلالته تبعا لتعدد زوايا النظر إليه، حتى أننا نجد لدى باحث واحد في أكثر من موضع عددا من التعريفات يختلف فيه محتوى كل تعريف عن الآخر، وسنحاول أن نتطرق إلى أهم التعريفات، فمن منظور لساني يعرف النص على أنه مجموع الملفوظات اللغوية القابلة للتحليل، إنه عينة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبا أو منطوقا "يأخذ هيلمسليف / I.Hjelmslev كلمة النص في معناها الواسع، ويشير بها إلى أي ملفوظ منطوقا أو مكتوبا طويلا أو مختصرا، جديدا أو قديما، فكلمة (قف / Stop) تعد نصا مثل: (رواية الوردة / Roman de Rose)"[1]. فالنّص عنده يعني الملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب، كما أنه لا يتحدد بالطول أو القصر، فيطلق أحيانا على الكلمة نصا وعلى الرواية نصا، رغم اختلاف طولهما. بمعنى أن مفهوم النص يتوقف على مدى اكتمال المعنى لا من حيث الطول أو القصر.

وهو المفهوم الذي نجده عند كل من "رقية حسن Roqaya Hassan" و"هاليداي Haliday" في كتابهما "الاتساق في الانجليزية / Cohesion in English" بقولهما: "إن كلمة (نص / Texte) تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"[2]، ومن ثمة يكون النص وفقهما وحدة معنوية منطوقا أو مكتوبا طال حجمه أو قصر، فالنص يمكن أن يكون كلمة واحدة، ويمكن أن يكون جملة أو امتداد من الجمل، ولئن كان معيارا الطول والقصر ليسا أساسيين في تحديد النص من عدمه فإن الاكتمال ضروري لكي تتحقق في النص إحدى أهم مكوناته، بحيث يكون النص وحدة معنوية مكتملة.

---

[1] Jean Dubois et Autres : Dictionnaire de Linguistique et de Science du langauge, Larousse, P 482.

[2] محمّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ص 21.

يقول "برينكر / Brinker" في تحديده للنص "أنه تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل أي وحدة لغوية أخرى أشمل"[1]، بمعنى أن النص هو الوحدة اللغوية الكبرى ولا يمكن أن تنضوي تحت وحدة لغوية أخرى أكبر منها بأي شكل من الأشكال، فالنص وفق "برينكر" وحدة لغوية كبرى تنطوي تحت لوائها وحدات لغوية صغرى متماسكة بعضها ببعض، منطلقا بذلك من الشكل اللغوي في إشارة إلى التماسك النصي من خلال التعالق بين الأجزاء.

ويضيف "برينكرBrinker" أن تعريفات النص المختلفة قد انطلقت من اتجاهين:

– **الاتجاه الأول**: يقوم على أساس النظام اللغوي، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي – التحويلي، حيث يظهر النص كتتابع متماسك من الجمل"[2].

– **الاتجاه الثاني**: يقوم على أساس نظرية التواصل، فيعرف النص بوصفه: "فعلا لغويا معقدا، يحاول المتكلم به أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع والقارئ"[3]، وترتكز في ذلك على نظرة الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الأنجلوسكسونية.

ثم قدم "برينكرBrinker" اقتراحا يقضي بدمج النهجين: النهج القائم على أساس النظام اللغوي، والنهج الموجه على أساس التواصل ليكون مفهوم النص: "وحدة لغوية وتواصلية في الوقت نفسه"[4].جمع بذلك بين القالب اللغوي والقضايا والعلامات المنطقية والدلالية إلى الجانب التداولي.

[1] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 109.

[2] كلاوس برينكر: التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005، ص 24.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

[4] المرجع نفسه، ص 27.

ويرى (درسلر / Derssler) أن النص: "هو القول المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته"[1]، والملاحظ ههنا أن "درسلر" استخدم فكرة "انغلاق النص على نفسه" كمحور لتحديد الاكتمال، لا بمعنى عدم قبوله للتأويلات المختلفة، وإنما بمعنى اكتفائه بذاتهولا اعتبار لطول أو قصر النص إلا باكتمال الدلالة.

كما يتجاوز "درسلرDerssler" في تحديده للنص للإطار الشكلي إلى الامتداد الثري للنص بتداخله مع نصوص أخرى، فينطلق من البناء الآتي في تحديده لمفهوم النص: "يتكون من T = S (+ K + T)، (T= نص، S= جملة، K= رابطة)، وهذا يعني أنه من الممكن أن يتكون النص من جملة فقط أو من جملة + رابطة + نص، إذ يمكن أن يمتد النص بعد ذلك في إطار هذا النظام، أي يمكن أن يكون للنص معنى مغاير في داخل النظام نفسه، وهكذا يفهم النص على أنه مركب من عدة نصوص"[2]،يرتكز هذا التعريف على عملية التناص، إذ يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه. وهكذا يفهم النص على أنه مركب من عدة نصوص.

أما "هارتمان Hartman" فيحدد النص بأنه: "علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي، والسيميائي"[3]، وفيه خاصية ارتباط النص بموقف اتصال من جهة، وإمكان تعدد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى. فهارتمان في مفهومه للنص يقدم اللفظ على المعنى ولكنه يؤكد على الدور الاتصالي لما له من أثر في تكوين النص عند المتلقي.

يعرفه "هارفج R.Harweg" قائلا: "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية – الأفقية، التي تظهر الترابط النحوي في النص"[4]، وهو بذلك يشير إلى خاصية الامتداد الأفقي للنص من خلال

[1] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 104.
[2] المرجع نفسه، ص 110-111.
[3] كلاوس برنكر: التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بحيري، ص 108.
[4] المرجع نفسه، ص 108.

ترابط تقدمه وسائل لغوية معينة، تتحدد بوجه الخصوص في الضمائر بعدها واحدة من أهم الشرائط النحوية التركيبية الأساسية لتناسق النصوص، بل إن سلاسل الإضمار وفقه هي الوسيلة الحاسمة في بناء النص، لذلك يعرف النص بأنه: "وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة"[1].فتتابع جمل وعبارات النص ضروري وشرط أساسي لنصية النص وهذا يكون بتوفر ضمائر لغوية تربط بين الجمل وتجعلها متماسكة ومتسقة، لتأتي متتابعة ومتتالية بحيث تحقق المعنى الذي وجدت لأجله، فالقارئ للنص يحس بتسلسل العبارات والوقائع، وتوالي الأحداث، ليكون النص بذلك تتويجا لعمليات متعاقبة.

في حين يذهب "شميث S.J. Shmidt" في تحديده للنص إلى القول: "كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي، محدد من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي يحقق إمكانية قدرة إنجازية جلية"[2]، فهو هنا يؤكد على خاصية التواصل لمفهوم النص إضافة إلى حرصه على الجانب الدلالي، فالنص ذو قدرة إنجازية بين المتواصلين شريطة أن يكون محددا من جهة الموضوع والمقصد، بمعنى آخر هناك شرطان مهمان يتمحور حولهما النص ألا وهما الوظيفة الاتصالية والوحدة الموضوعية، وهو-شميث- من خلال هذا التحديد يحصر النصية في الجانب الاتصالي (تعظيم دور المتلقي)، ووحدة الموضوع بحيث يكون قد تشكل لأداء هدف معين (وحدة مقصده).

يعرف اللغوي الألماني "هارلد وينريتش Wenritch" النص بأنه: "كل يشتمل على عدد من العناصر التي ترتبط فيما بينها بعلاقة تبعية متبادلة، وتأتي هذه العناصر أو مجموعات العناصر متتابعة في نظام منسجم وحصيف، تسهم كل قطعة نصية فيه في توضيح القطعة التي تليها، وتسهم هذه الأخيرة بدورها في توضيح سابقتها"[3]،فالسمة البارزة في هذا التعريف الذي جاء به "وينريتيش/

[1] فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، ص 27.
[2] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 81.
[3] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 70.

Wenritch " هي الربط، فالنص يبنى من مجموعة الجمل المترابطة، فهي وحدات صغرى تتماسك فيما بينها مشكلة وحدة كبيرة تحمل دلالة معينة.

في حين يذهب الباحث السيميولوجي الروسي "لوتمان Lotman" إلى أن تحديد النص يعتمد على المكونات الآتية[1]:

1- التعبير: يتمثل النص في علاقات محدودة، تختلف عن الأبنية القائمة خارج النص، فإذا كان النص أدبيا فإن التعبير يتم فيه أولا من خلال علاقات اللغة الطبيعية، والتعبير - في مقابل اللاتعبير – يجعلنا نعتبر النص تحقيقا لنظام وتجسيدا ماديا له.

2- البنية: لا يمثل النص مجرد متوالية من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين، فالتنظيم الداخلي الذي يحيله إلى مستوى متراكب أفقيا في كل بنيوي موحد هو لازم للنص، وظهور (البنية) شرط أساسي لتكوين النص.

3- التحديد: يقوم النص مقابل جميع العلامات المجسدة ماديا، والتي لا تدخل في تكوينه، طبقا لمبدأ التضمن، و(الحد) يثير في وعي القارئ كل أنظمة الشفرات الفنية الملائمة له. أي أن النّص يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة،كأن يكون قصة أو وثيقة أوقصيدة وكل نص من هذه النصوص يعرف القارئ خصائها وسماتها، ينقل القارئ بعض هذه السمات من نص إلى آخر ليكوّن دلالات جديدة.

وقد ركز "ديتر فيفهجر D.Viehweger" على جوهر النص وحقيقته، إذ رأى أن النص: "إلحاق كائن وفق خطة فعل محددة أي نظام دينامي للأفعال والعمليات – قواعد إنشاء النص -، ومتحقق من خلال قواعد النظام اللغوي لمضامين الوعي بوصفها ناقلات لظواهر وأحوال الواقع

[1] ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 215-217.

والتتابعات الصوتية"[1]، فالنص وفق هذا التعريف هو محصلة للنشاط اللغوي التواصلي للإنسان، كما يشير في ذات السياق إلى كيفية بناء النص، إذ تؤدي مبادئ التنظيم الدلالية دورا جوهريا التي تدمج معاني النص في وحدات مشكلة للنص، ليؤدي وظيفة تواصلية مدركة من قبل المتكلم والمتلقي في موقف تواصلي محدد.

في حين اعتمد "فان دايك Van Djik" في تعريفه للنص على أساس التعريف بين البنية السطحية والبنية العميقة ليكون النص أبنية سطحية توجهها وتحفزها بنية دلالية عميقة"[2]، ويتصور البنية العميقة: "كما منظما من التتابعات" فهي تفرض البنية العميقة المنطقية المجردة للنص، وتعد البنية العميقة الدلالية للنص بالنسبة لـ"فان دايك" أيضا نوعا من إعادة صياغة مجردة تتحدد في النواة "البنية الموضوعية للنص"، ويقوده فهم البنية العميقة الخاصة بموضوع النص أيضا إلى التحديد التالي: "يمكن أن ينظر إلى البنية العميقة على أنها خطة نص ما، على نحو ما يبدو أنه يمكن أن يحدد سلوكنا من خلال خطط أساسية، إن افتراض بنية عميقة لنص ما يدعم حسب "فان دايك" الجوانب الآتية[3]:

1- التماسك الدلالي للنصوص الذي يعد في رأيه ظاهرة تركيبية عميقة.

2- إمكانية اختصار نص في ملخص، في عنوان ... إلخ.

3- إمكانية تذكر (مضمون) نص طويل حتى دون استخدام الوحدات المعجمية للنص ذاته.

4- إمكانية كتابة نصوص مختلفة ذات بنية عميقة دلالية مطابقة (كما في أشكال المحاكاة تقريبا وفي المعالجة الدرامية أو السينمائية لرواية ... إلخ).

---

[1] سعيد حسن بحيري: إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2008، ص 266.

[2] زتسيسلاف وآورزيناك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2003، ص 56.

[3] المرجع نفسه، ص 56.

أما النص عند "زتيسسلاف زيناك Zdzislaw Wawzniak":"فليس المقصود به البنية السطحية المادية، وكم المعلومات المتحقق (وجودها) فيه، أي أنه ليس المنطوق والمتلقي فحسب، بل هو فضلا عن ذلك: "بناء غير ممكن تكراره مقصود به التطابق (المطابقة) ويبرز مقصد التطابق الذي يشكل في حال النصوص المكتوبة بُعدها الاجتماعي والتاريخي الخاص"[1]، وعليه يكون النص وفق هذا المفهوم مكونا لغويا أفقيا نهائيا، مقصودا به التطابق لواقعة التواصل المختصة، يصير من خلال الدمج الانجازي وأوجه التناظر الدلالية الموضوعية والترابطات النحوية تتابعا متماسكا.

وتحدد "جوليا كريستيفا J. Kristiva" النص بأنه: "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة، بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية"[2]. مما يعني[3]:

1- أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لاعتبر المقولات اللسانية الخالصة.

2- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى.

فالنص وفق "كريستيفا" هو أكثر من خطاب، لأنه يعيد توزيع نظام اللغة كاشفا في الأساس عن العلاقة التي بين كلمات الأخبار المباشر فيه، وبين الملفوظات السابقة عليه، إذ هو يمثل عملية (تناص) تتقاطع، وتتنافى فيها ملفوظات متنوعة، ومن ثمة تكون "جوليا كريستيفا" قد أخرجت النص من الإطار الشكلاني المعلق إلى نسخة المجتمع والتاريخ، مرتكزة في ذلك على مفهوم التناص، بمعنى أن النص من حيث هو عملية إنتاجية إنما يتعالق ويتداخل مع نصوص أخرى.

[1] زتسيسلاف وآورزيناك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص 59.
[2] جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، 1997، ص 21.
[3] المرجع نفسه، ص 21.

وهو المفهوم الذي تتبناه "رولان بارت R.J. Barthes" في بحث كتبه عام 1971 بعنوان: "من عمل إلى نص" مستأنسا في ذلك بمبادئ التفكيكية، وهو ما نختزله في النقاط الأساسية الآتية[1]:

1- في مقابل (العمل الأدبي) المتمثل في شيء محدد، فإن النص هو مجرد نشاط، وإن وضع المؤلف فيه مجرد وضع احتكاك، وهو لا يحيل إلى مبدأ بداية أو نهاية، وإنما هو يحيل إلى غيبة الأب، وبالتالي يبدد مفهوم الانتماء.

2- يمارس (النص) التأجيل الدائم واختلاف الدلالة، فهو مثل اللغة مبني، ولكنه ليس مغلقا، ولا متمركزا، بل هو لا نهائي، لا يشير إلى فكرة معصومة، بل إلى لعبة مخلعة، وهو لا يجيب على الحقيقة بل هو يتمدد إزاءها.

3- النص مفتوح، وإن القارئ المتلقي ينتجه في عملية مشاركة، وهذه المشاركة ليست هي الاستهلاك، وإنما هي اندماج القراءة والتأليف في عملية دلالية واحدة، بحيث تكون ممارسة القراءة إسهاما في التأليف.

وبهذا المفهوم يكون النص – عند بارت -: "فعالية كتابية، ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ، لا كأدوات لتثبت المعنى، ولا كبريق خاطف وومضات عابرة في فضاءات الخطاب غير المتناهية"[2]، فالنص ليس وثيقة لمعرفة بيئة الأديب وعصره، وإنما النص في حدذاته هدف يقيم لنفسه نظاما لا ينتمي إلى النظام اللغوي، ولكنه يظل على علاقة معه هي علاقة التماس والتجاور، والاقتران، كما أنه تعددي يخلق التعددية على مستوى الفكر، ولا يخضع إلى تفسير أو تأويل، فالنص الواحد قد يفسر تفسيرات عديدة، فهو كائن فلوت يرفض أحادية المعنى وهو مفتوح لتعدد القراءات، والقارئ يشارك في إنتاج النص و تأليفه بالتأويل والتحليل.

[1] ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992، ص 212-213.

[2] منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1 مركز الإنماء الحضاري، 2002، ص 125-126.

وعلى خلاف ذلك يذهب "تودوروف Todorow" إلى أن النص عبارة عن: "إنتاج لغوي منغلق على ذاته ومستقل بدلالته، وقد يكون جملة، أو كتابا بأكمله"[1]، يقوم تعريف "تودوروف" للنص على أساس استقلاليته وانغلاقيته، بمعنى أن النص كيان مستقل يخلق قوانينه الداخلية، ومن ثم يمكن دراسته دون الحاجة للرجوع إلى أي اعتبارات أخرى (معرفة بيئة الأديب وعصره)، وبذلك يكون النص هدفا في حد ذاته.

ما يمكن ملاحظته على تعريفات النص السالف ذكرها أنها تعريفات مختلفة تعبر عن جوانب جزئية متباينة للظاهرة الشاملة "النص"، فبعضها يقتصر على المنجز كتابة وبعضها الآخر يجمع بين النص المكتوب والملفوظ ومنها ما يراعي في التعريف جانب الوظيفة التواصلية، ومنها ما يهتم بعنصر التتابع بين ألفاظ النص، ومنها ما يركز على الوظيفة الدلالية للنص.

يعرف "دي بوجراند Robert de Beaugrande" النص بأنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير يقول في كتابه "النص والخطاب والإجراء"، "وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية La textualité أساس مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها"[2].

وهذه المعايير التي حددها هي[3]:

1- الاتساق: La cohésion.

2- الانسجام: La cohérence.

3- القصد: L'intentionnalité.

[1] محمد عزام: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2001، ص 14.
[2] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 103.
[3] المرجع نفسه، ص 103-105.

4- القبول: L'acceptabilité.

5- رعاية الموقف: Le contexte.

6- التناص: L'intertextualité.

7- الإعلامية: L'informativité.

ويمكن أن تجمع هذه المعايير ضمن تصنيف ثلاثي[1]:

- صنف يتصل بالنص في حد ذاته وهما معيارا: الاتساق والانسجام.

- صنف يتصل بمستعملي النص، سواء أكان المستعمل منتجا أو متلقيا وهما القصد والقبول.

- صنف يتصل بظروف إنتاج النص وتلقيه السياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وتندرج ضمنه المعايير الآتية: رعاية الموقف، التناص، الإعلامية.

علق "دي بوجراند Robert de Beaugrande" على هذه المعايير قائلا: ".. يمكن لشيء أن يعد نصا فذلك يتوقف على مراعاة هذه المعايير"[2]. وفق دي بوجراند هذه العناصر كلها تفسيرات ما بين الفكرة ومنتجها من جانب والوعاء الناقل لها من جانب آخر، أي الجانب اللغوي (الشكل)، والجانب الدلالي بدليل أنه يشترط توفر كافة العناصر المذكورة .

وقد قام هذا التحديد على النحو الذي يأخذ في الحسبان جميع أطراف العملية التواصلية من النظر إلى النص على أنه حدث لغوي وظيفته الأساسية هي التواصل، ومن ثمة جاءت معاييره المقترحة للنص، بعضها يختص بالنص ذاته والبعض الآخر يختص بالمتلقي، والبعض يختص بالمنتج والبعض الآخر يختص بالمقام الذي يرد فيه النص.

[1] أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001، ص 76.
[2] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 106.

ب– عند العرب:

إن المفهوم الاصطلاحي لكلمة "نص" مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر، وهو ليس وليد هذا الفكر وإنما هو كغيره من مفاهيم كثيرة في شتى العلوم الحديثة، وافد علينا من الحضارة الغربية، وهذا ما يجعل البحث عن أصول هذا المصطلح في التراث الفكري العربي غاية في الصعوبة.

وتجدر الإشارة ههنا أن الأصل في تحديد مفهوم النص عند المنظرين العرب والمفسرين والأصوليين يعود إلى ضرورة فهم النص القرآني فهما صحيحا والإحاطة بأسرار معانيه لتفادي تفسيره تفسيرا خاطئا.

ففي الدراسات العربية القديمة نجد أن مفهوم النص عند الأصوليين يكون مقطوعا به وغير مقطوع، فإذا كان مقطوعا به فإنه لا اجتهاد مع وجوده.

وتتضح دلالة المصطلح (النّص) أكثر إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه مثار جدل طويل بين طرفين أحدهما يشدد على عدم قبول التأويل مع النص، وآخر يجيزه، قال "أبو نصر القشيري": "اختلف الناس في النص، فقيل ما لا يتطرق إليه التأويل، وقيل ما استوى ظاهره وباطنه، ونوقض بالفحوى فإنها تقع نصا، وإن لم يكن معناه مصرحا به لفظا، وأجيب بأنه لا استقلال له"[1].

فالذين يشددون يصرون على أن دلالة المصطلح تنحصر في: "اللفظ المفيد الذي لا يتطرق غليه احتمال"[2]، وهو المفهوم الذي نجده عند "الشافعي" الذي عرف النص بأنه: "المستغني فيه بالتنزيل عن التفسير"[3]، فالنص عند الشافعي هو الكلام الذي لا يحتمل ولا يقبل التأويل، لأن ظاهره يغني عن ذلك، وهنا تتعمق الصلة بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية، فالذي لا يحتمل إلا معنى واحدا، والذي لا يحتمل التأويل يجب أن يكون واضحا.

[1] بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ج1، ط2، دار الصفوة، 1992، ص 464.
[2] مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي أبو حامد: المنخول في تعليقات الأصول، د.ط، د.ت، ص 164.
[3] مُحَمَّد بن إدريس الشافعي: الرسالة، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر، ج1، ص 14.

ويعزز هذا الرأي الغزالي بالقول: "النص هو الذي لا يحتمل التأويل"[1]، ومرد هذه الصرامة لئلا يختلف المسلمون في أمور دينهم (الفرائض والعبادات)، وأمور دنياهم (الحقوق والواجبات)، فالنص وحدة المرجع والمرجع الوحيد الواضح الذي تستنبط منه أدلة الأحكام، يقول "ابن حزم الأندلسي" في تعريفه للنص: "هو اللفظ الوارد في القرآن والسنة مبينا لأحكام الأشياء ومراتبها، وهو الظاهر، وهو ما يقتضيه اللفظ الوارد المنطوق بها"[2].

فذهب فريق من الأصوليين إلى اشتراط الصراحة والوضوح في دلالة النص، أي أن تكون دلالته على المراد دلالة صحيحة قطعية أو يقينية لا ظنية احتمالية، يقول "الأنباري": "يطلق على النص ما لا يتطرق إليه احتمال وسواء عضده بالدليل أم لا"[3]، وبهذا يكون نصا بوضع اللغة، وقد يكون بالقرينة، وقيل: "ما استوى ظاهره وباطنه"[4]، وهذا اعتراف صريح من الأصوليين على أن للنص ظاهرا وباطنا، بمعنى أنه كيان لغوي مركب، وإن ظلوا يصرون على اشتراط مطابقة الظاهر للباطن في النص، وهذا يقتضي اشتراط أن تكون الدلالة الخفية أو الباطنية متطابقة مع الدلالة الظاهرة للنص.

ذكر "القاضي عبد الجبار" أن: "النص هو خطاب يمكن أن يعرف المراد به"[5]، ولذلك فالنص عند "القاضي عبد الجبار" مشروط بثلاثة شروط: "أن يكون لفظا، وأن لا يتناول إلا ما هو نص فيه، وأن تكون إفادته لما يفيد ظاهره غير محتمل"[6].

وأضاف "القاضي أبو حامد المرْوَروذي" شرطا آخر للنص، ألا وهو اليقينية والقطع في دلالته، فيعرف النص قائلا: "ما عري لفظه عن الشركة، وخلص معناه من الشبهة"[7].

---

[1] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، ج3، تح: حمزة بن زهير حافظ، ص 84.

[2] ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1983، ص 415.

[3] بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ص 463.

[4] المرجع نفسه، ص 463.

[5] بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه ، ص 464.

[6] المرجع نفسه، ص 464.

[7] المرجع نفسه، ص 464.

وعلى خلاف ذلك حدد الزركشي النص بأنه: "اللفظ الدال على الحكم باسم المحكوم، سواء أكان ذلك النص محتملا للتأويل والتخصيص أم غير محتمل"[1].

فذهب فريق من الأصوليين إلى القول بعزة النصوص، يقول "أبو علي الطبري": إلا أن يكون كقوله تعالى: [قل هو الله أحد][2]، وقوله تعالى: [مُحَمَّد رسول الله][3]، وهو الرأي الذي رفضه "الزركشي" الذي ذهب إلى القول: "إن كل ما أفاد معنى على قطع مع انحسام التأويل فهو نص"[4].

ويضيف قائلا: "ويلتحق بالنص ما حذف من الكلام لدلالة الباقي على المحذوف، ولكن لا يشك في معناه"[5]، كقوله تعالى: [فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر][6]، فإن معناه فأفطر.

في المقابل نجد "السيوطي" يقر بالتأويل معتلا بالقرائن الحالية والمقامية، يقول: "وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جدا في الكتاب والسنة، وقد بالغ إمام الحرمين وغيره في الرد فقال: "لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطع انحسام جهات التأويل والاحتمال، وهذا إن عز حصوله بوضع الصيغ ردا إلى اللغة، فما أكثره من القرائن الحالية والمقالية"[7].

وهو تعريف كما هو واضح مساوٍ للاستعمالات التي سبق الحديث عنها عند الأصوليين، وهي مفاهيم بعيدة كل البعد عما يراد بالنص اليوم.

ما يمكن قوله أن هذه الاتجاهات وعلى اختلافها لم تقدم مفهوم مطلق للنص، ذلك أنها ظلت حبيسة مفهوم القداسة، فمرة تعطيه حق التأويل ومرارا وبشدة تحجب عنه هذا الحق.

---

[1] بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ص 464.

[2] سورة الإخلاص، الآية: 01.

[3] سورة الفتح، الآية: 29.

[4] بدر الدين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ص 465.

[5] المرجع نفسه، ص 465.

[6] سورة البقرة، الآية: 184.

[7] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، 1988، ص 95.

والجدير بالذكر أن مصطلح النص لم يبق خاصا بعلم الأصول، بل انتقل إلى حيز الدراسات الأدبية والتي لم تحز على مفهوم القداسة التي تحصل لكل من الكتاب والسنة، ولكن لابد من القول: "أن انتقاله إلى حيز الدراسات الأدبية وشيوعه في أكثر النظريات الفلسفية والأدبية الحديثة، قد وضع المتلقي العربي اليوم في حالة اضطراب يعيشها جراء قراءاته أو سماعه لهذا المصطلح، وهو يتردد في جميع الدراسات النقدية الحديثة، وذلك لعدم مقدرته على الربط بين المفهوم (المعجمي العربي) الذي يعرفه، وبين ما تثبته الحقول المعرفية في المصطلح من مفاهيم جديدة"[1].

فمما جاء في الدراسات العربية الحديثة التعريف الذي قدمه "طه عبد الرحمن"، والذي سلك إليه المنهج المنطقي، ولهذا فضل الحديث عن النصية التي هي صفة جامعة لمفهوم النص، فكل نص هو: "بناء يتركب من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"[2]، يبدو أن مفهوم النص بمثل هذا الطرح مفهوم غير مسبوق، إذ يشيء بجهد فكري وتأمل فلسفي، حاول فيه صاحبه أن يجعل من الفكر الفلسفي المعاصر، وفي جانب فلسفة المنطق على الأقل، وفلسفة اللغة من المنظور التداولي لعلم الكلام (الخطاب)، خلفية لنسج خيوط النصية (آلية النص) التي هي قوام النص.

أما "الأزهر الزناد" فيعرف النص قائلا: "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح النص"[3]، وهكذا يهتم التعريف بالربط اهتماما كبيرا، فالربط هو السمة الأساسية للنص، وتقوم قاعدة الربط في النص عند "الزناد" على: "إذا توفر في أي نص جملتان أو أكثر ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا بأداة أو بغير أداة"[4].

[1] نخلة فيصل الأحمد: التفاعل النصي: التناصية، النظرية والمنهج، ط1، شركة الأمل، القاهرة، 2010، ص 25.
[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007، ص 35.
[3] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 12.
[4] المرجع نفسه، ص 28.

كما أن النص – وفق الزناد –: "يحتوي الجملة وما فوقها وما هو دونها"[1]،وعليه يمكن أن يكون النص كلمة واحدة، كما يمكن أن يكون جملة واحدة أو امتداداً من الجمل.

ويذهب "حماسة عبد اللطيف" إلى أن النص لا يصبح نصا "إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزا معينا، فيها جدلية محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجدلية المضفورة تؤلف سياقا خاصا بالنص نفسه، بنبث في المرسلة اللغوية كلها"[2]، بمعنى أن النص لا يكون نصا إلا إذا كان له هدف وبناء محكم وسياق خاص، ومن ثمة لا اعتبار للنص بوصفه وحدات كبرى أو جمل متوالية إلا إذا توفرت خاصيته الأولى ألا وهي الاتصال.

إن المتأمل للتعريفات السابقة وغيرها يرى أن كل تعريف يركز على جانب واحد ويسقط جوانب أخرى، ولهذا سوف نتبنى ذلك الاتجاه الذي أشار إليه "صلاح فضل" عندما قال: "علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة"[3].

للنص إذا تعاريف متعددة تعكس توجهات أصحابها المعرفية ومناهجه المختلفة، فهذا "مُحَمَّد مفتاح" حاول أن يركب بينها جميعا مستخلصا المقومات الجوهرية الأساسية الآتية[4]:

1– مدونة كلامية: يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيا ... وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

2– حدث: إن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة، مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

3– تواصلي: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى المتلقي.

---

[1] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 16.

[2] أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 25.

[3] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 211.

[4] مُحَمَّد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986، ص 120.

4- تفاعلي: على أن الوظيفة التواصلية – في اللغة – ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

5- مغلق: ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية، التي لها بداية ونهاية ولكنه من الناحية المعنوية هو:

6- توالدي: إن الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم، وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له، فالنص إذن مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة.

فالنّص عند مُحَمَّد مفتاح مدونة كلامية، وحدث تواصلي وتفاعلي يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف إلى المتلقي، يقع في زمان، ومكان معينيين، وله بداية ونهاية؛ أي أنه مغلق كتابيا، لكنه توالدي معنويا لأنه متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ..وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له.

ثالثا- مفهوم لسانيات النّص:

"نحو النص فرع معرفي جديد تكون بالتدريج في النصف الثاني من الستينات والنصف الأول من السبعينيات"[1]،يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وبذلك انتقلت الدراسة اللسانية من محورية الجملة في الدراسة إلى النص.

وفي الحقيقة لا يوجد خلاف حول مفهوم نحو النص "بالصورة التي وجدت في تعريفات مصطلح النص، عرفه "جاك ريتشاردز J.Richards" بأنه: "فرع من فروع علم اللغة، يهتم بدراسة النصوص المنطوقة والمكتوبة ... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما

[1] فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 03.

بينها لتخبر عن الكل المفيد"[1]، فهو "الدراسة اللغوية للأبنية النصية"[2]، كما يرى "دافيد كريستال David Crystal"، أما "نيلز Nils" فيعرفه بأنه: "دراسة الأدوات اللغوية التي تحقق صور التماسك النصي، الشكلي والدلالي، مع مراعاة السياق وخلفية المتلقي المعرفية بالنص"[3].

ويعرف "سعيد حسن بحيري" نحو النص فيقول: "نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها، وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة"[4].

ويعرفه "صبحي إبراهيم الفقي" بقوله: "هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص، باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الرسالة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"[5].

وعلى الرغم من أن تعريفات نحو النص لا يوجد خلاف حولها بالدرجة التي يحدث فيها التباين، إلا أن الاختلاف الموجود هو حول المصطلح في حد ذاته، فالعلماء النصيون الغربيون لم يتفقوا على تحديد مصطلح لهذا العلم، بل استعملوا أكثر من مصطلح، فمنهم من عبر عنه بـ"لسانيات النص Text Linguistics"، أو "نحو النص TextGrammar"، ومنهم من أطلق عليه "علم النص ScienceText" مثل "هارفج R.Harweg"، ونجد "درسلر W.Diressler" يستخدم علم دلالة النص، وعلم نحو النص، والتداولية النصية، أما "سوينسكي Swiniskie"

[1] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 35.
[2] المرجع نفسه، ص 35.
[3] المرجع نفسه ، ص 36.
[4] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 134-135.
[5] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 36.

فيرى أن المصطلح الأنسب والذي يعتبر جامعا لكل البحوث التي لها علاقة بالنص داخل علم اللغة هو مصطلح "لسانيات النص Text Linguistic".

أما عند المترجمين والدارسين العرب الذين بحثوا في لسانيات النص فقد اختلفوا في المصطلح الدال على هذا العلم[1]، فاستعمل "سعيد حسن بحيري" و"إلهام أبو غزالة" علم لغة النص، واستعمل "صلاح فضل" و"جميل عبد المجيد" علم النص، وعلم النص أشمل من لسانيات النص وعلم لغة النص ونحو النص، لأنه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النصوص (إعلانات، إشهار، مقالات صحفية ...)، وكل نتاج ثقافي يتشكل في هيئة نص، واستعمل "صبحي إبراهيم الفقي" و"فالح بن شبيب" مصطلح علم اللغة النصي، بينما استعمل "أحمد عفيفي" مصطلح نحو النص، وذلك أن التحليل اللغوي اتجه إلى النص، ما جعل نحو النص بديلا موضوعيا لنحو الجملة، في حين استعمل "تمام حسان" و"مُحَمَّد خطابي" مصطلح لسانيات النص.

[1] ينظر: سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، وإلهام أبو غزالة: مدخل إلى علم لغة النص.
- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، وجميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية.
- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق.
- فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالحبن شبيب العجمي.
- أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي.

الفصل الأول:

الدراسات النصية في التراث العربي

الفصل الأوّل:

الدّراسات النّصية في التّراث العربيّ

– تمهيد.

أولا– التّراث اللّغوي.

1– النّظرة البلاغية.

1–أ ابن قتيبة ... بداية البحث في الانسجام.

1– ب الباقلاني ... النظرة الشمولية.

2– النظرة النّحوية.2– أ الجرجاني ... النّظم ... التعليق.

ثانيا– التّراث النّقدي.

1– الجاحظ ... التحام الأجزاء.

2 – ابن طباطبا... ضرورة التّماسك.

3– حازم القرطاجني ... التّماسك النّصي.

ثالثا – التّراث الأصولي.

رابعا – التراث الديني

1– علم التّفسير.

1– أ الطبري ... مسألة الرّبط بين الجمل.

1– ب البقاعي ... تناسب الآيات والسور.

2 – علوم القرآن، الزركشي والسيوطي ... التّنظير لعلم المناسبات.

تمهيد:

إنّ العودة إلى التراث العربي من أجل الوقوف على ما يتضمنه هذا التراث من أراء متطورة لهو من الأمور الهامة التي من شأنها أن تلقي الضوء على المواضيع العديدة التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي.

وطبعا من المستحيل تناول ذلك الكم الضخم من التراث العربي، لذلك سنقتصر على ما يخدم هذا الموضوع، بناء على ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة في مجال الدراسة النصية، سعيا وراء إبراز الجهد الذي بذله الدارسون العرب، والوقوف على مقدرتهم ووعيهم بذلك.

فمما لا شك فيه أن لسانيات النص علم نشأ حديثا في أحضان المناهج البنيوية والوصفية الغربية، لكن هذا لا يعني خلو التراث العربي من التحليلات والملاحظات الجديرة بأن يعاد النظر فيها من خلال ربطها بمناهج البحث النصي الحديث.

فإذا عدّنا إلى مؤلفات القدماء، ولاسيما في مؤلفات النحويين والبلاغيين، والنقاد والمفسرين، نلاحظ المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مقام الدراسة النصية، والتي بالإمكان مقارنتها بالدراسات النصية المعاصرة.

إن التراث العربي الإسلامي منظومة واحدة، تتكامل فيها المعارف، وتتداخل فيها الاختصاصات، وتترابط ترابطا عضويا لا يقبل الفصل، وإنما جعل ذلك التقسيم الظاهر تيسيرا للفهم ليس إلا، وطبقا لذلك سنتبنى تقسيم عبد السلام المسدي وهي كالآتي[1]:

[1] ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986، ص 34-36.

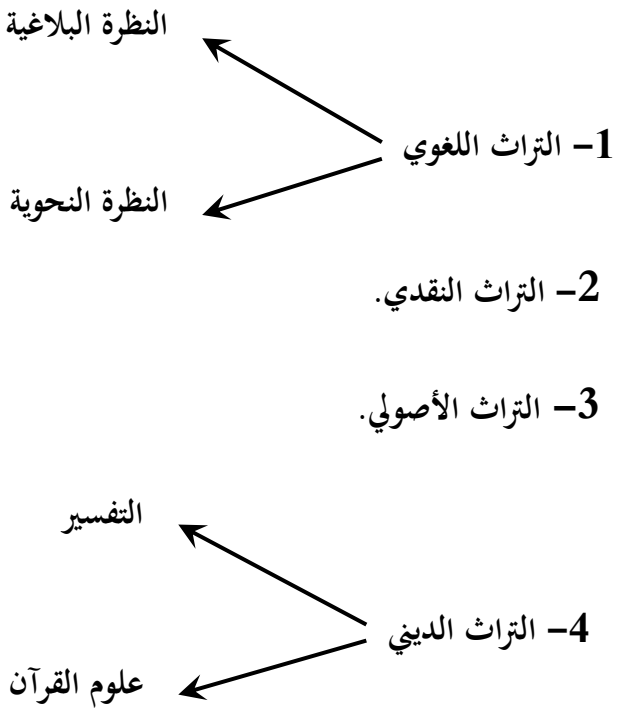

وأمام ثراء المخزون التراثي واتساع مجال البحث فيه سيتم التركيز على النشاط المرتبط منه بالممارسة النصية تذوقا وفهما وتحليلا وتفسيرا.

أولا– التراث اللغوي:

1– النظرة البلاغية:

1– أ. ابن قتيبة (176/ 213هـ):

– **بداية البحث في الانسجام:** ألف "ابن قتيبة" كتابه "تأويل مشكل القرآن" في القرن الثالث الهجري ردا على الملحدين الذين يريدون الطعن في القرآن العظيم باتباعهم ما تشابه منه، يقول جلّ شأنه: "هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ"[1]، يقول "ابن قتيبة": "فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة وأكشف للناس ما يلبسون"[2].

ويبدأ كتابه بمقدمة طويلة يتناول فيها مسألة "إعجاز القرآن البياني"، وكلامه في هذه الناحية إثارة لقضية الإعجاز من وجهة نظر أهل السنة في إعجازه بنظمه وسر تأليفه عن سائر كلام العرب ونظومهم.

يتناول القضية تناولا مرتبا منظما، فيبدأ دراسته لأسلوب القرآن متعرضا لعدة فنون أدبية ولغوية، ويقدم للكتاب بالنص على ذلك الإعجاز البياني فيقول: "وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوًّا لا يُمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجه الآذان، وغضًّا لا يَخْلُق على كثرة الرد، وعجيبا ..."[3].

ويوضح جوانب ذلك الإعجاز في التأليف والنظم، فيرى أنها تتعلق بأمور كثيرة أهمها النظم، بمعنى سبك الألفاظ وضم بعضها إلى بعض في تأليف دقيق، ثم بين أسرار النظم القرآني فيما يأتي:

---

[1] آل عمران، الآية: 07.

[2] ابن قتيبة: مقدمة تأويل مشكل القرآن، تحقيق ونشر: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط3، المدينة المنورة، 1971، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص 03.

1– ما فيه من الجمال التوقيعي الفريد، والنسق الصوتي البديع الناشئ من تقسيم الحركة، والسكون فيه تقسيما عادلا وتوزيع حروف المد والغنة بالقسطاس المستقيم، فيتمكن القارئ له من ترجيع صوته، والترنم به حتى يصل به إلى نهاية الفاصلة، فيجد عنده راحته واستقراره، فلا يمل من قراءته ولا يسأم من تلاوته، وجعله متلوًّا لا يمل على طول التلاوة[1]، وإذا سمعه سامع وطرقت أذنه جواهر ألفاظه وأجراس حروفه في رصفها وسبكها، وترتيب أوضاعها فيما بينها شعر بلذة، وصاخت أذنه لسماعه بحب وشغف، يقول: "وغضّا ومسموعا لا تمجه الآذان"[2].

2– ما فيه من معانٍ خالدة، وما حواه من علوم خارجة عن متناول البشر، يقول: "لا يخلق على كثرة الرد، وعجيب لا تنقضي عجائبه ومفيدا لا تنقضي فوائده"[3].

3– ما فيه من المعاني البلاغية التي تعتمد على دقة التعبير وإجادة التصوير بأسلوب يثير الخيال، ويحفز على العمل، وقد ذكر منها "ابن قتيبة" الإيجاز الذي هو التعبير عن المعاني الكثيرة، بدقة ذلك معنى قول رسول الله ﷺ: "**أوتيت جوامع الكلم**"، ثم يقول: فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله تعالى: "خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ "[4]، كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم، ثم يقارن بين إيجاز النظم القرآني، والإيجاز في سائر الكلام.

ويظهر تفوق الأول على الثاني، يقول في قوله تعالى في المنافقين: " يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ"[5]، فدلّ على حينهم واستشرافهم لكل ناعر

مرْهِج* على الإسلام وأهله، وأخذ هذا المعنى شاعر من الشعراء وأتى له هذا الاختصار فقال:

ولو أنها عصفورةٌ لحسبْتَها مُسَوّمَةٌ تدعو عُبيداً وأزنما

---

[1] ابن قتيبة: مقدمة تأويل القرآن ، ص 03.

[2] المرجع نفسه، ص 03.

[3] المرجع نفسه، ص 03.

[4] الأعراف، الآية: 199.

[5] سورة المنافقون، الآية:04

* الرهج: الغبار والشغب، الناعر: الصائح.

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا تدعوها هاتين القبلتين[1].

4- ما فيه من اختصار وحذف، "من ذلك أن يأتي بالكلام مبينا أن له جوابا، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب له ويمنحه بعدا تداوليا كقوله تعالى: "وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"[2]، أراد لعذبكم فحذف"[3].

إن المتأمل في كلام "ابن قتيبة" عن النظم لا يعدو إلا أن يكون وصفا عاما لا يتجاوزه إلى الشرح والتفسير وبيان دقائقه وأسراره.

1- ب الباقلاني (ت 404هـ) ... النظرة الشمولية:

كان "أبو بكر الباقلاني" سنيا أشعريا، لقب بسيف السنة ولسان العرب، فكان المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق "أبي الحسن الأشعري"، وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته[4].

وقد دافع "الباقلاني" كثيرا عن القرآن وعن الإسلام بما أوتي من حجة وقوة وبرهان، فعرف بين مترجميه بكتبه الكلامية في الرد على الطاعنين والمخالفين، ويدل على ذلك ما تركه من آثار مدونة، أشهرها: التمهيد والإرشاد، الانتصار لصحة نقل القرآن بالإضافة إلى كتاب إعجاز لقرآن الذي يعد دراسة شاملة لموضوع الإعجاز.

إنّ ما كتبه "الباقلاني" في إعجاز القرآن وفي الانتصار لصحة نقل القرآن، وما كتبه في التمهيد يشكل دراسة تامة لبيان القرآن وأثره وصلته بالبيان العربي عامة، إلى جانب النواحي الكلامية في الإعجاز"[5].

---

[1] ابن قتيبة: تاويل مشكل القرآن، ص 08.

[2] النور، الآية: 20.

[3] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 214.

[4] ينظر: الباقلاني القاضي أبو بكر بن الطيب: الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، ج1، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2001، ص 19.

[5] محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع هجري، ط1، مكتبة الشباب، ص 268.

ودراسات "الباقلاني" في الإعجاز القرآني تكاد تنحصر في ثلاثة أوجه كالآتي[1]:

1– تضمن القرآن الإخبار عن الغيب.

2– أمية الرسول ﷺ، والمعلوم من حاله أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ.

3– أنّ القرآن بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.

وبديع النظم المتضمن لإعجازه ينقسم عند "الباقلاني" إلى وجوه عشرة نوجزها كالآتي[2]:

1– ما يرجع إلى جمله، فالقرآن في جملته خارج عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز عن أساليب الكلام المعتاد، فليس هو شعرا على اختلاف أنواعه، ولا موزونا غير مقفى، ولا معدلا مسجوعا، ولا معدلا موزونا غير مسجوع، ولا مرسلا إرسالا، ولا هو من باب السجع ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر، مغاير لأصناف كلامهم وأساليب خطابهم، فهو خارج من العادة معجز.

2– أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف في البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر، وإنّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة على ما يقع فيها من اختلال.

3– أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام وأعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة (...)، ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف حسب اختلاف هذه الأمور.

[1] الباقلاني: إعجاز القرآن: تح: السيد صقر، دار المعارف، مصر، ص 33-35.
[2] المرجع نفسه، ص 35-47.

4– أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوت بينا في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب واالتبعيد وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع، ألا ترى كثيرا من الشعراء قد وصف بالتنقص عند التنقل من معنى إلى غيره، والخروج من باب إلى سواه ... على أنّ القرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد، وهذا أمر عجيب تتبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرب.

5– وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة، يخرج عن عادة كلام الأنس والجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا.

6– وهو أن الذي ينقسم إليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة.

7– وهو أن المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع.

8– وهو أن الكلام يبين فصله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذه الأسماع وتتشوق إليه النفوس، ويرى رونقه باديا غامرا سائر ما تُقرن به،كالدرة التي ترى في سلك من خرز وكالياقوتة في واسطة العقد.

9– وهو أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتحت فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف أوائل السور من حروف المعجم نصف جملة، وهو أربعة عشر حرفا ... ليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينتظمون بها

كلامهم، والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليه وجوهها أقسام نحن ذاكروها.

10- وهو أنه سهل سبيله، فهو خارج من الوحشي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبا إلى الأفهام، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول غير مُطمع مع قربه في نفسه، ولا مُوهم مع دنوه في موقفه أن يقدر عليه أو يظفر به.

وإعجاز القرآن في نظمه وبيانه منصب عنده على القرآن كله كوحدة وجملة لا تفصيلا، كنص كامل له ميزاته وصفاته التي تميزه عن أقوال العرب وفنون كلامهم، "لهذا نراه يعارض فكرة الإعجاز البلاغي الذي يتعرض للتحليل الجزئي للعبارة والبحث عن ضروب البيان والبديع، ومجاز القول"[1]، ويرفض القول بفصاحة الألفاظ وحدها، يقول: "ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها، وليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة، ومترتبة في الوجود وليس لها نظم سواها، وهو لتتابع الحركات ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض"[2].

فيأخذ بفكرة النظم التي نادى بها الخطابي وقال إن ترتيب الألفاظ في العبارة خاضع لترتيب معانيها في النفس، وذكر أن النظم القرآني بوجه عام هو تأليف الألفاظ بعضه مع بعض وأن أسلوبه مختلف عن الكلام المعتاد عند البشر.

ويرى أنه ينبغي للإنسان كي يدرك أسرار الإعجاز أن يكون بصيرا باللغة، خبيرا بفنون القول، متمكنا، نقادة يجيد التمييز بين الأساليب، ولتلك الخبرة أصولها من الإلمام الواسع بالعربية، والشعر مع الموهبة الخاصة الفطنة[3].

وكثيرا ما ينظر "الباقلاني" إلى أسلوب القرآن نظرة شاملة، "ويظهر هذا من تناوله بالتحليل سورة بتمامها، يتدرج فيها ليظهر ما تنطوي عليه من خصائص في النظم لا تقتصر على مجرد روعة

[1] محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 270.
[2] الباقلاني: التمهيد، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957، ص 151.
[3] ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 171.

استعارة أو بلاغة تشبيه يرد في آية أو عبارة قصيرة، وإنما إعجازه منصب عليه جملة لا تفصيلا، فالسورة – لا الآية – أصغر وحدة فنية موضوعية في القرآن يمكن الحكم عليها بإعجاز النظم أو بالبلاغة وروعة البيان"[1]، وبذلك يكون قد خرج عن منهج السابقين وآرائهم ودراساتهم إذ اعتبروا الآية أو العبارة أو بيت الشعر، أو شطره أساسا لبحوثهم النقدية والبلاغية، ومن ثم لأحكامهم في بيان القرآن.

يتناول "الباقلاني" تحليل سورة النمل تحليلا "طريفا – لعله لم يسبق إليه – بكون السورة وحدة فنية موضوعية، فيحللها من ناحية النظم، متعرضا لألفاظها، ومعانيها، وتآلف الألفاظ والمعاني في نظم رائع، وصلة الفاصلة بالنظم، ويقوم بتقريب معاني السورة وشرح مواطن الجمال فيها ..."[2].

إذ يعمد إلى تحليل سورة النمل جملة وقد اعتاد غيره الوقوف عند الآيات المفردة، يفسر غريبها، ويبين ما فيها من جمال اللفظ والمعنى في حدود البديع والبلاغة، يقول في هذا الصدد: "ثم اقصد إلى سورة تامة فتصرف في معرفة قصصها، وراع ما فيها من براهينها وقصصها، تأمل السورة التي يذكر فيها النمل، وانظر في كلمة كلمة وفصل فصل"[3].

ليتحدث بعدها عن جمال النظم القرآني وأنه قدر مشترك في كل آية وسورة قائلا: "ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا: من عجيب النظم، وبديع الرّصف؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامّتها ذواتها: تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل"[4].

تحدث الباقلاني عن قضايا الفصل والوصل وعلاقة بداية السورة بنهايتها، ودور مقدمة السورة أو افتتاحيتها في التماسك الكلي الشامل للسورة، وترابط موضوعها، حيث نجده يضم الفواتح والخواتم

[1] محمّد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 286.
[2] محمّد زغلول سلام: المرجع نفسه، ص 291-292.
[3] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 189.
[4] الباقلاني: المرجع نفسه، ص 190.

والمبادئ، والمناسب والمطالع إذ يقول: "فأجل الرأي في سورة سورة، وآية آية، وفاصلة فاصلة، وتدبر الخواتم والفواتح والبوادي والمقاطع، ومواضع الفصل والوصل"[1].

يبيّن "الباقلاني" في فضل النظم القرآني، وفنون التعبير فيه بشكل عام لا يرتكز على مجرد الأسلوب، أو العبارة، ولا يهتم بالاستعارة والتشبيه، أو التقديم والتأخير، أو الإيجاز أو الإطناب ... "إنما يصب اهتمامه على التعبير القرآني في السورة عامة، وإطراد المعاني فيها وتآلفها، ومدى دلالة النظم عليها في صوره المختلفة، كالتآلف بين الألفاظ، والترابط في السور البيانية، والمعاني المعبر عنها، والموسيقى الخافتة، والصائتة، الناتجة من انسياب الألفاظ في سهولة ويسر، ومن توقيع الفواصل توقيعا يساعد على فهم المعاني"[2].

ومن ثمة أدرك "الباقلاني أن البلاغة في حد ذاتها لا يمكن أن تكون برهانا على الإعجاز كما حاول "الرماني" وسبقه "أبو هلال العسكري"، لأن البلاغة في نطاق البشر، بينما بلاغة القرآن مقترنة في نسقه المحكم، بحيث لا يقال في التشبيه معجزة.

يقدم "الباقلاني" نظرة أخرى تجمع بين التحليل بين التحليل البصير والتذوق الرفيع، حيث تناول تفسير انسجام الآيات رغم تباعد مقاصدها، فقد نجد آيات "متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البعيد أشد تآلفا من الشيء المؤتلف في الأصل".

ويعرض "الباقلاني" كمًّا هائلا من الأمثلة من آيات القرآن تأكيدا على وجهة نظره حين حاول تفسير انسجام القرآن رغم تعدد مواضيعه، من حيث الانتقال من غرض إلى غرض، ومن موضوع إلى موضوع، "ومن حيث الخلوص من شيء إلى شيء، فمن احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار، ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعليّ الضم"[3].

---

[1] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص193.

[2] محمّد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص 285-286.

[3] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 197.

ومن عجيب تعادل البلاغة والنظم في القرآن كله، ما أشار إليه "الباقلاني" بقوله: "ولست أقول هذا لك في آية، دون آية وسورة دون سورة، وفصل دون فصل، وقصة دون قصة، ومعنى دون معنى، لني قد شرحت لك أن الكلام في حكاية القصص والأخبار في الشرائع والأحكام في ما عداه من الأمر ... ونذكر من الأحكاميات آيات أخرى"[1].

نشير في الأخير إلى أن "الباقلاني" بكتابه إعجاز القرآن قد ساهم في بناء صرح البلاغة العربية، والخروج بالدرس البلاغي من التحسس الانطباعي إلى التذوق الرفيع المؤسس على نظريات واضحة، تؤيد مذهب أهل السنة والجماعة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، بحيث استطاع أن ينظر إلى النص من حيث ائتلافه وتلاحمه نظرة كلية شاملة، ولذلك يكون قد فتح بابا جديد في تناول إعجاز القرآن البلاغي والفني.

2- النظرية النحوية:

2- أ الجرجاني: النظم – التعليق:

كان فضل "الجرجاني" (ت 471 هـ) كبيرا في دراسة موضوعات تتعلق بنحو النص وبيان آليات انسجامه، إذ يعد من أوائل الذين أشاروا إلى مصطلحات مثل: (التضام: Collocation)، النظم، البناء، التركيب، في دراسته للنحو، وذلك من خلال نظرية النظم، حيث حرص "عبد القاهر" على "ربط النحو بالدلالة وبين أهمية هذا الربط، وضرورة اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي، تلك العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها، ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب "تشومسكي الثاني" "مظاهر النظرية النحوية"، والذي ظهر بعد كتابه الأول بعشر سنوات"[2].

وقد كان لإدراك "الجرجاني" لطبيعة علم النحو أثر بارز في خدمة نحو النص وبناء وفهم النصوص، حيث يقول: "واعلم أن ليس لنظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك

[1] الباقلاني: إعجاز القرآن، ص: 200.

[2] حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 37.

فلا تخل بشيء منها"[1]. فعبد القاهر الجرجاني لا يقصد من النظم إلا تأليف الكلام وفقا لأبواب النحو المختلفة.

يعمد "عبد القاهر الجرجاني" إلى توضيح مفهوم النظم*الحقيقي بقوله: "إنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله"[2].

ويضيف قائلا: "وأوضح من هذا كله وهو أن هذا النظم الذي يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجل صنعه يستعان عليها بالفكرة لا محالة، وإذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة ويستخرج بالروية فينبغي أن ينظر في الفكر بما تلبس: أبالمعاني؟ أم بالألفاظ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك"[3].

وعليه ليس للألفاظ مزية وهي منفردة بعيدة عن التعبير، إنما ميزتها وتخصيصها يكون إذا توخي فيها نظم معين، ويتم ذلك بترتيب الألفاظ بعدها خَدم للمعاني وتابعة لها، وإلى معنى التأليف والترتيب أشار "الجرجاني" في كتابه أسرار البلاغة قائلا: "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"[4]. وعليه فاللفظة عند عبد القاهر لا أهمية لها في ذاتها بل أهميتها في موقعها من الجملة « وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلاّ

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح/ مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد محمود الشنقيطي، تعليق: مُحَمَّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 64.

*جاء في لسان العرب: « النظم: التأليف نظمه ينظمه نظما ونظاماً ونظمه فانتظم وتنظَّم، ونظمت اللُّؤلؤ أي جمعته السِّلك، والتنظيم مثله ومنه نظمْتُ الشِّعر ونظمته ونَظَمَ الأمر على المثل. وكل شيء قرنته بآخر أو ضَمَمْتَ بعضه إلى بعض، فقدنظمته... » . ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 469.

وجاء في القاموس المحيط: «النَّظم: التأليف، وضم الشيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظاما ونظاما ونظَّمه: ألفه وجمعه في سلك فانتظم، والمنظوم: الجماعة من الجراد، وثلاثة كواكب من الجوزاء والثُّريا والدُّبران...»[2].الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1، 1330هـ، مادة "نظم.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 42.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 42.

[4] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تعليق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، ط3، مكتبة القاهرة، مصر، 1979، ص 96.

وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها ... لأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة للمعنى التي تليها »[1]، فالحسن راجع إلى النظم دون اللفظ بمعنى أن الفصاحة لا تكمن في تخير الألفاظ المنمقة بعيدا عن جارتها، وإنّما تكمن في حسن اختيار اللفظة في موقعها المناسب لها، مراعيا في ذلك ما يليها وما يسبقها من جارتها متوخيا في ذلك معاني النحو وأحكامه .

فالنظم هو أن يقتفي الناظم في نظم الكلمات آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، لذلك يقول "الجرجاني": "إنك ترتب المعاني أولا في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك"[2]، فالألفاظ عنده رموز للمعاني، وهي أوعية لها تتبعها في مواضعها في السياق، وأن الألفاظ سمات للمعاني وضعت لتدل عليها، و"أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرك في ترتيب الألفاظ، بل تجدها ترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[3].

فالنظم عند "الجرجاني" لا معنى له غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم: "وليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق، بل تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[4]، وتوخي معاني النحو يقصد به توخي تلك المعاني الدالة على المعقولية والتي لا تخالف المنطق العقلي ولا اللغوي.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 38.
[2] المرجع نفسه، ص 349.
[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 44.
[4] المرجع نفسه، ص 41.

وبذلك يكون النظم: "نظير للنسيج والتأليف والصياغة والبناء مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"[1].

ويضيف قائلا: "هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا يرجح صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عوامل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة النظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"[2].

وهنا يمكن القول إن "عبد القاهر الجرجاني" قد أولى للجانب الدلالي الأهمية التي أولاها للتركيب النحوي وأن كليهما في الميزان راجحان، ولا ينبغي أن ننسب الواحد منهما فضلا أو تمييزا على الآخر، فهما يتضافران من أجل الوصول إلى النظم البليغ "واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباقي يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك"[3]، وهذا ما يسميه "عبد القاهر الجرجاني" بالترابط العضوي، بحيث يصعب على المرء أن يتخلى عن أي رابط وإلا كان التفكك والضعف وفسد النظم.

وهكذا نقول إن التعليق حسب عبد القاهر هو ارتباط الألفاظ بعضها ببعض، سواء كانت أسماء أم أفعال أم حروف، ذلك أن ترتيب الألفاظ يكون بحسب ترتيب المعانيفي النفس، فالألفاظ أوعية للمعاني وخدم لها، ومن هذا الربط والتشابك يكون النظم حسب قول عبد القاهر الجرجاني": "لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعضها، وتجعل هذه

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 65.
[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 73-74.

بسبب من تلك"[1]، فالنظم ليس مجرد ضم الألفاظ بل يتعداه إلى عملية التعليق*، ولا يفهم بالتعليق ههنا تعليق الألفاظ ببعضها البعض إنما: "التعلق يكون فيما بين معانيها لا فيما بينها أنفسها"[2]، و"لو كان التعلق يكون بين الألفاظ لكان ينبغي أن لا يختلف حالها في الائتلاف عن حالها في الاختلاف"[3]. ولكن ما قصده عبد القاهر يتعدّى هذا حيث بنى نظريته على "التعليق" الذي يعدّه أساس النظم الذي قصد به، حسب تمّام حسّان في قوله: « وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ولا البناء والترتيب، وإنما كان " التعليق "، وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية »[4] ومما هو واضح من كلام " تمّام حسّان " أن الشيء البارز والمميز لنظرية النظم عنده هو فكرة تعليق الكلم بعضه ببعض، وليس النظم في حد ذاته.

تخضع عوامل الربط بين الجمل والعبارات التي يتألف منها الكلام لما يتطلبه السياق، المعنى والموضوع يقول: "واعلم أن ليست المزية واجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض، فالتنكير لا يروق في كل مقام والتقديم لا يروق في كل مقام، وليس من فضل أو مزية لشيء من ذلك إلا بحسب الموضع وبحسب المعنى"[5]، إن ما نستشفه من هذا القول هو أن العلاقات القائمة بين الجمل تستمد وظيفتها من مضمونها في الربط.

إن المتأمل في كلام "عبد القاهر" في باب "الفصل والوصل" يتبين أن اهتمامه ينصرف إلى دراسة عطف الجمل بعضها على بعض وليس عطف الألفاظ المفردة يقول: "وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 44.

* وعَلَّقَ الشيء بالشيء ومنه وعليه تَعْلِيقًا: ناطه. والعِلاَقَةُ: ما عَلَّقْتَهُ به، وتَعَلَّقَ الشيء: عَلَّقَهُ من نفسه، ينظرابن منظور:لسان العرب، مادة: علّق.

[2] المرجع نفسه ، ص 359.

[3] المرجع نفسه ، ص 359

[4] تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة المغرب، د ط، 1994م، ص188.

[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 69.

موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل، ويتصرف في التعريف والتفكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"[1].

وهذا ما يقر به من مباحث "نحو النص" التي تركز على قضية الربط بين الجمل من الناحيتين اللفظية والدلالية، خير دليل على ذلك قوله في مقدمة باب الفصل والوصل: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة"[2].

ينطلق "عبد القاهر" في كلامه على عطف الجمل بعضها على بعض من المعنى الذي يفيده عطف المفرد على المفرد، خاصة في العطف على الجملة التي لها محل من الإعراب، ويوضح هذا في قوله: "واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها، ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وانه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أوله، شريك في ذلك"[3].

يشير "عبد القاهر" إلى أن الجمل المعطوف بعضها على بعض تنقسم على ضربين[4]:

الأول: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب.

الثاني: أن لا يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 64-65.
[2] المرجع نفسه، ص 170.
[3] المرجع نفسه، ص 171.
[4] المرجع نفسه، ص 171.

ساق "عبد القاهر" مثالا للضرب الأول: مررت برجل خُلقه حسن وخلقه قبيح، فحكم الجملة الأولى أنها في موضع جر صفة للنكرة وعليه يكون حكم الثانية أنها في موضع جر أيضا، وهذا الضرب لا إشكال فيه، ذلك بأنه يجري مجرى عطف المفرد على المفرد.

أما الضرب الثاني: فهو الذي يقع فيه الإشكال، وقد ساق "عبد القاهر" مثالين له هما: "زيد قائم وعمرو قاعد"، و"العلم حسن والجهل قبيح"، يعلق "الجرجاني" على هذين المثالين قائلا: "لا سبيل لنا إلا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه"[1].

ويعمد "عبد القاهر" في تفسيره لهذا الضرب، وتحديد وظيفة الواو، ألا وهي الإشراك إلى تفسيرها في ضوء ثلاثة معايير هي: معنى جمع والنظير والشبيه والنقيض والتضام النفسي والتضام العقلي[2].

– معنى الجمع:

يقول "عبد القاهر الجرجاني": "وذلك ألا نقول: زيد قائم وعمرو قاعد، حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني"[3]، ويضيف: "ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه لم سيهتم؟، فلو قلت: خرجت اليوم من داري، ثم قلت: وأحسن الذي يقول بيت كذا قلت ما يضحك منه"[4]، ومن هنا عابوا "أبا تمام" في قوله:

لا والذي هوَ عالمٌ أنَّ النوى صَبِرٌ وأنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم "أبي الحسين" ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك"[5].

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 171.
[2] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 102-104.
[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 172-173.
[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 173.
[5] المرجع نفسه، ص 173.

– النظير والشبيه والنقيض:

يقول "الجرجاني": "ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول"[1].

"فلو قلت: زيد طويل القامة وعمرو شاعر، كان خلفا لأنه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وإنما الواجب أن يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، وزيد طويل القامة وعمرو قصير"[2].

– التضام النفسي والتضام العقلي:

وهنا يقدم "عبد القاهر" تفسيرا تداوليا للعطف، من خلال علاقة المتلقي بالنص، ففي المثال: "زيد قائم وعمرو قاعد" زيد وعمرو لا يفترقان في ذهن المتلقي، حتى أنه إذا عرف حال أحدهما تاق إلى معرفة حال الثاني: "مثل أنهما إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مُشْتَبِكى الأحوال على الجملة كانت الحال التي يكون عليه أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك"[3]، وهذا ما يسمى بالتضام النفسي، وهو مبدأ خاص بمتلق معين، ولا يصلح لأي متلق، فهو إذا نسبي، أما التضام العقلي فهو: "مبدأ عام يرتبط بمعان يعرفها الناس"[4]، ويمثل عبد القاهر لذلك بـ: "العلم حسن والجهل قبيح، لأن كون العلم حسنا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيح"[5].

نخلص مما سبق إلى أن العطف بين الجمل عند "الجرجاني" لا يحكمه مبدأ نحوي فقط الذي هو الاشتراك في الحكم الإعرابي وإنما تحكمه أيضا مبادئ متنوعة من نحو:

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 173.

[2] المرجع نفسه، ص 173.

[3] المرجع نفسه، ص 173.

[4] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 104.

[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 173-174.

- معنى الجمع: الشّبيه والنظير والنقيض.

- التضام النفسي: بالنسبة للأشخاص (وهو مبدأ نسبي).

- التضام العقلي: بالنسبة للمعاني (وهو مبدأ عام).

ويمكن القول إن الضربين – السابق ذكرهما – يندرجان في قسم واحد، وهو عطف جملتين متجاورتين لا يفصل بينهما، ليتحدث بعد هذا عن قسم آخر من العطف بين الجمل، هو عطف جملتين مفصولتين عن بعضهما بكلام آخر، يقول "عبد القاهر الجرجاني": "هذا فن من القول خاص دقيق، اعلم أن ما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤدي بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان، مثال ذلك: قول المتنبي (الوافر):

تَوَلّوْا بَغْتَةً فَـكَأنّ بَيْنـــاً ** تَهَيّبَني فَفاجـــأني اغْتِيـــالا

فَكانَ مَسيرُ عيسِهِمِ ذَميلاً ** وَسَيرُ الدَمعِ إثرَهُمُ اِنهِمـــالا [1]

يسلك "الجرجاني" في معالجة هذا القسم من العطف طريقتين أولاهما قائمة على الشرح والثانية قائمة على القياس: قياس العطف على الشرط والجزاء.

يقول: "فكان مسير عيسهم"، معطوف على "تولوا بغتة" دون ما يليه من قوله: ففاجأني"، لأنا إن عطفناه على الذي يليه أفسدنا المعنى، من حيث أنه يدخل في معنى "كأن" وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة، ويكون متوهما، كما كان تهيب البين كذلك"[2]، ومن ثمة فهو يدخل في إطار عطف جملة على جملة ليست مجاورة لها.

إضافة إلى هذا يرى "الجرجاني" أن العلاقة بين الشطر الأول وبين الشطر الثاني من البيت الأول قوية، يقول: "أنك إذا نظرت إلى قوله: "فكان مسير عيسهم ذميلا" وجدته لم يعطف هو وحده على

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 188.
[2] المرجع نفسه، ص 188.

ما عطف عليه، ولكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطا آخره بأوله، ألا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتة وعلى الوجه الذي توهم من أجله أن البين تهيبه، مستدعيا بكاءه وموجبا أن ينهمل دمعه فلم يعنه أن يذكر ذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع وان يوفق بينهما"[1].

وهكذا برهن "الجرجاني" على ترابط المعنى في الشطرين الأول والثاني واتصال البيت الثاني بالأول، ومن ثمة على تماسك النص كله، باعتبار أن المعطوف عليه ليس هو الشطر الأول من البيت الثاني فحسب وإنما البيت كله، يقول "عبد القاهر الجرجاني": "إن أمر العطف إذن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضا على بعض ثم تعطف مجموع هذه على مجموع تلك".[2]

كان هذا هو الإجراء الأول، أما الثاني: وهو قياس العطف على الشرط، فتجده يقول: "ينبغي أن يجعل ما يصنع في الشرط والجزاء من هذا المعنى أصلا يعتبر به"[3]، يمثل لذلك بقوله تعالى: "وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا "[4]، فالشرط هنا في الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها، لا في كل واحدة على الانفراد: "لأنا إن قلنا في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين، وليس معنا إلا جزاء واحد"[5]، هذا من حيث القرينة النحوية، أما المعنوية فالمعلوم أن: "الجزاء هو احتمال البهتان والإثم المبين أمر يتعلق إيجابه بمجموع ما حصل من الجملتين، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد، ولا لرمي البريء بالخطيئة أو إثم ."[6].

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 189.
[2] المرجع نفسه، ص 189.
[3] المرجع نفسه، ص 189.
[4] النساء، الآية:112.
[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 190.
[6] المرجع نفسه ، ص 190.

يقول "مُحَمَّد خطابي" في ذلك: "إنما قاس الجرجاني هذا النوع من العطف على الشرط والجزاء ليظهر الطبيعة المركبة لعطف المجموع على المجموع، واحتياج هذا إلى ذاك كي يتم الكلام ويستقيم المعنى، ويتضح تماسك الخطاب بمراعاة طبيعة التركيب هذه وتوقف المعنى عليها"[1].

وإذا كان "الجرجاني" قد اهتم بارتباط الجمل بعضها ببعض بواسطة الواو، فإنه لا يفتأ يؤكد أن العطف لا يروق في كل سياق، ولا يعذب في كل حين ويستحسن تركه والاستغناء عنه، وقد لا يؤدي تركه إلى افتراق الجمل والعبارات وتجريدها من الترابط، بل يبدو الكلام أشد ترابطا منه في وجود العطف[2]،وفي ذلك يقول "عبد القاهر الجرجاني": "يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف العطف يربطها وهي كل جملة مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها"[3].

فالجرجاني هنا: "يهتم بالعلاقة الخفية القائمة بين الجمل المشكلة للخطاب، وهي علاقة لا تعتمد على رابط تشكيلي ظاهر سطحي"[4]، يتجلى ذلك في قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ"[5]، يقول "الجرجاني": "قوله تعالى: لا يؤمنون، تأكيد لقوله: سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، وقوله: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، تأكيد ثان أبلغ من الأول؛ لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعا على قلبه لا محالة"[6].

بهذا المعنى يعد تأكيد جملة لأخرى وسيلة هامة من وسائل تماسك الخطاب النصي.

[1] مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص 106.
[2] ينظر: إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، بحوث وقراءات، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص 231.
[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 175.
[4] مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص 107.
[5] البقرة، الآيات: 06-07.
[6] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 175.

أما قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ"[1]، يعقب عليه "الجرجاني" قائلا: "قوله تعالى: الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون، الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: إنما نحن مستهزؤون، وذلك لأنه ليس بأجنبي عنه، بل هو نظير ما جاء معطوفا من قوله تعالى: "إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا "[2]، وقوله: "وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ "[3] وما أشبه ذلك مما يرد فيه العجز على الصدر، ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف"[4]، "المبرر الذي يقدمه الجرجاني هو اختلاف صيغة الخطاب"[5]، "قوله تعالى: إنما نحن مستهزؤون" حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى، وقوله تعالى: "الله يستهزئ بهم" خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم ... وليس كذلك الحال في قوله تعالى: "يخادعون الله وهو خادعهم" و"مكروا ومكر الله"، لأن الأول من الكلامين فيهما كالثاني في أنه خبر من الله تعالى وليس بحكاية"[6].

بناء على ما تقدم تعد صيغة الخطاب أمرا "يحكم قضية الفصل والوصل في الخطاب أو النص، فإذا كانت الصيغة متماثلة حكاية أو خبرا وصل الخطاب، وإن كانت مختلفة فصل"[7].

ومن مقتضيات "فصل كلام عن كلام آخر سابق وجود سؤال مقدر غير متجل في ظاهر الخطاب، والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل زوج مكون من سؤال

---

[1] البقرة، الآية: 14-15.
[2] النساء، الآية:142.
[3] آل عمران، الآية: 54.
[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 178-179.
[5] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 108.
[6] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 179.
[7] محمد خطابي، لسانيات النص، ص 108.

مقدر وجواب ظاهر"[1]، يمثل "الجرجاني" لهذا بنوعين من النصوص شعرية وقرآنية، منها قول الشاعر (الكامل):

زَعَمَ العَواذِلُ أنَّنِي في غَمْرَةٍ صَدَقُوا ولَكِنْ غَمْرَتِي لا تَنْجَلِي

"لما حكى عن العواذل أنهم قالوا: هو في غمرة، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك وما جوابك عنه؟ أخرج كلامه مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له ..."[2] ولو عطف لما كان كلامه كلام مجيب.

وبهذا المعنى ساهم زوج الاستفهام / الجواب في جعل الكلام متصلا بعضه ببعض دون وجود رابط شكلي.

وفي قوله تعالى: "فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ"[3]، يعقب عبد القاهر قائلا: "جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذ قيل لهم، دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا فما قال هو؟ ويقول المجيب: قال كذا ... وكذلك قوله: "قال ألا تأكلون، وذلك أن قوله: "فجاء بعجل سمين فقربه إليهم"، يقتضي أن يتبع هذا الفعل بقول، فكأنه قيل، والله أعلم: "فما قال حين وضع الطعام بين أيديهم؟" فأتى قوله: "قال ألا تأكلون" جوابا عن ذلك، وكذا: "قالوا لا تخف"، لأن قوله: "قال ألا تأكلون" جوابا عن ذلك، وكذا "قالوا لا تخف" لأن قوله: فأوجس منهم خامره، فكأنه قيل: "فما قالوا حين رأوه وقد تغير ودخلته الخيفة؟"، فقيل: "قالوا لا تخف""[4].

[1] مُحَمَّد خطابي، لسانيات النص، ص 109.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 182.

[3] الذاريات، 24-28.

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 186.

ونخلص مما سبق إلى أن الفصل بين الجمل عند "عبد القاهر الجرجاني" يحدث في ثلاثة مواضع هي: عند تأكيد جملة لجملة أخرى، وعند اختلاف صيغة الخطاب/النص، وعند بناء الخطاب على شكل زوج مكون من سؤال منفرد / جواب ظاهر، وفيها يستغني الخطاب عن الرابط اللفظي – الظاهر – لوجود الرابط المعنوي وهو وسيلة قوية من حيث ربطه بين الجمل والعبارات.

تتضح أهمية معرفة الفصل والوصل عند "عبد القاهر الجرجاني جليا في قوله: "أنه لا يعمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة"[1]، فمن دون مراعاة قواعد الفصل والوصل لا يأتي ضمان استقامة التراكيب النحوية، وبعدم مراعاتها يضطرب المعنى ويفسد.

وبالإضافة إلى الوصل والفصل تطرق "عبد القاهر الجرجاني" إلى جملة من العوامل التي تسهم في تماسك البنية الكلية للنص كالتقديم والتأخير، الحذف، الإحالة، التعريف والتنكير، التكرار، سنحاول التطرق إليها بإيجاز.

– التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير عند "عبد القاهر الجرجاني" أحد عوامل الربط ومن مقومات نظريته في النظم، يقول في صدر حديثه عن باب التقديم والتأخير: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[2]، فالتقديم والتأخير متلازمان، يعني أن كل تقديم يستلزم تأخيراً، وكل تأخير يبني عليه تقديم، فتقديم المسند – على سبيل المثال لا الحصر– يقتضي بالضرورة تأخير المسند إليه وهكذا... والتقديم عند عبد القاهر نوعان[3]:

– تقديم على نية التأخير: وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وجنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك:" **منطلق زيد** "، " **وضرب عمراً زيد** ".

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 171.
[2] المرجع نفسه ، ص 83
[3] المرجع نفسه ، ص 83 – 84.

– **تقديم لا على نية التأخير**: وفيه أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له « ضربت زيداً » و« زيدٌ ضربته » لم تقدم زيداً على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له.

وذهب عبد القاهر إلى أن التقديم والتأخير في الكلام يكون لعلل بلاغية يقتضيها النظم، وعاب عبد القاهر عليهم تصغير شأن التقديم والتأخير، حيث قال في هذا المقام :«وقد وقع في ظنون الناس يكفي أن يقال: " إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهم ؟ ولتخيلهم ذلك، قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه، حتى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلّف ولم ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه»[1].

* **الحذف**: أولى عبد القاهر الجرجاني اهتماما بالغاً، وكان أبرز الذين تطرقوا إليه بالشرح والتوضيح محاولا أن يبيّن القيمة البلاغية للحذف، وقد أشار بداية إلى أهمية الحذف ومكانته قائلا: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن »[2].

أوضح "عبد القاهر الجرجاني" أهمية الحذف من ناحيتين:

الناحية الأولى: في إفادته ودلالته، إذ يقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[3].

الناحية الثانية: أثره في سبك الكلام وحسن بنائه، وقد أشار إلى هذا المعنى بعد أن أورد أمثلة كثيرة من الشعر تضمنت الحذف، وعلق قائلا: "فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرها واحدا واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف، إذا أنت مررت بموضع الحذف منها

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص 85.
[2] المرجع نفسه، ص 112 .
[3] المرجع نفسه، ص 112.

ثم قلبت النفس عما تجد ... ثم تكلفت أن ترد ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"[1].

يمثل الجرجاني لهذا أمثلة من القرآن والشعر تضمنت الحذف، مضيرا إلى دوره في توفير السبك النصي، ومنها قول البحتري (الكامل):

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كـرما ولم تهدم مآثـر خالـد

يعقب "الجرجاني" قائلا: "الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللفظ فليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت: "لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت إلى كلام غث، وإلى شيء يمجه السمع وتعافه النفس"[2]، ونجد أيضا: "حذف جملة فعل الشرط لدلالة المتقدم على المحذوف، لأن التقدير: لو شئت لم تهدم مآثر خالد"[3].

– الإحالة:

مع أن "عبد القاهر الجرجاني" لم يفرد بابا للإحالة مثلما أفرد بابا للفصل والوصل، إلا أنه عرض لهذه الأداة عرضا سريعا دون قصد[4]، فالمثال الذي أورده: "جاءني زيد وهو مسرع" يعد نظير لقولهم: "جاءني زيد وزيد مسرع"، من حيث الدلالة واللفظ، فالضمير هو أغنى عن تكرير "زيد"، وفي ذلك يقول: "ذلك إنك إن أعدت ذكر زيد فجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا"[5].

وهذا المثال يشبه جدا المثال الذي وقفت عنه "رقية حسن" "اغسل وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في طبق مقام للنار".

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 116.
[2] المرجع نفسه، ص 126.
[3] إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص 245.
[4] ينظر: إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص 233.
[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 166.

تقول: "فالضمير في "ضعها" هو الرابط الذي يربط الجملة الثانية إلى الأولى في وحدة تفيد العلم بمطلب معين، وإذا وضع المتكلم كلمة "تفاحات" بدلا من الضمير، فإن الرابط هنا هو تكرار كلمة "تفاحات" عوضا عنه"[1].والإحالة عند "عبد القاهر" لا يقتصر دورها على الربط بين عناصر الخطاب أو النص، إذ قد تؤدي إلى تحسين الكلام، فقول البحتري الآتي:

بلونا ضرائب من قد نـرى فما إن رأينا لفتح ضريبا

هو المرء أبدت له الحادثات عزما وشيكا ورأيا صليبا

يلحظ استخدام الضمير "هو" في بداية البيت الثاني وفضلا عن أنه ربطه بالأول أضفى على المعنى فيه شيئا من القوة[2].

– التعريف والتنكير:

وللتعريف والتنكير دور في نظم الكلام والربط بين عناصره وأجزائه، ويتضح ذلك في تحليل "عبد القاهر" أبيانا لإبراهيم بن عباس، إذ يقول: "وينكر الدهر ولم يقل: "فلو إذ نبا الدهر" ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعده"[3].

وهو يرى في "لام التعريف" أداة تتجاوز ما يراه النحاة من تحويلها النكرة إلى معرفة، "فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطا يشبه ربط الإحالة بالضمير، من حيث إنها تذكر السامع / القارئ بشيء سبق ذكره أوشيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق"[4]، ويتجلى ذلك في تعليق "عبد القاهر الجرجاني" على قول "ابن التواب" (مجزوء الوافر):

وإن قتل الهوى رجلا فإني ذلك الرجل

[1] إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص 234، نقلا عن: R. Hasan: Grammatical cohesion in spoken and written Eanglish, P 20.

[2] ينظر: إبراهيم الخليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص 234.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 69.

[4] إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص 236.

وقد جمع فيه بين الإشارة "ذلك" ولام التعريف في قوله: "فإني ذلك الرجل"[1]، وهذا في رأيه من مظاهر الإحسان في النظم والإجادة فيه، ومن ذلك أيضا قوله عز وجل: "قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا "[2].

يعقب "عبد القاهر الجرجاني": "واعلم أن في الآية شيئا من جنس النظم، وهو تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة وهو أحد ما أوجب المزية، ولو قيل: واشتعل رأس، فصرح بالإضافة لذهب بعض الحسن"[3]، وهذه الأمثلة مع جملة الشروح التي وردت عقبها يشبه ما ذهب إليه بعض المحدثين الغربيين، إذ عدّو التعريف "The" في الانجليزية أداة من أدواة الربط في الجملة الواحدة، وكذا بين الجمل[4].

– الربط بالاسم الموصول:

رأى "عبد القاهر الجرجاني" أن الاسم الموصول (الذي) من الأدوات التي تسهم في سبك النص وتماسكه وقد أفرد لها فعلا خاصا في دلائل الإعجاز، إذ يقول: "اعلم أن لك في "الذي" علما كثيرا وأسرار جمة وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها، اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يفضيبك إليه من اليقين ويؤديه إليك من حسن التبيين"[5]. ساق "الجرجاني" أمثلة عدة نذكر على سبيل المثال قوله: "ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر"[6]، تبرز أهمية "الذي" من كونها تصل بين كلام سبق أن علم به السامع، وما يريد المتكلم أن يعلم به أو يضمه إلى ما سبق العلم به، ومن ثمة يعد الاسم الموصول أداة من أدوات السبك والتماسك ووسيلة من وسائل الربط بين أجزاء النص.

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 72.
[2] مريم: الآية 04.
[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل، الإعجاز، ص 81.
[4] ينظر: إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص 237.
[5] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 154.
[6] المرجع نفسه، ص 155.

– التكرار:

يعد التكرار عند "الجرجاني" من معاني النحو التي تسهم في وحدة النص وتماسكه يمثل لذلك بأبيات من الشعر نذكر على سبيل المثال: تكرار كلمة العواذل في البيت الثاني من بيتي "جندب بن عمار":

زعم العواذل أن ناقة جنـدب بجنوب خبت عريت وأجمّت

كذب العواذل لو رأين مُناخنا بالقادسية قلــن لجّ وذلّــت

يعقب قائلا: "فقال كذب العواذل ولم يقل كذبن، وذلك أنه لما أعاد ذكر العواذل ظاهرا كان ذلك أبين وأقوى، ولكونه كلاما مستأنفا من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى تذكر ما قبله من كلام"[1]، فتكرار الشاعر لكلمة العواذل في البيت الثاني تكرار حسن لكونه مستأنفا من حيث وضعه الوضع الذي لا يحتاج معه السامع/القارئ لتذكر ما سبق.

ومن ثمة يمكن القول أن التكرار عامل من العوامل التي تحقق للنص انسجامه واتساقه.

وبناء على ما سبق يتضح جليا أن "عبد القاهر الجرجاني": "يتخطى البحث في النظم إلى إيضاح العلائق التي تربط الجملة بالأخرى، متجاوزا مهمة النحو التقليدي التي تقوم على التنظير للجملة مستقلة عما عداها من جمل"[2]، حيث تطرق إلى قواعد التماسك النحوي ومنها العطف، الإحالة، التقديم والتأخير، الربط بلام التعريف، الاسم الموضوع، التكرار، الحذف، وهي قواعد أشار إليها ونبه عليها المحدثون، منهم: رقية حسن، وهاليداي Halliday، وفان ديكDijk، ولغويون آخرون، يقول "تمام حسين": "إن دراسة عبد القاهر للنظم وما يتصل به يقر بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحداث النظريات اللغوية في الغرب، وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي"[3]، هذا

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 182، 183.

[2] إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، ص:245.

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 18.

مع احتفاظه بريادة السبق بفارق زمني واسع على الجهود الغربية.

كما يبدو أثر نظرية النظم على الكثير من المفسرين الذين حاولوا الإفادة من هذه النظرية في بيان إعجاز القرآن "ولعل الزمخشري الذي عاش في القرن السادس كان خير من توسع في تطبيق هذه النظرية"[1].

وبهذا يمكن القول: "إن النظم يمثل مكونا في نظرية لغوية لا تقل سماحتها وضوحا عن سمات أي نظرية لغوية حديثة، والواقع أن مفهوم "النظم" يمثل العمود الفقري لنظرية لغوية عربية لا تقل تكاملا عن أي نظرية لغوية حديثة، بما في ذلك نظرية فرديناند دي سوسير"[2].

ثانيا– التراث النقدي:

نشير بدءا إلى أن غايتنا ليست إثبات أو نفي وعي النقاد العرب القدامى بانسجام النص من عدمه، وإنما الهدف هو البحث والكشف عن الوسائل التي يتماسك بها النص عند هؤلاء النقاد.

1– الجاحظ : التحام الأجزاء

لقد تحدث "الجاحظ" عن التماسك والتحام الأجزاء، وقد أورد أمثلة يتجلى فيها عدم الاتساق لصوتي، ومنها البيت الشعري الذي تردد في كتب البلاغة القديمة (الرجز):

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

يقول "الجاحظ" معلقا: "إن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد، فلا يتتعتع ولا يتلجلج"[3]، ولهذا قال: "ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر، وإن كان مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه"[4].

[1] عفت الشرقاوي: بلاغة العطف في القرآن، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، 1981، ص 35.
[2] عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص 218.
[3] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ط7، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ص 65.
[4] المرجع نفسه، ص 66-67.

وعليه قرر أن: "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان (...) وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ..."[1]، وهذا بعد سماعه للبيتين اللذين أنشدهما خلف الأحمر، وأبو البيداء الرياحي على الترتيب:

وبعض قريض القوم أولاد علة يكد لسان الناطق المتـــحفظ

وشعر كبعر الكبش فرق بينهم لسان دعى في القريض دخيل

حيث عقب على البيت الذي أنشده خلف الأحمر قائلا: "إذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى أختها موافقا، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونه"[2].

وعلق على البيت الذي انشده الرياحي كالآتي: "... وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة المعاطف سهلة (...) خفيفة اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"[3]، فهو يرى أن تلاحم الأجزاء يتحقق حين تنتمي الكلمات المتجاورة إلى مستوى واحد من السهولة واللين، فتكون خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى وكأن الكلمة بأسرها حرف واحد، ولكي يزداد هذا الأمر وضوحا نضيف قول الجاحظ: "فهذا في اقتران الألفاظ، فأما اقتران الحروف، فإن الجيم لاقتران الظاء، ولا القاف ولا الطاء ولا العين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا سين والضاد، ولا الذال بتقديم ولا بتأخير"[4].

استعمل الجاحظ مصطلح (القران) في مجال الانسجام والتأليف بين أجزاء البيت، وفيما بين الأبيات نفسها في القصيدة، يقول: "قال عبيد الله بن سالم لرُؤبة: مُت يا أبا الجحاف إذا شئت قال:

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ص 67.
[2] المرجع نفسه، ص: 66-67.
[3] المرجع نفسه، ص 67.
[4] المرجع نفسه، ص 67.

وكيف ذاك؟ قال: رأيت اليوم عقبة بن رُؤبة ينشد شعرا له أعجبني قال: فقال رُؤبة: نعلم إنه يقول ولكن ليس لشعره قران"[1]، ونقرأ في هذا المعنى أيضا: "قال عمر بن لجأٍ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك ! قال: وبم ذاك؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"[2].

يفهم من هذا أن استخدام الجاحظ لمصطلح (قران)، يكون للدلالة على الحبك والترابط المعنوي، يقول: "ووصفوا كلامهم في أشعارهم فشبهوها بالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك"[3].

ومع عناية الجاحظ باللفظ بيد أنه قدم الوزن عليه في مقولته الشهيرة: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّر اللفظ"[4].

وعلى هذا الأساس يتخذ الجاحظ المبدأ الصوتي أساسا للحكم على تلاحم الأجزاء، سواء أكان الأمر متعلقا بالحروف أم بالألفاظ من حيث تجاورها، إذ بقدر ما احترم هذا المبدأ الصوتي تكون الأجزاء متلاحمة، وبقدر استبعاده تبرأت الأجزاء عن بعضها.

2- ابن طباطبا (ت 322 هـ):ضرورة التماسك

لئن كان الجاحظ قد أبدع في الكلام عن الترابط النصي، فإنه ليس الناقد الوحيد الذي تطرق إلى هذا الجانب، فلابن طباطبا – على سبيل المثال- نظرات عديدة حول قضية تماسك النص الشعري، متفرقة هنا وهناك في كتابه "عيار الشعر"، تنم أولا عن وعي ابن طباطبا بضرورة توفر شرط التماسك وثانيا على اعتبار هذا الشرط قاعدة لا ينبغي أن يحيد عنها الشاعر إن أراد أن يستحسن شعره، يقول في هذا الصدد: "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ص 205.
[2] المرجع نفسه، ص 206.
[3] المرجع نفسه، ص 222.
[4] الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ج3، ط2، مصر، ص 131.

حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه (...)"[1].

ويضيف قائلا: "ويتفقد كل مصراع، هل يشاكله ما قبله؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا ينتبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه"[2].

ينظر "ابن طباطبا" أن البيتين الآتيين قد رويا لامرئ القيس هكذا:

كأني أركب جوادا للـــذة ولم أتبطن كاعبًا ذات خِلخال

ولم أسبإ الزِّق الروي ولم أقل لخيلي كُرِّي كَرة بعد إجفـال

هكذا الرواية، قال ابن طباطبا: "وهما بيتان حسنان، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، كان أشكل وأدخل في استواء النسيج، فكان يروي:

كأني لم أركب جوادا، ولم أقل لخيلي كرّي كـرة بعد إجفـــال

ولم أسبإ الزِّقّ الرَّويَّ للـــــذة ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخـال[3]

ويشير "ابن طباطبا" في موضع آخر إلى ضرورة مراعاة الشاعر لقضية وصل الكلام بعضه ببعض، فيقول: "يحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه فنونه، صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى (...) بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله"[4].

ومفاد هذا الكلام أن القصيدة تتألف من معانٍ متنوعة تحتاج إلى صلات لطيفة تجمعها وتجعل منها كلاما موحدا أو قصيدة مترابطة، تتسلسل فيها المعاني على نحو منتظم.

---

[1] مُحَمَّد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص 129.
[2] المرجع نفسه، ص 129.
[3] مُحَمَّد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص 129.
[4] المرجع نفسه، ص 12.

تقوم الوحدة الفنية لدى "ابن طباطبا" على الاتساق النصي والانسجام العضوي والتنسيق بين الأبيات، حتى تكون القصيدة مثل كلمة واحدة في ترابطها وتشاكلها النصي، يقول فيما يعدّه شعرا حسنا: "وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيها انتظاما يتسق به أوّله مع آخره على ما يُنسقه قائله (...)، يجب أن تكون القصيدة كلمة واحدة، في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة ... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا (...) تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا لها مفتقرا إليها"[1].

يكشف هذا النص عن وعي "ابن طباطبا" بضرورة توفر الترابط النصي، ووحدة الأبيات عضويا وفنيا، الذي يضمن اتساق أول القول مع آخره، بحيث تكون القصيدة كيانا متلاحم الأجزاء.

إن الوحدة التي أشار إليها "ابن طباطبا" هي وحدة عضوية وموضوعية مبنية على الاتساق والانسجام والتنسيق والتنضيد بين الأبيات الشعرية، والتلاحم بين المبنى والمعنى، وعلى هذا الأساس يميز "ابن طباطبا" بين نوعين من القصائد واصفا كلا منهما بوصف يجلي فكرته عنه، يقول: "فمن الأشعار أشعار محكمة مقننة أنيقة الألفاظ، حكيمة المعاني عجيبة التأليف إذا نقصت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها، ومنها أشعار مموهة، مزخرفة، عذبة، تروق الأسماع والأفهام، إذا مرت صفحًا، فإذا حُصِّلت وانتقدت بُهرجت معانيها، وزُيِّفت ألفاظها، ومجّت حلاوتها، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه"[2].

فالنوع الأول المحكم يظل محتفظا بقوة معانيه وجودتها، والثاني يبهر السامع، ولكن حين يحلل يكشف عن فراغ معنوي، لا يبقى منه لدى السامع إلا أنه كان عذبا أو مزخرفا.

إن تقسيم "ابن طباطبا" للأشعار على هذا النحو، يوحي بأهمية الترابط المعنوي بين أجزاء القصيدة، فضلا عن الترابط اللغوي.

[1] مُحَمَّد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص 131.
[2] المرجع نفسه، ص 13.

يتبين لنا أن "ابن طباطبا" من أرائه النقدية هذه، وجهوده من أجل تحقيق التماسك النصي، لا يختلف كثيرا عما توصل إليه اللغويون المحدثون في هذا المجال، مع احتفاظه بحق الريادة.

3- حازم القرطاجني (ت 684هـ) ... التماسك النصي:

يسبق "حازم القرطاجني" بزمن طويل (فان دايك Van Dijk) في وصفه لكيفية تماسك الخطاب أو النص، فقد تمخض الإنتاج النقدي لحازم القرطاجني عن آلية علمية للبحث في الوسائل والعلاقات والكيفية التي يتماسك بواسطتها النص[1]، وهذا بعد استعابه لتصور فلاسفة أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد[2].

أشار "صلاح فضل" إلى محاولة "حازم القرطاجني" التي مثلت نظرية كلية تراثية إلى نص كامل قائلا: "(...) حالة فريدة لم تتكرر، ينبغي الإشارة إليها والتنويه بها، وهي التي نجدها عند بلاغي متأخر هو "حازم القرطاجني" في تحليله لأجزاء القصيدة، وتسميته لكل قسم منها فصلا، وتمييزه بين المطلع -وهو البيت الأول منها- والمقطع، وهو مكان الوقوف، ولا يعمل الإشارة إلى طريقة وصل الفصول بعضها ببعض، بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط، إذ يشترط أن يكون معنى كل فصل تابعا لمعنى سابقه، ومنتسبا إليه في الغرض، ويسمى ذلك تسمية اصطلاحية "الاطراد في تسويم رؤوس الفصول"، ويمضي في تطبيق هذه التطورات على قصيدة المتنبي، أغالب فيك الشوق والشوق أغلب، فيوردها كاملة، محللا العلاقة بين أجزائها ووحداتها المكونة على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين"[3]، ويقع ذلك في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، الذي درس فيه قصيدة "أبي الطيب المتنبي" (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب)، "دراسة شاملة من بدايتها حتى آخرها، محللا العلاقة بين أجزائها على المستويين النحوي والدلالي"[4].

---

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 149.

[2] ينظر: محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010، ص 498، 499.

[3] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، 244-245.

[4] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 137.

تطرق "القرطاجني" إلى مختلف الصلات التي تربط بين أجزاء النص فتحقق له تماسكه والتحامه، شارحا الكيفية التي يتم بها هذا التماسك، والوسائل اللغوية التي يعتمدها الشاعر في سبيل تحقيق هذه الغاية، ومن الأمور التي انتهى "القرطاجني" إلى ضرورة توفرها لكي يتحقق للقصيدة ترابطها:

I- تماسك الفصل:

يجدر بنا قبل التطرق إلى الكيفية التي يتم بها هذا التماسك حسب "القرطاجني" أن نحدد مفهوم الفصل عنده: "إنه بيتان في غالب الأحيان إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لإيصال معنى معين"[1]، وأما عن الشروط التي يتعين أن تتوفر لكي يتحقق للفصل تماسكه فهي:

1- تماسك نسيج الفصل: ولكي يتحقق التماسك بين أبيات الفصل ينبغي أن تكون: "متناسبة المسموعات والمفهومات، حسنة الاطّراد غير متخاذلة النسج، غير متميز بعضها عن بعض التمييز الذي يجعل كل بيت أنه منحاز بنفسه، لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية، بنزل بها منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر"[2]، والمقصود بعبارة (عدم تخاذل النسيج) أن يكون نسيج الفصل متماسكا غير مهلهل، فتكون جملة كأنها خيوط متداخلة فينشأ من تداخلها قطعة شبه قطعة النسيج في تماسكها وانسجامها.

2- أن يكون نمط الفصل مناسبا للغرض: المقصود بذلك محتوى الفصل الذي ينبغي أن يكون مناسبا للغرض، ويرتبط نمط النظم أيضا بالمعجم الذي ينتقي منه الشاعر ألفاظه، ويكون ذلك باختيار الوحدات المعجمية المناسبة لغرض القصيدة: "فإذا كان الغرض فخرا وجب عليه أن يختار من الألفاظ ما يتسم بالقوة والفخامة والجزالة (...) وإذا كان غرض القصيدة هو النسيب اختير من الألفاظ اللين الرقيق العذب"[3].

---

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 150.

[2] أبي الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 260.

[3] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 151.

3- وجود تسلسل منطقي في الفصول: يقول "القرطاجني" عن ذلك: "فأما القانون الثاني وهو ترتيب بعض الفصول إلى بعض، فيجيب أن يقدم في الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام (...) ويتلوه الأهم"[1]، أي أن يبدأ الفصل بالبيت الذي يتضمن المعنى المناسب لما قبله، ويرى أن يكون معنى البيت الأول هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف، والأفضل أن يتضمن معنى يقع موقعا حسنا في النفس، و"أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقا من باقي معاني الفصل مثل أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التقابل أو بعضه مقابلا لبعضه، أو يكون مقتضى له مثل أن يكون مسببا عنه، أو تفسيرا له، أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر"[2]، أشار هنا إلى العلاقات التي تقوم بين أبيات الفصل كعلاقة التقابل الكلي، وعلاقة التقابل البعضي وعلاقة الاقتضاء التي تندرج فيها علاقات فرعية، كالسببية والتفسير والمحاكاة البعضية، وهي علاقات معنوية تسهم في تماسك الفصل.

II- تماسك الفصول:

وردت في خاتمة لكلام "حازم" عن تماسك الفصل إشارة خاطفة تمهد السبيل للانتقال من شروط ترابط الفصل إلى ترابط الفصول كالآتي: "وربما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه"[3]، يشير هنا إلى أن من وسائل الربط بين الفصول التلميح في نهاية الفصل إلى أحد أغراض الفصل الذي يليه أو الإشارة إلى أحد معانيه.

ثم يحدد "حازم" أربعة أضرب للاتصال بين الفصول[4]:

[1] القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 260.
[2] المرجع نفسه، ص 261.
[3] القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 262.
[4] المرجع نفسه، ص 262-263.

– **ضرب متصل العبارة والغرض:** يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقة من جهة الغرض، وارتباط من جهة العبارة، بأن يكون لبعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الفصل الآخر من جهة الإسناد والربط.

– **ضرب متصل الغرض منفصل العبارة:** فهو الذي يكون أول الفصل فيه رأس كلام، ويكون لذلك الكلام علقة بما قبله من جهة المعنى.

– **ضرب متصل العبارة منفصل الغرض:** وتقوم العلاقة بين الفصلين أو الفصول على الروابط الشكلية، ويكتفي "القرطاجني" بالتعليق الآتي: هذا الضرب منحط على الضربين اللذين قبله، في إشارة واضحة إلى أنه يميل إلى العلاقة العميقة (المعنوية) بين الفصول المشكلة للقصيدة.

– **ضرب منفصل الغرض والعبارة:** وهو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسبا له، بل يهجم على الفصل هجوما من غير إشعار به مما قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر، فإن النظم الذي بهذه الصفة مشتت من كل وجه.

أشار "القرطاجني" إلى بعض العلاقات بين الفصول أهمها علاقة الجزء والكل، التي تسهم في تماسك الفصول، يقول "حازم القرطاجني": "ومن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمنها معاني جزئية تكون مفهوماتها شخصية، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمنة إياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية"[1].

لم يقف "القرطاجني" عند الاهتمام بالعلاقات بين أبيات الفصل الواحد، ولا عند العلاقة بين الفصول وإنما تجاوزه ذلك إلى بعض الشروط التي ينبغي أن تراعي عند كل مطلع وكل نهاية، "بأن يكون البيت الذي يأتي على رأس الفصل دالا على بقية الفصل وهو ما أطلق عليه التسويم، وأن

[1] القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 266.

يكون البيت الذي يأتي في آخر الفصل أو القصيدة نتيجة منطقية لما تقدم عليه من أبيات وهو ما أطلق عليه التحجيل"[1].

إن الجهد الذي قدمه "حازم القرطاجني" في وصف كيفية تماسك النص الشعري لا يختلف في شيء عما يقوم به علماء النص المحدثون، وبذلك يكون قد سبق بجهوده هذه الغرب بعد قرون. ويعد أول ناقد عربي تحدث عن الوحدة في القصيدة كاملة.

وهكذا يتبين لنا أن النقاد القدماء قد شبهوا إلى بعض مظاهر لسانيات النص / نحو النص، وإن لم يدرسوها بالأساليب اللغوية الحديثة، وهذه المظاهر هي: الترابط بين الأجزاء وتماسك النص، والوحدة الموضوعية والعضوية ... إلخ، والتي تتصل اتصالا وثيقا بمفاهيم الاتساق والانسجام.

ثالثا– التراث الأصولي ... الانسجام والتأويل:

إن البحث عن أصول لسانيات النص عند العرب لا يتوقف عندما قدمته البلاغة والتفسير وأصول الفقه باعتبارها تمثل لسانيات النص[2]، بل يمتد إلى معارف وأبحاث أخرى من نقد وفلسفة، هذه الأخيرة لا تخلو من الاجتهادات الفلسفية حول انسجام النص القرآني، وإن اعتمدت في جل الأحيان على مبدأ التأول، فجاءت قضية الانسجام مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية التأويل.

1– الشاطبي: المجال التداولي وعملية التأويل:

يعد "الشاطبي" (ت 790 هـ) مؤلف غرناطة الإبداعي ألف كتابه (الموافقات) للتعريف بعلم مقاصد الشريعة، "فالكتاب وسيلة إلى فقه الاستنباط، وتشخيص علم المقاصد، وفقه في الدين، ومثال متميز في توظيف الاستقراء الكلي، وعلم متكامل بنظام الشريعة وأسس التشريع، ومقاصده في مصالح العباد في الداريين"[3].

[1] ينظر القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 267-272.

[2] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص 95.

[3] ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات، ضبط نصه: أبو عبيدة مشهور، مج1، ج1، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1997، ص: ط من المقدمة.

إن بحث "الشاطبي" في انسجام النص القرآني يتجلى من خلال هذه النظرة للنص القرآني، يقول: "أن جميع سوره كلام واحد بحسب العباد لا بحسبه في نفسه (...) فيصح في الاعتبار أن يكون واحدا بالمعنى المتقدم، أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، وذلك أنه يبين بعضه بعض، حتى أن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى، لأن كل منصوص عليه، فيه من أنواع الضروريات مثلا مقيد بالحاجيات فإذا كان كذلك فبعضه متوقف على البعض في الفهم، فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد، بهذا الاعتبار"[1].

ومن ثمة يرى "الشاطبي" أن النص القرآني كلام واحد تترابط فيه الآيات والسور ترابطا خفيا يكشف عنه التأويل الصحيح الذي يعرف مقاصد الشريعة، يقول: "إذا تسلط التأويل على المتشابه، فيراعى في المؤول به أوصاف ثلاثة: أن يرجع إلى معنى صحيح في الاعتبار متفق عليه في الجملة بين المختلفين، ويكون اللفظ المؤول قابلا له، وذلك أن الاحتمال المؤول به إما أن يقبله اللفظ أولا، فإن لم يقبله، فاللفظ نص لا احتمال، فلا يقبل التأويل، وإن قبله اللفظ، فإما أن يجري على مقتضى العلم أولا، فإن جرى على ذلك فلا إشكال في اعتباره، لأن اللفظ قابل له، والمعنى المقصود من اللفظ لا يأباه، وأما إن لم يجر على مقتضى العلم، فلا يصح أن يحمله اللفظ على الحال"[2].

إن اهتمام "الشاطبي" بترابط الآيات والسور يتجاوز العلاقات بالترابط المفهومي إلى الاهتمام بالمتلقي، وهنا يتجلى المجال التداولي عند "الشاطبي"، "يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام"[3].

عبر "الشاطبي" عن تأثير النص القرآني على المتلقي بمصطلح "التواجد" يقول: "وأما التواجد عند السماع، فهو في الأصل رقة النفس، واضطراب القلب، فيتأثر الظاهر بتأثير الباطن، قال تعالى:

[1] الشاطبي: الموافقات، مج4، ص 274-275.
[2] الشاطبي: الموافقات، ج3، ص 330-331.
[3] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 104.

(الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) -الحج 135-، أي: اضطربت رغبا أو رهبا (...) فإنما التواجد دقة نفسية، وهزة قلبية، ونهضة روحانية، وهذا هو التواجد عن وجد"[1].

ويضيف قائلا: "فإن الوجل تأثر ولين يحصل في القلب بسبب الموعظة، فترى الجلد من أجل ذلك يقشعر والعين تدمع (...)، فإذا رأيت أحدا يسمع موعظة، أي موعظة كانت، فيظهر عليه الأثر ما ظهر من السلف الصالح علمت أنها رقة هي أول الوجد"[2].

إن اهتمام "الشاطبي" بالمتلقي جعله يلتقي بالعديد من نظريات التلقي الغربية.

رابعا – التراث الديني:

سنخصص هذا الجزء للبحث في محاولة علماء الإسلام ودورهم في إظهار كيفية تماسك النص القرآني، تأتي ضرورة هذا البحث من كون القرآن بؤرة الاهتمام التي أنشدت إليها الأنظار، على أن ما يهمنا هو استخراج بعض الوسائل والعلاقات والآليات التي تفطن المفسرون والعلماء بالقرآن إلى مساهمتها في جعل النص القرآني آيات وسورا كلا واحدا موحدا رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه.

1- علم التفسير:

"شكلت الملامح الأساسية لهذا الاتجاه بالنسبة لتحليل النص القرآني في وقت مبكر، وقد أتاحت لهم طبيعة عملهم أن يقدموا تفسيرات ملحوظة إلى جانب المقولات النظرية في مواضع من تفسيراتهم للنص القرآني، وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني وإمكان دراستها في سياقات متباينة، وفي أبنية مختلفة في إطار القرآن وحده، دون توسع في معالجة الربط في نصوص أخرى"[3].

[1] الشاطبي: الاعتصام، تح: سليم بن عيد الهلالي، مج1، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1992، ص 339-340.
[2] المرجع نفسه، ص 357.
[3] أشرف عبد البديع عبد الكريم: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008، ص 17، نقلا عن: سعيد حسن بحيري: من أشكال الربط في القرآن الكريم، ص 80.

اختلف العلماء في تفسير القرآن وتأويله، وهو ما جعله خالدا تتجدد قراءاته بتغير العصور والأمصار، لأ خلود القرآن مرتبط أساسا بتجدد قراءاته، ورغم تجدد قراءة القرآن وتفسيره فإن التفسير لا يخرج عن نوعين منها: – تفسير بالمأثور. – تفسير بالرأي.

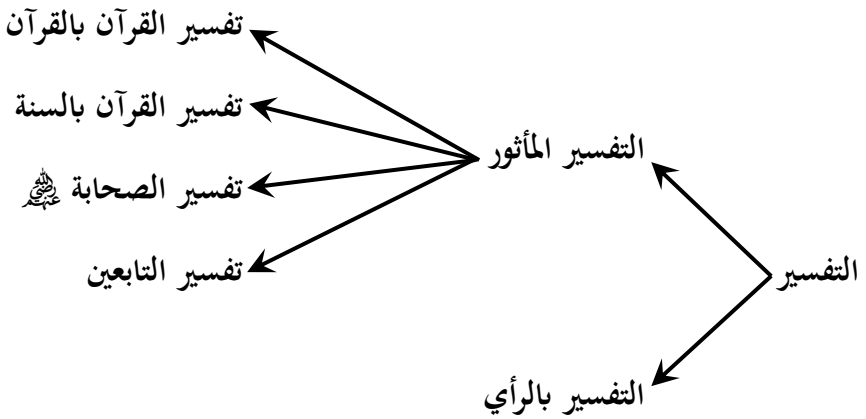

يقوم التفسير بالمأثور على القرآن نفسه، ثم السنة النبوية، وما روي عن الصحابة والتابعين، وظهرت في هذا الشأن كتب كثيرة كتفسير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن.

أما التفسير بالرأي فيقوم على قواعد علوم اللغة والدين، ويستند على الأدلة والبراهين المستمدة من الكتاب والسنة غير المخالفة لها، وضمن التفسير بالرأي المحمود يدخل اهتمام المفسرين بالمناسبة بين الآيات والسور، ومن أشهر التفاسير في هذا الشأن تفسير البقاعي، سيد قطب، سعيد حوى ... وغيرهم، وهي أمثلة فقط من التفسير المهتم بعلم المناسبات، الذي يثبت أن نظرة العرب المسلمين للنص القرآني لم تكن تقتصر على دراسة الجملة الواحدة بل كانت تتجاوز حدود الآية والسورة إلى الكتاب كله.

1–أ الطبري (ت 310هـ) ... مسألة الربط بين الجمل:

يعد تفسير الطبري "جامع البيان في تفسير القرآن" من أشهر التفاسير بالمأثور، وقد كان يجتهد قدر الإمكان ألا يلجأ إلى التفسير بالرأي، يقول: "القائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا

بيان رسول الله ﷺ وإن وافق قلبه ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه قائل بما لا يعلم، وإن قبله ذلك في تأويل ما أراد الله به من معناه"[1].

تميز الإمام الطبري بحسه البلاغي والذي يبدو واضحا في حسن تذوقه وروعة استقباله للنص القرآني، الذي يتجلى في نظمه العجيب وتأليفه البديع، يقول: "ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظمه العجيب ووصفه الغريب وتأليفه البديع، يقول: "ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظمه العجيب ورصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل اصغر صوره منه الخطباء، وكلت عن وصف شكله البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء"[2].

من هذا النص يبدو واضحا مدى الحس البلاغي للإمام "ابن جرير"، فهو لم يقف عند التفسير اللغوي وحده، بل إنه خرج بالتفسير من اللغوي إلى الإيضاح والتأويل، إذ جعل إعجازه قائما على تلاؤم الألفاظ وائتلافها مع تحدي الرسول لصلى الله عليه وسلم للعرب أن يأتوا بمثله لأنه بلغتهم ولفظه كلفظهم.

ومن القضايا البلاغية التي أشار إليها في ثنايا تفسيره قضية الفصل والوصل: "حيث كان لهذا الدرس البلاغي عنده أكبر رصيد، ولعل السر في ذلك يعود إلى نبوغه في علم القراءات، والذي صنف فيه أروع التصانيف، وعلم القراءات هو عماد "الفصل والوصل"، وهو العلم الذي أعار المصطلح للبلاغة لأن المجال متصل، ما كتب يحتاج إلى الفصل أو الوصل، ليقرأ بعيدا عن اللبس، وليفهم، ويتذوق بعيدا عن الغموض والجفاف"[3].

وإذا كان مصطلح الفصل والوصل قد نشأ في حضن علم القراءات، وكان "الطبري" ضليعا في هذا العلم، إلا أن الأمر لم يكن مقصورا على مؤلفات القراءات، فقد وجدت مصطلحات "الوقف

[1] أبو جعفر بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرشاني، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص 81-82.

[3] رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع هجري، ط2، دار الفجر، القاهرة، 1999، ص 400.

والوصل" و"القطع والابتداء" و"الوقف والابتداء" و"القطع والوصل" في كتب النحو والتفسير، فنجد "سيبويه" مثلا يشير في إلى للواو موضعا لا تصلح فيه الفاء، يقول: "... لأنك لو قلت: "مررت بزيد أخيك وصاحبك، كان حسنا، ولو قلت: مررت بزيد أخيك فصاحبك" والصاحب زيد لم يجز، وكذلك لو قلت: "زيد أخوك فصاحبك ذاهب، لم يجز ولو قلها بالواو حسنت"[1]، والشاهد فيه عطف أخيك على صاحبك بالواو لا الفاء لأن الفاء تفيد التفرقة.

يشير "الطبري" إلى أن الفصل في موضع قد يكون أبلغ من الوصل ويتحدث عن أدوات الفصل مركزا على ما يأتي:

1- ضمير الفصل: فمثلا في قوله تعالى في سورة الأنفال: "وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"[2]، ويسميه "الطبري" بالعماد[3].

2- الجملة المعترضة: كما في قوله تعالى: "فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ "[4].

3- الاستثناء المنقطع: مثل قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"[5]، "ويخرج بإلا ما بعدها من معنى ما قبلها، ومن صفته، ويسمى ذلك بعض أهل العربية (استثناء منقطعا) لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد "إلا" عن معنى ما قبلها"[6].

وأشار "الطبري" إلى كثير من أغراض الفصل منها:

[1] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص 399.
[2] الأنفال، الآية: 32.
[3] الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، ص 280.
[4] الواقعة، الآية: 75-78.
[5] البقرة، الآية: 78.
[6] رابح دون: البلاغة عند الفسرين حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 404.

1- الفصل للتفسير: مثل قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"[1].

2- الفصل للإيجاز: كقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ"[2]، فإسقاط الفاء من (قال أعوذ بالله) – وهو كثير في القرآن الكريم– وذلك لأنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه.

إن إدراك الطبري للعلاقات بين الجمل كان من خلال جعله الوصل في المفردات مدخلاً لمعرفة الوصل في الجمل، وقد رأى أن الوصل في الجمل على نوعين: وصل مجموع الجمل، والعطف على جمل الحال، ثم جمل الشرط المعطوف على جمل الجزاء وهو شكل ينم عن عمق النظر ودقة التحليل.

وقد لحظ "الطبري" أن للواو موضعا لا تصلح فيه الفاء، وهو في ذلك متبع لما يراه "سيبويه" في وصل المفردات، ويستدل على ذلك بما ذكر "سيبويه" لأمية بن أبي عائذ:

ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السَّعالي

ولو قلت: فشعث قبح[3].

حدد "الطبري" أغراض الوصل في: الوصل لأن اللبس أي الوصل للتمييز، أو الوصل للتوكيد، تفرد العلم الإلهي بالتأويل ما نجده في قوله تعالى: "مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ "[4].

تميزت دراسة "طبري" للوصل والفصل في ثنايا تفسيره بالعمق والدقة، حيث توقف أمام فن الفصل والوصل واستخرج طاقاته وقدراته على التعبير، ولأنها كانت تطبيقا على القرآن الكريم من

[1] إبراهيم، الآية: 06.
[2] البقرة: الآية: 67.
[3] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 399.
[4] البقرة، الآية: 98.

خلال آياته فقد كان ذلك منه إضافة جديدة لهذا الدرس البلاغي الذي يعد في الوقت الحالي من القضايا المهمة في نحو النص.

1- ب البقاعي ... تناسب الآيات والسور:

يعد كتاب "البقاعي" "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" "من أبرز الكتب التي التفتت إلى قضايا نحو النص على مستوى التطبيق في التراث العربي، حيث أنه من الكتب السباقة في مضمار الربط بين الجمل في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة أو ربط السور المتتالية والمتباعدة، حتى أنه ربط بين سورة الناس بسورة الفاتحة، ولم يأل جهدا في ربط ما بينهما"[1]، يقول "البقاعي" في حديثه في سورة الناس: "ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول والدليل بالمدلول والمثل بالمثول"[2].

وقد ركز في تفسيره على ربط الجمل بعضها ببعض أكثر من عنايته بربط الجملة فيما بينها من عناصر، ولم يكن ذلك إنكارا منه لوجود الرابط بل لأنه قرر أنه أسهل تناولا من نظيره، أي أسهل من الجملة بالجملة، فيقول: "وهذا العلم- يقصد علم المناسبات - يكشف للإعجاز طريقتين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التراكيب، والثاني نظمها على أختها بالنظر إلى الترتيب والأول أقرب تناولا"[3].

ويقول في توضيح الفكرة الثانية: "والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها"[4].

---

[1] عمر أبو خرمة: نحو النص، ص 48.

[2] برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج22، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984، ص 423.

[3] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص 11.

[44] المرجع نفسه، ص 08.

ويرى "البقاعي" أن الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآيات، فيقول متبنيا ما نقله "الأصفهاني" من رأي "الرازي" في سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة – يقصد البقرة– وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه فهو أيضا سبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك"[1]، ويؤكد أن المفسرين قصروا على هذا الباب لدقة مداخله، فيقول: "إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار"[2]، ويرى أن هذا العمل ليس عبثا، بل له ثمرة وفائدة إذ يقول: "وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه الحال"[3].

ويحدد "البقاعي" طرق الوصول إلى تعلم هذا العلم، فيقول: "وتتوقف الإجادة فيه، على معرفة مقصود السورة، المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[4].

وينقل البقاعي في بداية سورة الفاتحة منهج العمل في هذا العلم، فيقول: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات، في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات، إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع، إلى الأحكام، واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك –إن شاء الله – وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية، في كل سورة"[5].

البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص 09.

[2] المرجع نفسه، ص 09.

[3] المرجع نفسه، ص 05-06.

[4] المرجع نفسه، ص 06.

[5] المرجع نفسه، ص 18.

"والعمل الذي حاوله "البقاعي" في هذا السفر حاوله قبله نفر من علماء العربية، ولكن مع فارق أن أولئك كانوا يتحدثون بالمسألة كلما عن لهم شيء من تلك المناسبات، ولكن "البقاعي" ألزم نفسه بمنهج ثابت، حيث حاول ربط كل سورة بما قبلها وكل آية بما قبلها وبما بعدها.

وهذا منهج كان يستعمله المفسرون عندما تكون حاجة ماسة إلى مثل هذا الربط، أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب في القرآن، ولكنهم –غالبا– كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج في جل أعمالهم، منشغلين في تفسير النص آية آية، أو جملة جملة، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة دون الولوج إلى عوالم النص الداخلية"[1].

في حين نلمس لدى "البقاعي" وعيا بالمبادئ التي تربط الفقرات مع بعضها البعض، فقد قدم في سورة البقرة هذا الترابط بقوله: "وإن شئت قلت: مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط، وما عدا ذلك فتوابع ولوازم"[2].

وقد تنبه إلى عمل مبدأ الضدية في تناسب الآيات فقال: "ولما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين ... في معرض الجواب لسؤال من كأنه قال: هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟ "إن الذين كفروا" أي حكم بكفرهم ... وداموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن أضرارهم ... ولما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من الانقياد كان المعنى (سواء عليهم)"[3].

كما تنبه إلى الانتقال بين الكلي والجزئي وحسن التقسيم، فقال: "ولما افتتح سبحانه بالذين وطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان وثنى بالمجاهدين من الكفار الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفر أتبعه ذكر المساترين الذين ألسنتهم خالفت قلوبهم في الإذعان وهم المنافقون ... أي لما أرسلنا رسولنا

[1] عمر أبو خرمة: نحو النص، ص 51.
[2] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص 78.
[3] المرجع نفسه، ص 91-93.

انقسم الناس قسمين: مؤمن وكافر وانقسم الكافر قسمين: فمنهم من جاهر وقال: لا نؤمن، ومن هم من يقول ..."[1].

وأدرك أثر المعادل للموضوع حين يكون محسوسا على ملموس، فقال: "فلما علم ذلك كله وكانت الأمثال ألصق بالبال وأكشف للأحوال مثل حالهم في هداهم الذي باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة، لأن للتمثيل بها شأنا عظيما في إيصال المعاني حتى إلى الأذهان الجامدة وتقريرها فيها"[2].

وتنبه "البقاعي" إلى حسن التهيئة والتقديم قبل الولوج إلى غاية الخطاب ومراده فقال: "ولما ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسيمهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول المستلزمان للوحدانية أنتج إفراده بالعبارة ... فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الإعراض عنهم تقسيم إيذانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال وغيرها من حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيبا وتحريكا إلى رفع أنفسهم بإقبال الملك الأعظم من الخضوع لمن هو دونهم وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضا عنه بدوام الترقية ..."[3].

كما أشار إلى العطف على محذوف مفهوم من النص فقال: "ولما ذكر ما لهم ترهيبا أتبعه ما للمؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة ﷺ عاطفا على ما تقديره: فأنذرهم بذلك ولكنه طواه لأن السياق للاستعطاف"[4].

وتنبه إلى مبدأ السبب والنتيجة فقال: "فلو ترك التمثيل بها (الأمثال) لذلك لأسند ذلك الباب الذي هو من أعجب العجاب، فقال تعالى عن طريق الاستنتاج من المقدمات المسلمات: (إن الله لا يستحي من الحق)"[5].

---

[1] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص 99-100.
[2] المرجع نفسه، ص 118.
[3] المرجع نفسه ، ص 135 -136
[4] المرجع نفسه، ص 189.
[5] المرجع نفسه، ص 199.

ربما هذا كله يومئ بوجود مجموعة من القواعد والمبادئ العامة في ذهن "البقاعي" تحكم النص في تعلق فقراته بعضها ببعض، منها: مبدأ التضاد، التقديم للخطاب وختمه الداخل في مبدأ حسن التقسيم، ومنها مبدأ الموضوع ومعادله، ومنها مبدأ الاستنتاج من المقدمات، ومنها مبدأ العطف على السياق، ومنها مبدأ الانتقال بين الكل والجزء وجعل نظام ذلك كله مبدأ التبع والملازمة، لتكون لنا وحدة النص الكلية.

وعليه يمكن القول أن نظرة "البقاعي" لانسجام النص جاءت مبثوثة في ثنايا تفسيره، حيث بحث في العلاقات والروابط بين الآيات والسور، والتي تجعل النص القرآني منسجما كلحمة النسب، غير أن الذي يؤخذ على بحثه غلبة الجانب التنظيري على التطبيق.

2- علوم القرآن:

الزركشي والسيوطي ... التنظير لعلم المناسبات:

إن المناسبة في علم اللغة النصي من مقومات اللفظ في النظم القرآني من حيث موضعه وفصاحته وبلاغته، سواء أكان مفردا أم مركبا، فاللفظ في النظم القرآني يأتي مستقرا في موضعه، مرتبطا بما قبله أو ما بعده من الكلام، أو ما يعرف بالسياق اللغوي ارتباطا وثيقا دلاليا أو غير دلالي.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل جملة وحدة في لوح محفوظ، ثم نزل على الرسول الكريم في نيف وعشرين سنة منجما، وهذا النزول مرة واحدة يوحي بتماسكه ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية، وبين السور من ناحية أخرى، ومن ثم فلا مجال للزعم بعدم الربط بين آياته وسوره.

وبعبارة أخرى فإن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب والمسلمين السبق في إدراك علم النص وفي تحليل النص على مستوى يتجاوز حدود الجملة الضيقة.

يعد كتاب "البرهان في علوم القرآن" للإمام "الزركشي" (ت 744هـ)، وكتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام "جلال الدين السيوطي" (ت 911هـ) من أهم كتب علوم القرآن التي تناولت علم

المناسبات تناولا تنظيريا بعدما أفردا لهذا العلم فصولا خاصة به في كتابيهما، فكان لهما السبق في التنظير لعلم النص في التراث العربي الإسلامي.

2- أ الزركشي:

يذهب "الزركشي" موضوع المناسبة بين الآيات إلى ارتباط الآيات بعضها ببعض ينقسم إلى قسمين[1]:

- **القسم الأول**: تكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، ولابد أن تكون بينهما جهة جامعة.

- **القسم الثاني**: لا تكون فيه الآية معطوفة، وإذ ذاك لابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط. والمقصود بالقرائن المعنوية: التنظير، المضادة، الاستطراد، التخلص.

ثم تطرق "الزركشي" إلى أنواع المناسبات في القرآن الكريم، نذكرها كالآتي:

- **مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها**: يقدم "الزركشي" تحت هذا العنوان مثالين، أولهما من سورة القصص والثاني من سورة المؤمنين، مشيرا إلى المناسبة دون أي تعليق على نوعها، يقول الزركشي: "وتأمل سورة القصص وبداءتها بقصة موسى ونصرته، وقوله: "قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ "[2]، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة، وختمها بأمر النبي ﷺ بألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعودته إليها "إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ"[3].

"والواقع أن الزركشي اعتمد في هذه المناسبة على نهي الله نبيه موسى أن يكون ظهيرا، ونهى الرسول ﷺ أن يكون ظهيرا للكافرين، كما أن وعد الله موسى برده إلى أمه ووعد الرسول بإرجاعه إلى

[1] بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفصل الدمياطي، ج1، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص 39-44.
[2] القصص، الآية: 17.
[3] القصص، الآية: 85.

مكة، حدثان متشابهان، هذا ما جعل الزركشي يعتبر خاتمة السورة مناسبة للفاتحة"[1].

أما المثال الثاني فيورده مصحوبا بتعليق الزمخشري قال: "وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين "قد أفلح المؤمنون " وأورد في خاتمتها "إنه لا يفلح الكافرون" فشتان بين الفاتحة والخاتمة"[2].

إن مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها نوع من رد العجز على الصدر، ومن ثمة نجد سمة مشتركة بين النص الشعري والخطاب القرآني.

– مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها: يذهب "الزركشي" إلى أن المناسبة بين فاتحة سورة ما وفاتحة السورة التي قبلها أسلوب معتمد في القرآن، ونمثل لذلك بقوله: "لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد، والعدل بين العباد"فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦"[3]، أكد ذلك بقوله في سورة المائدة: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ"[4]، ويورد في ذات السياق مجموعة من السور بينها هذا النوع من المناسبة، مثل افتتاح سورة الأنعام بالحمد، واختتام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه: " وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ"[5]، وافتتاح سورة الحديد بالتسبيح مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به.

[1] محمّد خطابي: لسانيات النص، ص 195.

[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 131.

[3] سورة النساء، الآية، 175-176

[4] المائدة، الآية: 01.

[5] الزمر، الآية: 75.

وكافتتاح سورة البقرة بقوله: "الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢"[1]، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: "ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ"[2]، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب[3].

– **مناسبة السورة للحرف الذي بنيت عليه:** "المقصود بهذا النوع أن الكثير من السور مسماة أو مفتتحة بحرف من حروف اللغة، وأن معظم الكلمات التي تتألف منها السورة يتراكم فيها هذا الحرف ويتكرر، وربما كانت دلالة الكلمات معضدة للسمات الصوتية لهذا الحرف"[4]، يقول "الزركشي": "وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك "ق والقرآن المجيد"، فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، وذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب وذكر الساق، والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب والقرن، والتنقيب في البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل، والوزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد، وغير ذلك. وسر آخر وهو أن كل معاني السورة مناسب لها في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح"[5].

وهو ما نلحظه في سورة (ص) التي اشتملت على خصومات متعددة: "خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم: "أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ"[6]، (...) ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى في العلم (...) ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود (...)"[7].

---

[1] البقرة، الآية: 1-2.

[2] الفاتحة، الآية: 06.

[3] ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 38.

[4] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 196.

[5] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 120-121.

[6] ص، الآية: 05.

[7] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 121.

"وكذلك سورة "ن والقلم" فإن فواصلها كلها على هذا الوزن مع ما تضمنت من الألفاظ النونية"[1].

ومن ثمة فالعلاقة وثيقة بين الحرف الذي بنيت عليه السورة وبين الألفاظ التي تتكون منها، ولا يستقيم تغيير ذلك الحرف بحرف آخر، ولو حدث ذلك لاختل التناسب.

– **المناسبة بين السورة واسمها:** يذهب "الزركشي" إلى أن تسمية باسم معين ليس إلا تعضيدا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد "يراعي فيه كثير من المسميات، أخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه (...) ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[2]، فسميت سورة البقرة – مثلا – بهذا الاسم لقرينة ذكر البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء.

غير أن ذلك حدث معين أو اسم ما في السورة ليس كافيا لتبرير التسمية[3]، وقد أورد "الزركشي" جوابا عن هذا الاعتراض، قال: "قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطول وأوعب؟ قيل تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع ...[4]، لكن هل يكفي كم التكرار لتبرير تسمية سورة ما بما تكرر فيها؟ يجب الزركشي: "لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها، غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره، وأن تكرار اسمه

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ص 121.
[2] المرجع نفسه، ص 190.
[3] ينظر محمد خطابي: لسانيات النص، ص 197.
[4] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 190.

فيها أما هود فكانت أوى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام"[1]، ما نستشفه من هذا أن هناك علاقة وثيقة وقصدية بين السور واسمها ولو وضعت اسم سورة لأخرى لم يجز.

وعن أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي يقول الزركشي: "أن فائدة هذه المناسبة هي جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا من أعناق بعض، فيتقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله خال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[2]، فالمناسبة تعمل على ربط الكلام بعضه ببعض من جهة الألفاظ أو المعاني أو من جهتهما جميعا، بحيث لا نستطيع أن نستبدل أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه، أو تغيير وضعه الذي جاء عليه، وإن حدث ذلك تنافر الكلام شكلا ومعنى، إذا فإن المناسبة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي.

2-ب السيوطي:

يعرف "السيوطي" المناسبة قائلا: "المناسبة في اللغة المشاكلة ومرجعها في الآيات، ونحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص عقلي أو حسي خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين"[3].

يحصر "السيوطي" العلاقات بين الآيات والسور في كونها واضحة خاصة، إذا كانت على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، أو في كونها خفية يكشف الارتباط بينها من خلال قرائن معنوية كالتضاد والاستطراد وحسن التخلص"[4].

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 191.
[2] المرجع نفسه، ص 36.
[3] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ج5، المكتبة المصرية، بيروت، 1988، ص 324.
[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 324-326.

ولا يخلو تنظير السيوطي من تقديم مجموعة من الأمثلة التطبيقية من الآيات والسور تدعم أفكاره وتؤكدها: "ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا، كما في "فجعلهم كعصف مأكول"، "لإيلاف قريش"[1].

ويقدم "السيوطي" تفسيرا لافتتاح بعض السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به، وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، كسورة "ق" بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف"[2].

ومن العلاقات الشكلية ما يبدو واضحا بين السور "فإنما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل التي اختصت به، وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطور والقصر وتشاكل الكلام في النظام"[3].

ويقدم "السيوطي أمثلة طوال من السور والآيات التي تجعل النص منسجما متلاحما كما يقدم الأمر الكلي لمعرفة ذلك، وهو: "أن تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نَفْس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك موجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة وسورة"[4].

أي أن هناك خطوات يجب أن تراعى للوصول إلى معرفة العلاقات بين الآيات والسور أبرزها معرفة غرض السورة، ولذلك كان من المفيد الاطلاع على أسباب النزول قبل معرفة أسباب الترتيب.

[1] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 332.
[2] المرجع نفسه، ص 334.
[3] المرجع نفسه، ص 337.
[4] المرجع نفسه، ص 328.

إن البحث في مناسبة الترتيب بين الآية والآية، وبين السورة والسورة بعد معرفة مناسبة النزول، سيكشف عن أوجه الروابط داخل النص ويجعله لحمة واحدة، يقول "الزركشي" عن مناسبة الترتيب "واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ... والمناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[1].

ومن المعلوم هو أن المناسبة تقتضي وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة، فيبحث عن الدعامة على حد قول "السيوطي" التي يمكن أن تجمع بينهما، إذا فالمناسبة توصل إلى العلاقة، وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما، وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصي وإسهامها في التحليل النصي على النحو الآتي: المناسبة ⟵ العلاقة ⟵ المرجعية ⟵ التماسك.

وعليه فإن البحث في المناسبة هو بحث في انسجام النص القرآني، فإن كان الغربيون قد انتبهوا حديثا إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة للنظر إلى النص كلهن والبحث في انسجامه فإن العرب المسلمين الأوائل قد كانت له الريادة في هذا المجال.

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 36.

خلاصة:

بناء على ما سبق، يمكن القول إنّ لعلماء العربية القدماء ممارسات نصية، لم يسبقهم إليها أحد، حيث تضافرت جهود نحوية وبلاغية وحتى نقدية وفلسفية، لتوسيع علم النحو ليشمل دراسة النص بصفته وحدة كلية، كما اهتم الدارسون بالوحدة القرآنية، من خلال جهود العلماء في إنشاء تفسيرات للقرآن تراعي ربط الآيات بالآيات، داخل السورة الواحدة، وربط السورة بالسورة داخل القرآن الكريم، بعده نصا كليا واحدا، إذ كانت لهم أول ممارسة نصية واعية مع الكتاب المعجز القرآن الكريم.

ففي مجال البلاغة نجد أن علاقة الفصل والوصل من العلاقات التي أحدثت قدرا كبيرا من الاهتمام، بخاصة عند "عبد القاهر الجرجاني".

وفي تراثنا النحوي نجد أن النحاة –أيضا– قد اهتموا بالربط والوصل بين الجمل، وذلك عبر أدوات يكفلها النظام النحوي.

وفي تراثنا النقدي قد انصب الاهتمام –أساسا– بالشعر، فنجد نصوصا نقدية استخدمت كلمات تنتمي إلى مفاهيم نصية، استعملت ظاهرة الربط والوصل بالعلاقات (وصفا وتطبيقا)، ومن هذه المفاهيم: الاتساق، والتنافر وأخذ الأبيات بعضها بعنق بعض، ورد الأعجاز على الصدور والتحام الأجزاء، وذلك عند كبار النقاد من القدماء، مثل: حازم القرطاجني وغيره.

أما في مجال علوم القرآن والتفسير فقد شغل العلماء بوحدة النص القرآني وتماسكه، وذلك رغم نزوله متفرقا حسب الحوادث والمناسبات، ومن ثم أخذوا يبحثون عن أسباب هذا التماسك وتلك الوحدة، هذا وقد أشار كثير من العلماء المهتمين بعلوم القرآن، وكذا علماء التفسير أمثال "السيوطي" و"الزركشي" و"البقاعي" وغيرهم إلى كيفية ترابط آيات النص القرآني وجمله عبر علاقات نصية أفرزها النص نفسه، رغم انتفاء الجهة الجامعة أو ما يسمى بالاختلاف في الغرض.

ولم يقف العلماء العرب عند حد الإطار النظري لعملية الترابط والتلاحم هذه؛ بل ذكروا أنواعا من العلاقات في النص، وبينوا كيف تترابط النصوص الصغيرة مكونة النص الكبير في بيان مدهش. لكن يبقى أنهم لم يُكونوا من هذه الملاحظات نظرية لغوية لنقد النصوص، هذا فقط هو ما ينقص عملهم ليكون عملا علميا رائعا.

الفصل الثاني:

الاتساق والانسجام؛ المفهوم والآليات

الفصل الثاني: الاتساق والانسجام؛ المفهوم والآليات

أولا– الاتساق:

1– لغة.

2– اصطلاحا.

3– مفهوم الاتساق في الموروث العربي.

4– آليات الاتساق:

4– 1 الاتساق النحوي

أ– الإحالة

أ– 1 الإحالة النصية

أ– 2 الإحالة المقامية

ب– الاستبدال

ب– 1 الاستبدال الاسمي

ب– 2 الاستبدال الفعلي

ت– الحذف

ث– الوصل

4– 2 الاتساق المعجمي

أ– التكرار

ب– التضام

ثانيا الانسجام

1- لغة

2- اصطلاحا

3- العلاقات الدلالية التي تؤدي إلى انسجام النص.

4- أبعاد الانسجام عند فان دايك

5- الانسجام من منظور ج يول وبراون.

6- مبادئ الانسجام

6- 1 السياق وخصائصه

1-أ مبدأ التأويل المحلي

1- ب مبدأ التشابه

1- ت مبدأ التغريض

* علم المناسبة

1- مفهوم المناسبة.

أ – لغة.

ب- اصطلاحا.

2- أهمية المناسبة ودورها في انسجام النص.

تمهيد:

يهتم علم النص بدراسة المقومات التي يرتكز عليها النص في قيامه بنية لغوية مهيكلة متسقة ومنسجمة، هذه المقومات هي بمثابة المحك الذي نميز من خلاله بين النص واللانص، كما أنها تمثل المباحث الأساسية للسانيات النص، فقد شرع "علماء النص يولون التماسك عناية قصوى (...) ويذكرون أنه خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بمفاهيم من الجمل الأخرى، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط"[1].

ومن هنا يتضح أن التحليل النصي "يعتمد على رصد أوجه الاتساق والانسجام والتفاعل بين البنية الصغرى والبنية الكبرى التي تجمعهما في هيكل تجريدي"[2]، وتعد هذه العملية صعبة ومعقدة، ويرجع التعقيد في تحليل النص إلى تشابك الوسائل المستخدمة فيه، حيث يستعان بوسائل على المستوى النحوي، وأخرى على المستوى الدلالي، وثالثة على المستوى التداولي، "وينتقل مفسر النص بين هذه المستويات الثلاث مستندا إلى تصورات ومفاهيم وقواعد وقيود اصطلاحية ومعرفية وتتآزر هذه المستويات لتقديم تفسير متكامل"[3].

وفي محاولة التعرض لمفهومي الاتساق والانسجام تبرز إشكالية المصطلح التي تعد من أبرز مشكلات النقد الحديث والدراسات الحديثة بصفة عامة، إذ نجد عدة مصطلحات بمفهوم واحد تقريبا، بل ونجد ترجمات للمصطلح الواحد عند الباحث نفسه، إذ قد نجد على سبيل المثال من يعرب Cohésion[4] بـ: السبك (سعد مصلوح)، (تمام حسان)، (جميل عبد المجيد)، (أشرف عبد

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 244.

[2] سعيد حسين بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص 144.

[3] المرجع نفسه، ص 147.

[4] ينظر: سعد مصلوح: نحو آجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، فصول مصر، مج 10، ع2، 1991، ص 154.
دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 299.
جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 77.
أشرف عبد البديع عبد الكريم: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 142.
محمد خطابي: لسانيات الخطاب، ص 11.

الكريم). أو الاتساق عند مُحَمَّد خطابي، واستعمل مفهومه تحت مصطلح: التضام، الربط، الالتحام... إلخ.

في حين يترجمCohérence[1] إلى الحبك (سعد مصلوح)، (جميل عبد المجيد)، أو الانسجام (مُحَمَّد خطابي).

وتجاوزا لهذا التشتت الاصطلاحي ارتأينا استخدام مصطلحي الاتساق والانسجام، بعدها الأكثر تداولا وشيوعا في الأبحاث والدراسات المتصلة بلسانيات الخطاب /النص، على غرار أعمال "مُحَمَّد خطابي".

وينبغي الإشارة إلى أن الفصل بين معياري النص الاتساق والانسجام، إنما هو إجراء منهجي اقتضته طبيعة الدراسة التي تهدف إلى الكشف عن وسائل الترابط النصي، الأمر الذي تطلب التمييز بين نوعين من الربط، أما أولهما فتحققه أدوات الربط النحوية والمعجمية، وأما ثانيهما فتحققه وسائل دلالية، وإذا كان الاتساق يظهر في المستوى السطحي للنص من خلال تسلسل الجمل وخطية النص Linéarité، فإن الانسجام يظهر في المستوى العميق للنص، فالاتساق والانسجام كلاهما مهم لتحقيق نصية النص، بعدهما وجهين لعملة واحدة في النص.

أولا– الاتساق:

1– لغة: ورد الاتساق في اللغة بمعنى الضم والجمع، ففي معجم مقاييس اللغة: "وسق: الواو والسين والقاف، كلمة تدل على حمل الشيء، ووسقت العين الماء: حملته، قال سبحانه: (والليل وما وسق) أي جمع وحمل ... وأوسقت البعير حملته حملة"[2].

[1] ينظر:سعد مصلوح: نحو آجرومية النص الشعري، ص 154.
جميل عبد المجيد: البديع في البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 141.
مُحَمَّد خطابي: لسانيات الخطاب، ص 05.

[2] ابن فارس بن زكرياأبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، ص 109.

وجاء في المعجم الوسيط: "وسقت الدّابة تسق وسقا ووسوقا: حملت، وأغلقت على الماء رحمها فهي واسق، ج: وساق النّخلة، حملت، الشيء، ضمه وجمعه (...) وشق الحَبّ: جعله وسقا وسقا، واتسق الشيء: اجتمع وانتظم، القمر استوى وامتلأ، استوسق الشيء: اجتمع وانضم، يقال استوسقت الإبل، والأمد: انتظم"[1].

وما يلاحظ على التعريفين المعجمين أنهما اشتركا في جعل معنى الاتساق يتحدد في الضم والاجتماع والانتظام، والاستراء الحسن، وهي المعاني نفسها الواردة عند "ابن منظور" في لسان العرب.

ففي لسان العرب: "وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انضم قد اتسق، الطريق اتسق ويتسق أي: ينضم ... واتسق القمر استوى...، في التنزيل: "فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨"[2] وقال الغراء: وما وسق أي: وما جمع وضم، واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه، واستواؤه ليلة ثلاث عشر وأربع عشرة إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه، وقال أبو عبيدة: وما وسق أي: وما جمع من الجبال والبحار والأشجار، كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها، فإذا جلل الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وسقها (...)، والوسق ضم الشيء إلى الشيء، وفي حديث آخر: استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم، أي استجمعوا وانضموا واستوقت الإبل: اجتمعت، وقيل كل ما جمع فقد وسق، والاتساق الانتظام"[3].

والملاحظ في ذكر "ابن منظور" أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر "وسق" هو الاجتماع والانتظام والاكتمال، وهذا لا يبتعد عن المعنى المتداول في كتب الاختصاص ولدى الباحثين المهتمين بلسانيات النص.

ولم تبتعد المعاجم الغربية عن ذلك، فقد جاء في معجم Oxford أن الاتساق هو: "إلصاق الشيء بشيء آخر، بالشكل الذي يشكلان وحدة، مثل: اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات

[1] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، ص 1032.
[2] سورة الانشقاق، الآية: 16-18
[3] ابن منظور: لسان العرب،ص 379-380.

بعضها ببعض لتعطي كلا واحدا"[1]،فالاتساق وفق هذا المعجم يعني شدة الالتصاق، وتثبيت أجزاء الشيء الواحد بعضها ببعض في انتظام وتناغم.

إن المتفحص للتعاريف الواردة في المعاجم العربية والمعجم الغربي، يجد أنها متقاربة في دلالة الاتساق، وهي تصب في بوتقة واحدة، فجلها يركز على معنى الجمع والانتظام والانضمام والاستواء.

2- اصطلاحا:

نال مصطلح الاتساق اهتماما من قبل علماء النص، بدءا بتوضيح مفهومه وأدواته وإبراز عوامله وشروطه عند أغلب الباحثين، متصلا بالبنية السطحية الشكلية للنص، لاشتماله "على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص لبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة"[2]، التي تترتب على "صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي"[3]، بواسطة عدة قرائن وعلاقات بين العناصر خاصة الكلمات فيما بينها من تضام وترابط، ووسائل التضام "وتشتمل على هيئة نحوية للمركبات Phrases وتراكيب Chauses والجمل على أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية Pro-forms والأدوات والإحالة المشتركة Co-reference والحذف والروابط Junctions"[4].

يذهب "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" إلى أن كل متتالية من الجمل لا تكون نصا إلا إذا كان بين هذه الجمل علاقات، وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة كانت أو لاحقة، ويسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية[5].

---

[1]Oxforf Cadvanced leaner's Encyclopedia : Oxford university press, P : 142.

[2]الهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص 11.

[3]دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 103.

[4]المرجع نفسه، ص 103.

[5]Halliday M.A.K and R. Hassan: Cohesion in English, longman, London, 1976, P 1/2.

نقلا عن: محمد خطابي: لسانيات النص، ص 13.

فالنص كما هو واضح عند "هاليداي Halliday" و "رقية حسن R. Hassan" لا تكون له نصيته إلا إذا توفرت على مجموعة من الوسائل أو العلاقات التي تعد مسؤولة عن خلق أو إيجاد هذه النصية، وهذا ما جعل مفهوم كلاهما أن الربط بالأدوات أو الوسائل اللغوية أكثر أهمية من الربط المعنوي مع أنهما اعترفا أن: " التي تملك قوة الربط في الواقع هي العلاقة المعنوية الضمنية، وذلك قبل أن تكون الأداة النحوية هي الرابط"[1].

ذلك أن النص وفقهما "وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، أضف إلى هذا أن كل نص يتوفر على خاصية، كونه نصا يمكن أن يطلق عليها، وهذا ما يميزه عما ليس نصا، فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن نعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[2].

ويضرب المؤلفان "هاليدايHalliday " و"رقية حسنR. Hassan " في هذا الصدد المثال الآتي: "اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن يقاوم النار"، غني عن البيان أن الضمير "ها" في الجملة الثانية يحيل قبليا إلى ست تفاحات في الجملة الأولى، وهذا ما جعل الجملتين متسقتين ويمكن عدهما نصا.

ومن ثمة يرى "هاليدي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" "أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص"[3].

حيث أن الوحدة الدلالية للنص تأتي من الاتساق الموجود بين الجمل التي يتكون منها، فكل جملة في النص تعطي نوعا من الترابط مع الجملة التي تسبقها، والتي تلحقها، فتحتوي كل جملة على رابط اتساقي بالجملة التي تسبقها في النص من جهة، وآخر بالجملة التي تلحقها من جهة أخرى،

[1] جيليان براون وجورج يول: تحليل الخطابن، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية، ص 229.

[2] Halliday R. Hassan, Cohésion in English, P2. 13. نقلا عن: محمد خطابي: لسانيات النص، ص

[3] Halliday R. Hassan, Cohésion in English, P2.13 نقلا عن: محمد خطابي: لسانيات النص، ص

"إن مفهوم الترابط النصي يفسر وجود العلاقات المعنوية الأساسية التي بموجبها يمكن أن نعتبر أي مقطع منطوق أو مكتوب نصا"[1].

يعرف "فان دايك" الاتساق بأنه: "علاقة نصية قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى"[2].

ويوضحه أيضا بالقول: "هو علاقات المعاني المعجمية والمرجعية وغيرها"[3].

ومن هنا يتحقق الاتساق النصي بوجود علاقة بين أجزاء النص أو جملة أو فقراته لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي تفسير النص، وإذا افتقد إلى هذه العناصر التي تميزه أصبح المقطع اللغوي متتالية جملية غير مترابطة، وبالتالي يفقد مقومات وجوده كنص متسق متناسق، وهذا ما يؤدي بالقارئ إلى رفضه لعدم فهمه.

ليس الاتساق هدفا في حد ذاته، وإن كان ضروريا، فعلاماته تساعد القارئ على تحليل القراءة، كما أنه دعم لذاكرة القارئ في عمليته التأويلية عن طريق متابعة خيوط الترابط المتحركة عبر النص التي تمكنه من ملء الفجوات أو المعلومات ما بين السطور التي لا تظهر في النص.

والاتساق معيار يتحقق عند "دي بوجراند" بواسطة الترابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية، حيث المساحة للجمل والتراكيب، والتكرار والإحالات والحذف والروابط.

يقصد بالترابط الرصفي: "كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في تول زمني"[4].

[1] ج براون وج مبول: تحليل الخطاب، ص 233.
[2] فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: ع القادر قنين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 137.
[3] المرجع نفسه، ص 179.
[4] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 136.

إنّ الاتساق معيار يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي، "وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي"[1].

فالاتساق يتحقق به التضام بشكل جلي، بحيث يؤدي السابق إلى اللاحق من خلال وسائل النظام والتي تتمثل في الربط خاصة والتكرار، لذلك فإن التضام يتعلق بالترابط الرصفي.

3- مفهوم الاتساق في الموروث العربي:

لمفهوم الاتساق ملامح في تراثنا العربي ، فبالرجوع إلى التراث النقدي والبلاغي نجد أن قدامى النقاد في إشادتهم بالشعر أو غيره، استخدموا كلمة السبك، كما أنهم في استخدامهم هذا كثيرا ما يذكرون تلميحا حينا وصراحة أحيانا صفة الاستمرارية، أو الاطراد التي تميز الشعر أو غيره على مستوى الجملة أو البيت غالبا.

وفي هذا نجد إشارة "القرطاجني" إلى ضرورة الانتقال من الجملة إلى النص من جهة، مع ضرورة الاطراد والاتساق في النص حتى يحقق غايته وأهدافه، وذلك في قوله: "لما يلاحظ في النظم من حسن الاطراد مع بعض العبارات إلى بعض، ومراعاة المناسبة ولطف النقلة"[2].

فكانت صحة السبك والتركيب، والخلو من عوج النظم والتأليف شرط لكمال النظم، فالجاحظ يقول: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا جيدا وسبك سبكا جيدا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدّهان"[3].

كما تطرق "السيوطي" لتحليل النص القرآني من ناحية إبراز التماسك النصي، فجعل التماسك أو الالتئام أحد أوجه الإعجاز القرآني، يقول: "فالوجه الثالث من وجوه الإعجاز حسن

[1] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 103.

[2] القرطاجني أبوحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص

[3] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، ج1، ص 67.

تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، والوجه الرابع مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منظمة المباني"[1].

كما نجد "الجرجاني" يقارب الاتساق، سواء في أدواته الشكلية أم الدلالية، من ذلك قوله: "أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[2].

وكل هذا يكشف عن الإدراك الواعي لمفهوم الاتساق عند المفسرين والبلاغيين العرب القدامى، بالإضافة إلى محاولات النحويين واللغويين في إطار حديثهم عن قضاياهم النحوية عبر أبواب النحو المختلفة، إلا أنهم يركزون على قضية الاتساق على مستوى الجملة فقط.

وقد حاول "تمام حسان" في قراءته لكلمات وتعبيرات جاءت في النقد العربي التراثي –عبّر بها أصحابها عن انطباعاتهم وآرائهم اللغوية والنقدية–، أن يفهم في ضوء الدراسات اللغوية والنقدية المعاصرة المقصود بهذه الكلمات والعبارات، ويصوغ ما فهمه في لغة محددة المصطلحات واضحة المقاصد، ومن ذلك صاغ فهمه لمصطلح السبك بقوله: "السبك إحكام علاقات الأجزاء ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل"[3].

وبهذا يكون للسبك النحوي دور فعال في خلق النص، إذ "يشير هذا المصطلح إلى لأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية، أو بنى الجمل، لاسيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع"[4].

[1] السيوطي: معترك الأقران، مج1، ط 1، دار الكتب العلمية، 1988، ص 23-43.
[2] الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 44.
[3] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 78-79.
[4] منذر عياش: العلامتية وعلم النص، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004، ص 132.

أي أنّه يختص بالعلاقات النحوية المختلفة في النّص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة.

ومن ثمة يمكننا القول إنّ الاتساق يختص بالتماسك على المستوى البنائي الشكلي، إذ يعرفه "مُحَمَّد خطابي" على أنه: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية النصية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[1].

والاتساق لا يتحقق بوجود عنصر واحد من عناصره، وإنما بورود العنصر في سياق العناصر المتعالقة هو الذي يهيء الاتساق ويعطي للمقطع صفة النص، إن الاتساق يعتبر شرطا ضروريا وكافيا للتعرف إلى ما هو نص، وعلى ما ليس نصا، وهو ما يوضحه المخطط الآتي لمحمد خطابي[2]:

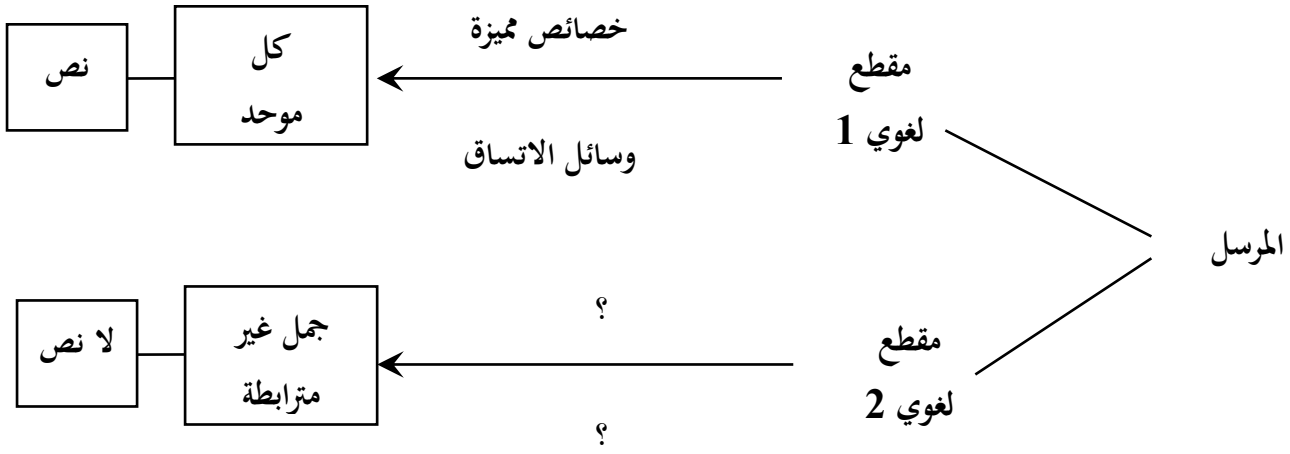

ومن أجل وصف اتساق الخطاب (النص) سلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجة من بداية الخطاب حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحلية، إحالة قبلية أو بعدية مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال ...[3].

فالاتساق ذو طبيعة أفقية خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، ويتحقق من خلال أدوات الربط النحوية ووسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة.

[1] مُحَمَّد خطابي: لسانيات الخطاب، ص 05.
[2] المرجع نفسه، ص:12
[3] المرجع نفسه، ص 05.

وهو المفهوم الذي نجده عند "مُحَمَّد مفتاح"، فقد استعمل مصطلح التنضيد للدلالة على الربط بين الكلمات أو الجمل أو بين الجمل والكلمات (مستوى ظاهري)، الذي يعدّه مقياس الانتقال من معنى إلى معنى، يقول في ذلك: "نعني بالتنضيد الجمل التي نجد فيها أدوات العطف ومختلف الروابط الأخرى، التي تعلق جملة بجملة"[1]، واستعمل التنسيق للدلالة على: "العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل، حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها"[2].

فالتنضيد والتنسيق شقان لمفهوم الالتحام عند "مُحَمَّد مفتاح" وشرطا تحققه في نص ما.

و"صبحي إبراهيم الفقي" عرفه قائلا: "بأن مصطلح Cohérence يستخدم للتماسك الدلالي ويرتبط بالروابط الدلالية، بينما يعني مصطلح Cohésion العلاقات النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة"[3].

ويضيف قائلا: "وترى بدلا من هذا الاختلاف أن المصطلحين يعنيان معا التماسك النصي، ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما، وليكن Cohésion، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقة التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى ... ومن ثم فسوف نعتمد على مصطلح Cohésion"[4].

الاتساق إذًا تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، حيث لا يعرف التجزئة، فيترابط النص من أوله إلى آخره، فدراسة الاتساق يمكننا من إدراك العلاقات الرابطة بين الجمل المكونة للنص، لذلك فالبحث عن الاتساق يرتبط بالضرورة بوصف طبيعة الروابط الشكلية لسطح النص التي تربط بين البنيات الصغرى التي يتشكل منها النص.

---

[1] مُحَمَّد مفتاح: دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الرباط، 1987، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

[3] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ص 95.

[4] المرجع نفسه، ص 96.

4- آليات الاتساق:

يرى "هاليداي" و"رقية حسن" أن أهم ما يحدد إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصا يعتمد على علاقات الترابط النصي داخل الجمل، وفيما بينها مما يخلق بنية النص: "للنص بناء نصي مما يميزه عما لا يمثل نصا ... نحصل على هذه الحبكة عن طريق علاقة الترابط"[1].

فالاتساق يعني ترابط الجمل مع بعضها بعضا بوسائل لغوية معينة، وهذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري على سطح النص أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنص، لهذا عني المهتمون بنحو النص بهذه الروابط وحاولوا حصرها وتصنيفها وبيان وظائفها.

ومن أبرز من تحدث عن أدوات الاتساق وأصبح يعد مرجع النصانيين من جهة التطبيق هو نموذج "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" في كتابهما: "الاتساق في الانجليزية"، إذ قسما أدوات الاتساق علنوعين: الاتساق النحوي Grammatical Cohésion، والاتساق المعجمي Lexical Cohésion.

ويمكن تمثيل ذلك كالآتي:

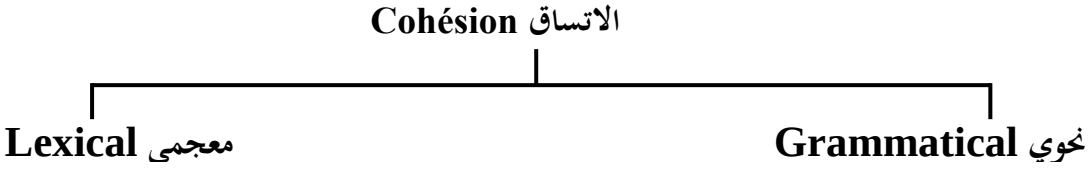

4- 1 الاتساق النحوي: Grammatical Cohésion

ويشمل الإحالة Référence، الاستبدال Substitution، والحذف Ellijis، والربط Juntion.

[1] ج براون وج يول: تحليل الخطاب، ص 228.

أ- الإحالة: Référence

لاشك أن الإحالة مصطلح قديم لكنه بمفهوم استخدامه والتوسع فيه وفي تطبيقاته في مجال لسانيات النص إنما هو مصطلح جديد من هذه الناحية.

تقوم الإحالة على مبدأ كون كل وحدة من وحدات النص/الخطاب لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، فكل عنصر يستدعي غيره محيل إليه، "تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص"[1]،وأن هذه العناصر كيفما كان نوعها لا تكتفي وفق "هاليدي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" بذاتها من حيث التأويل، "إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة"[2].

وتنقسم الإحالة عند الباحثين إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية Exphora، والإحالة النصية Endophora، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية Anaphora، وإحالة بعديةCataphora ويمكن التخطيط لتقسيمات الإحالة كالآتي[3]:

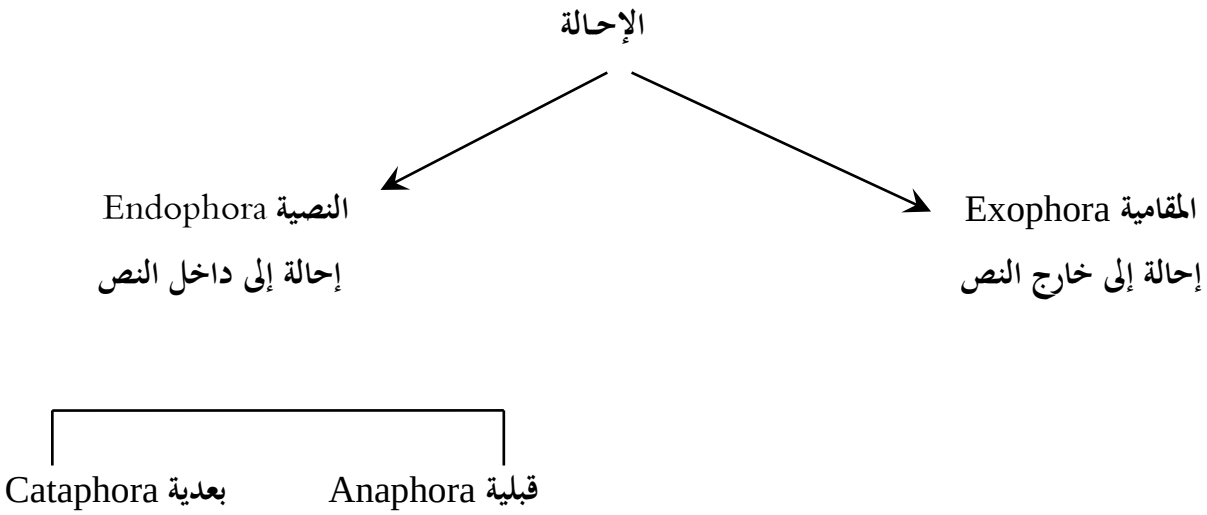

[1] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 118.
[2] محمّد خطابي: لسانيات النص، ص 17.
[3] المرجع نفسه:ص17

أ–1 الإحالة النصية: Endophora

وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة فهي إحالة نصية،و تتمثل في الضمائر وخاصة ضمائر الغيبة بوجه خاص، أسماء الإشارة، أسماء الموصول، وعناصر معجمية أخرى. فهي لا تكتسب دلالتها إلا إذا عادت إلى العناصر اللسانية داخل النص. وهذا القسم بدوره ينقسم وفق ملاحظة التتابع الأفقي الخطي لعناصر اللغة إلى قسمين:

* فالإحالة القبلية "تعود على مفسر سبق التلفظ به، وفيها يجري بتعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر"[1].

وتكمن وظيفة الإحالة القبلية في الإشارة لما سبق من ناحية والتعويض عنه بالضمير أو بالتكرار أو التوابع أو بالبحث من ناحية أخرى، ومن ثمة الإسهام في تحقيق الاتساق النصي من ناحية ثانية.

أما الإحالة البعدية "فهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، ومن ثمة ضمير الشأن في العربية"[2].

أ–2 الإحالة المقامية: Exophora

وتسمى أيضا إحالة خارج النص، وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، "وهذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنص حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بالنص"[3]، "كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحب المتكلم، حيث يربط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم"[4]، ويمكن أن يشير عنصر لغوي "إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه"[5]، فهي تخرج النص من حالة الانغلاق إلى حالة

[1] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 118.
[2] المرجع نفسه، ص 119.
[3] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص 41.
[4] الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 119.
[5] المرجع نفسه، ص 119.

الانفتاح على عالم السياق والتداولية، فهي "تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بالسياق والمقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"[1]، هذا بخلاف الإحالة النصية.

الإحالة المقامية إذا تؤدي إلى توسيع دلالة النص، إذ تطلق العنان للتأويل وتعدد الآراء والقراءات.

– وسائل علاقة الإحالة:

تتفرع أدوات علاقة الإحالة في النص إلى الضمائر وأسماء الإشارة والموصول، وأدوات المقارنة مثل التشبيه، وأدوات المقارنة مثل: أكثر وأقل.

1– الضمائر:

تكتسب الضمائر أهمية بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تتوقف أهميتها عند هذا الحد فقط، بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة"[2]. لأن تشكيل المعنى يعتمد على وضع الضمير وطبيعة الوظيفة التي يحيل إليها. "وهذه الوظيفة... ليست شكلية فقط، بل دلالية كذلك لأن الدلالة في كثير من الأحيان تبقى غامضة، وكذلك تبقى الجمل متناثرة لا رابط يربطها، وبالطبع هذه الجمل تحمل دلالات متناثرة، إلى أن تظهر الضمائر لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل بين هذه المتناثرات ويربط بينها[3] لذلك كانت أهميتها كبيرة في إحداث التماسك الشكلي ، وأضحت معرفتها أمرا ضروريا لفهم دلالة النص وفك شفرته الخفية.

يقسم "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" الضمائر إلى نوعين: ضمائر وجودية: أنا، نحن، أنت، هو، هي ... وضمائر الملكية: كتابي، كتابك، كتابه، وهو ما يقابل في النحو العربي الضمائر المنفصلة، والضمائر المتصلة.

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 17.
[2] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص 137.
[3] المرجع نفسه، ص164.

وسواء كانت الضمائر وجودية أم ملكية فإن الضمائر الدالة أم المحيلة إلى متكلم أم مخاطب إنما تعد من قبيل الإحالة إلى خارج النص، ولهذا لا يعول علماء اللغة النصيون على هذه الضمائر في عملية الاتساق النصي، إنما الذي يعول عليه كثير هو ضمائر الغياب التي تحيل غالبا إلى شيء داخل النص وتكون إحالة نصية ومن ثمة تجبر المتلقي على البحث عما يعود إليه الضمير، فيكون ذلك من قبيل الترابط النصي، "فحين نتحدث عن الوظيفة التماسكية لضمير الإحالة، فإن ضمير الغائب هو المقصود على وجه الخصوص"[1].

وبناء على هذه الأهمية يرى علماء النص المعاصرون أن محلل النص يواجه صعوبات كثيرة عندما يعترضه غموض الضمائر فيلجأ إلى الاعتماد على دور السياق، وكذلك إبراز أساس النص أو الجملة النواة التي يدور حولها ويرتبط بها. وهي تقع – عادة – في بداية النصأو الجملة الأولى كبؤرة تحوم حولها وتلتف معاني ودلالات النص.

2– أسماء الإشارة: وهذه الوسيلة تتساوى مع ضمائر الغياب، "إذ أنها عادة تحيل إلى ما هو داخل النص، مثل ضمائر الغيبة"[2]، ويذهب الباحثان هاليداي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها كالآتي[3]:

- **تقسيم حسب الظرفية:** ظرفية زمانية مثل: الآن، غدا، أمس، ظرفية مكانية مثل: هنا، هناك، هنالك.
- **تقسيم حسب المسافة:** بعيد مثل: ذاك، ذلك، تلك، قريب مثل: هذا، هذه.
- **حسب النوع:** إلى مذكر: هذا، مؤنث: هذه.
- **حسب العدد:** مفرد: هذا، هذه، مثنى: هذان، هاتان، جمع: هؤلاء.

وأدوات الإحالة الإشارية تقوم بالربط النصي عندما تستخدم في الإحالات القبلية والبعدية، ومن هنا فإنها تساعد على إيجاد ترابط نصي، ويلاحظ أن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" "الإحالة الموسعة"[4]، وهي إمكانية الإحالة

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 18.
[2] المرجع نفسه، ص 19.
[3] المرجع نفسه، ص 19.
[4] المرجع نفسه، ص 19.

إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل، مثل: قوله تعالى: "الٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ"[1]، فاسم الإشارة "تلك" يحيل على جميع آيات القرآن الكريم.

3- أدوات المقارنة: La Comparaison

يقصد بأدوات المقارنة كل الألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق، كما وكيفا أو مقارنة، وذلك يظهر فيما يأتي: مثل، مشابه، غير، خلافا، علاوة على، بالإضافة إلى، أكبر من، كبير عن، كبير مثل، ومقارنة بما، اسوة بـ، فضلا عن ... إلخ، يقول "محمّد خطابي" عن هذه الوسيلة: "أما من منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية"[2].

4- الأسماء الموصولة:

تعد الأسماء الموصولة من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النص/الخطاب، وهي أيضا تقوم على مبدأ التماثل والتطابق فيما هو موجود، يظهر ذلك جليا في ذلك القسم المعروف باسم الموصول الخاص أو المختص، مثل: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي ... إلخ، ففي مثل قوله تعالى: "ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ"[3].

فالاسم الموصول (الذي) قد قوى المعنى، وذلك بإحالته السابقة إلى الرسول ﷺ، ولكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة، كما أحيل إليه بالعائد الضمير في يجدونه، وبذلك يكون للموصول إحالتان قبلية وبعدية.

[1] يوسف، الآية: 01.

[2] محمّد خطابي: لسانيات النص، ص 19.

[3] الأعراف، الآية: 157.

تشارك الأسماء الموصولة بقية أدوات الاتساق الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تفويضا عما تحيل إليه، وهي أيضا تقوم بالربط الاتساقي من خلال ذاتها، ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تضع ربطا مفهوميا بين ما قبل الذي وما بعده.

ب- الاستبدال: Substitution

يعد الاستبدال صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات فهو: "عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[1]،ويستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي، على "أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية"[2].

ويعمل الاستبدال على اتساق النص داخليا في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات في إطار النص، وعندما نتكلم عن الاستبدال، فإننا لابد أن نتكلم عن الاستمرارية الدلالية، أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة، ومن ذلك قوله تعالى: "قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ"[3].

فقد تم استبدال كلمة "أخرى" بكلمة "فئة" أي: وفئة كافرة.

ينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع:

ب- 1 استبدال اسمي: Nominal Substitution

ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية (آخر، آخرون، نفس)[4]، والنموذج القرآني السابق دليل عليه.

---

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

[3] آل عمران: الآية 13.

[4] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 20.

ب– 2 الاستبدال الفعلي: Verbal Substitution

ويمثله استخدام الفعل (يفعل) مكان الآخر مع تأدية وظيفته التركيبية، نحو قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ "[1]، فقد استبدل الفعل يفعل مكان الفعل تتخذوا.

ب– 3 استبدال قولي Clausal Substitution

وهو استبدال قول مكان آخر مع تأدية وظيفته، باستخدام (ذلك) مثل قوله تعالى: "قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا "[2]، فكلمة "ذلك" جاءت بدلا من الآية السابقة عليها مباشرة: "قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا "[3].

تتضمن عملية الاستبدال استمرارية للعنصر المستبدل، فلا يفهم المبدل من دون العودة إلى ما هو متعلق به قبلا في النص، ومن هنا فالاستبدال يعمل على ترابط النص نتيجة لاحتياج اللاحق للسابق، وشرطه أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي في نفسه فكلمة فئة في الآية الكريمة، وكلمة أخرى دالتان على هذه المجموعة من الناس، وذلك شيء غير لغوي، فتحقق الشرط وظهر الربط.

ت– الحذف: Ellipsis

الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة حالية كانت أو عقلية أو لفظية، كما قد يعتري الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منها

[1] الممتحنة: الآية 01.
[2] الكهف، الآية: 64.
[3] الكهف، الآية: 63.

مقطع أو أكثر، "وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى. وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية توطئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"[1]، فكان الحذف "ناتج عن أن المعنى المفهوم في كل موضع زائد على عناصر اللفظ المذكورة"[2]، وإذا كان الحذف على مستوى الجملة يراعى القرائن المعنوية والمقالية، فلا شك أن نحو النص أكثر اعتمادا على ذلك لأنه يدخل السياق والمقام من أساسيات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي، مما جعل "روبرت دي بوجراند" يقول عن الحذف إنه: "استبعاد العبارات السطحية لمحتواها المفهومي أن يقوم في الزمن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"[3]، وعلى هذا تكون البنية السطحية لأي نص غير مكتملة غالبا، بالرغم مما يبدو في تقدير المتلقي، ومن خلال هذا الاستبعاد يستطيع القارئ أن يتلمس المعاني التأويلية الصحيحة للنص معتمدا على السياق اللغوي والسياق الموقفي.

ولا يختلف الحذف عن الاستبدال إلا بكونه "استبدالا بالصفر"[4]، بمعنى أن علاقة الاستبدال تترك أثرا في النص، وأن العنصر البديل يبقى مؤشرا يهتدي به المتلقي في البحث عن العنصر المستبدل، في حين يختلف الأمر مع الحذف، فلا يحل محل المحذوف، أي شيء مما يترك في الجملة التالية فراغا في البنية، يهتدي المتلقي إلى ملئه بالعودة إلى ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق.

نمثل لذلك بقوله تعالى: "شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ "[5]، يعني بذلك جلّ ثناؤه "شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة وأولو العلم "[6] فلابد من فهم "ونشهد الملائكة ونشهد أولو العلم، بدليل ما في آخر الآية من قوله

[1] محمّد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص259.

[2] طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998، ص 25.

[3] روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 301.

[4] محمّد خطابي: لسانيات النص، ص 21.

[5] آل عمران، الآية: 18.

[6] الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص231

تعالى: "لا إله إلا هو العزيز الحكيم"، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولى العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى، وهذا إفساد لدلالة النص.

ولهذا يشترط في الحذف إحاطة متلقي النص بمكونات السياق اللغوي والاجتماعي المصاحب له، ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديرا صائبا[1].

وكما قسم الباحثان هاليداي "Halliday" و"رقية حسن "R. Hassan" الاستبدال إلى اسمي وفعلي وقولي، فإنهما فعلا نفس الشيء بالنسبة للحذف[2].

ت– 1الحذف الاسمي **NominalEllipsis**: ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي، مثل قوله تعالى: "وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ"، تقديره أمرك طاعة.

ت– 2الحذف الفعلي **VerbalEllipsis**: أي أن المحذوف يكون عنصرا فعليا، مثل قوله تعالى: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ "[3]، والتقدير: خلقهم الله.

ت–3حذف داخل شبه الجملة: مثل قوله تعالى: "وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ "[4]، فقد حذفت جملة الجواب بعد بلى.

يتضح من خلال الأمثلة السابقة أن الحذف يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال والإحالة، فضلا عن عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق النص.

[1] مقدمة كتاب النص والخطاب والإجراء، ص 34.
[2] مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص 22.
[3] سورة الزخرف، الآية:87
[4] سورة الأحقاق، الآية:34

ث- الوصل:

هو مجموع الوسائل اللغوية التي تعمل على ربط الجمل بعضها ببعض، عبر مستوى أفقي لتشكل علاقات منتظمة بينها.[1] و بمعنى أخر هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابقبشكل منتظم.

يختلف الوصل عن باقي أنواع علاقات الاتساق، وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف، والمقصود بالوصل عند "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R.Hassan": "أنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[2]، يوضح "مُحَمَّد خطابي" هذا التعريف بالقول: معنى هذا أن النص يشتمل على جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك وحدة متماسكة فإنها تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص.

وبهذا يكون الوصل ربط عنصر سابق بآخر لاحق، بواسطة دال: كالعطف والاستدراك، والإضراب، والتعليل والشرط والظرف.

وقد قدم "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R.Hassan" تصنيفا واسعا لأنماط العلاقات الترابطية التي يمكن تحقيقها على مستوى الأدوات داخل لنص، والتي تزودنا بعلاقات ترابطية تربط بين أجزاء النص، وهذه الأنماط هي[3]:

1- العطف: ويجمع بين صورتين، يوجد بينهما اتحاد أو تشابه، وتختص به أدوات مثل: الواو، أو، بالإضافة، إلى ذلك، كذلك، إضافة.

2-السببية: ويربط الاستدراك على سبيل السبب بين صورتين من صور المعلومات بينها علاقة تعارض، وتختص به أدوات مثل: هكذا، نتيجة لذلك، لهذا السبب، ويترتب على هذا.

[1] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص301-302

[2] مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص 23.

[3] ج براون، ج يول: تحليل الخطاب، ص 229.

3- المقابلة: تربط بين صورتين تكون محتوياتها متماثلة صادقة، غير أن هذا الاختيار لابد أن يقع على محتوى واحد، وأدواته: لكن، إلا أن، من جهة أخرى، ومع ذلك.

4- الزمنية: وتشير إلى العلاقة بين صورتين بينهما حالة تدرج زمني، وتختص به أدوات ثل: ثم، بعد ذلك، بعد ساعة، أخيرا، في آخر المطاف.

و الجدير بالذكر أن أنواع الوصل المذكورة آنفا تؤدي وظائف متماثلة و لكن معانيها داخل النص مختلفة، فقد يعني الوصل تارةً معلومات مضافة إلى معلومات سابقة و تارةً معلومات مغايرة لسابقة أو معلومات تمثل نتيجة مترتبة عن معلومات سابقة—سبب— تارةً ثالثة، إلى غير ذلك من المعاني، "لأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة، فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص"[1].

4-2 الاتساق المعجمي: Lexical cohésion

يتميز هذا النوع في كونه لا يقوم على الترابط النحوي أو المعنوي كما في الأشكال السابقة، وإنما على وجه من وجوه التناسق بين الوحدات المعجمية، بحيث يكون بين المفردات وينقسم بدوره إلى نوعين[2]:

أ- الاتساق المعجمي القائم على التكرار: Reiteration

يعدّ التكرار وسيلة من وسائل الاتساق و ربما الأكثر شيوعا ذلك بأن له أنماطا عديدة، درسه النحاة البلاغيون العرب بحصر أنواعه في إعادة العنصر المعجمي والترادف أو ما يشبهه وذكروا أغراضه البلاغية دون توضيح أهميته في تحقيق التماسك بين عناصر النص المتباعدة؛ أي أن دراستهم اقتصرت على الجانبين الجمالي والبلاغي باستثناء بعض الإشارات.

[1] محمّد خطابي: لسانيات النص، ص 24.
[2] المرجع نفسه، ص 24.

"والتكرار هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"[1]، بمعنى تكرار لفظين يكون المرجع فيهما واحد، ويمكن توضيح ذلك بالمثال الآتي[2]:

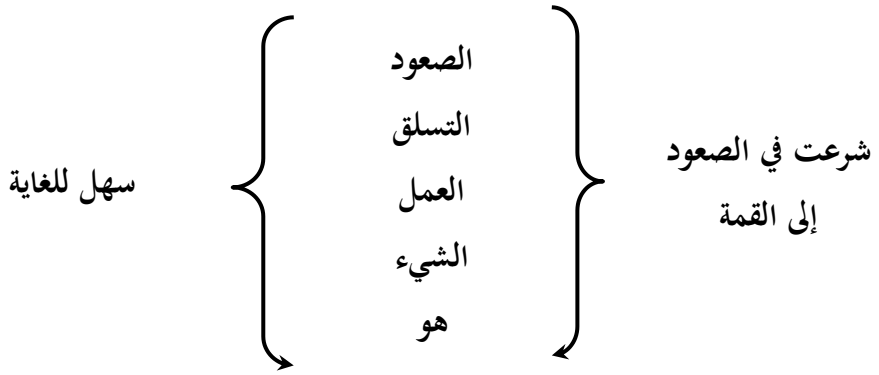

فالتكرار عند الباحثين "هاليداي Halliday" و"رقية حسن R. Hassan" يكون بأشكال مختلفة، ففي المثال السابق الوحدة المعجمية (صعود) يمكن تفويضها بتكرارها (صعود أو بمرادف (التسلق)، أو اسم مطلق (العمل)، أو اسم عام (شيء) أو باستخدام الضمير (هو).

ونجد للتكرار عندهما سلم مكون من أربع درجات، يأتي في أعلاه العنصر المعجمي نفسه، ويليه الترادف (أو شبه الترادف)، ثم الاسم الشامل (المطلق) وفي أسفل السلم تأتي الكلمات العامة وهو ما يمكن توضيحه في الرسم الآتي[3]:

[1] محمد خطابي: لسانيات النص،ص 24.

[2] المرجع نفسه: ص 24.

[3] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات، ص 80-83.

إعادة عنصر معجمي
Répétition of lexical item

الترادف أو شبه الترادف **Synonym**
(near synonym)

الاسم الشامل
Super ordinate

الكلمات العامة
General words

– إعادة العنصر المعجمي و يقصد به التكرار التام –المحض– أي تكرار الكلمة في النص أكثر من مرة بلا تغيير.

– تكرار المعنى و اللفظ مختلف و يشمل الترادف و شبه الترادف.

– تكرار الاسم الشامل و هو اسم يحمل معنى مشتركاّ بين عدّة أسماء، فيكون شاملا لها مثل :الأسماء الناس الشخص المرأة الولد البنت فهذه الأسماء يشملهااسم الإنسان.

– تكرار الكلمات العامة : و هي تقترب في معناها إلى حد ما من درجة الاسم الشامل إذ هي كلمات فيها من العموم و الشمول ما يتسع بدرجة أكبر من الشمول الموجود في الاسم الشامل.

2- ب – الاتساق المعجمي القائم على التضام: Collocation

التضام هو شكل من أشكال السبك المعجمي في النص، ويعرف عند "هاليداي Halliday" وزميلته بأنه: "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، ذلك لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[1]، فالعلاقة بين هذه الألفاظ إذن علاقة مقيدة، فلو ذكر أحدهما استدعى الآخر.

مثال ذلك قولنا: عش عزيزا، أو مت وأنت كريم، فعش ومت ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك يرتبطان بحكم التضاد ويساهما في عقد الجملة الثانية على الأولى.

أما علاقات التضام التي تضبط توارد أزواج الكلمات، والتي تفسر هذه الكلمات في ضوئها يمكن أن تكون كما ورد عند الباحثين[2]:

- علاقة التباين Complémentarités وفيه تكون الكلمتان:

أ- متضادين: Opposites مثل: ولد / بنت.

ب- متخالفين: Antonyms مثل: أحب / أكره.

جـ- متعاكسين: Convers مثل: أمر / أطاع.

2- الدخول في سلسلة مرتبة Ordered series مثل:

الثلاثاء / الأربعاء. الدولار / السنت. اللواء / العميد.

3- الكل للجزء Part to whole مثل:

السيارة / الفرامل. الصندوق / الغطاء.

4- الجزء للجزء Part to part مثل:

الفم / الذقن.

5- الاندراج في صنف عام Ganeral class مثل:

الكرسي / الطاولة. إذ تشمله كلمة الأثاث.

---

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص25 .

[2] ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 107.

ويرى الباحثان أن الحصر الدقيق للعلاقات القائمة بين الكلمات عن طريق التضام أمر صعب، يحتاج إلى وصف دلالي دقيق لأن بعض الكلمات يصعب تصنيفها وفق العلاقات السابقة مثل: الضحك / النكتة. الحديقة / الحرث. المريض / الطبيب. المحاولة / النجاح. ثم إن التضام أو المصاحبة المعجمية قد يشمل أكثر من زوجين مثل: شعر / أدب / قارئ / الكاتب / الأسلوب.

ثانيا– الانسجام

1– لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغةك "سجم السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صب الشيء من الماء والدمع، يقال سجمت العين دمعها، وعين سجوم ودمع مسجوم، ويقال أرض مسجومة ممطورة"[1].

وورد في لسان العرب أن (س.ج.م) تدل على عدة معاني أهمها:"سجم: سجمت العين الدمع والسحابة لماء تَسْجِمُه وتسْجَمُهُ سجْمًا وسجوما وسجمانا، وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا، وكذلك الساجم من المطر، والعرب تقول دمع ساجم ودمع مسجوم، سجمته العين سجما ..."[2]، والمنتج للمادة اللغوية (سجم) يجد أنها ارتبطت بمفاهيم أهمها القطران والانسياب والسيلان.

وهو المعنى الذي ورد في معجم الوسيط: "سجم الدّمع والمطر سجوما وسجاما وتسجاما، سال قليلا أو كثيرا، عن الأمر أبطأ وانقبض، العين تدمع سجما وسجوما، أسالته، ويقال سجمت السحابة الماء، أسجمت السحابة: دام مطرها، العين الدمع سجمته، ويقال أسجمت السحابة الماء ... انسجم الماء انصب ..."[3].

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ص 136-137.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 280.
[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص 466-467.

إن المتأمل للمعاني المتعلقة بمادة "سجم" يجد أنها تدور حول القطران والصب والسيلان، وهذه المفردات توحي بالتتباع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار، وإذا ربطنا هذه المعاني بالكلام نجد الانسجام هو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم.

2-اصطلاحا:

يعد مصطلح الانسجام جانبا من الجوانب المهمة في دراسة النص أو تحليل النص، ويعد مفهوم الانسجام أعمق من مفهوم الاتساق، من منطلق أنه يتجاوز مستوى الترابط الشكلي ليبحث عن التعالق الدلالي بين عناصر النص.

فإذا كان معيار الاتساق مختصا بالتناسق الشكلي الذي يفرضه ظاهر النص فإن الانسجام مختص بالتناسق المعنوي الذي تفرضه المعاني و ما بينهما من علاقات ذهنية و بتعبير آخر هو "معيار يختص برصد الاستمرارية المتحققة في عالم النصtextual world، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم Concepts والعلاقات relations الرابطة بين هذه المفاهيم"[1].

يقوم هذا المعيار عند روبرت دي بوجراند على الترابط المفهومي، الذي تحققه البنية العميقة للخطاب/ النص، وتظهر هنا عناصر منطقية، مثل السببية والعموم و الخصوص وهي تعمل على تنظيم الأحداث والوقائع داخل بنية الخطاب[2] فالانسجام إذن يرتكز أساسا على العلاقات الدلالية الحاصلة بين أجزاء النص ويتحقق عن طريق إجراءات تنشط عناصر المعرفة للوصول إلى الترابط المفهومي.

3- العلاقات الدلالية التي تؤدي إلى انسجام النص:

يعرفها سعد مصلوح بأنها" حلقات الاتصال بين المفاهيم و تحمل كل حلقة اتصال نوعا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به . بأن تحمل عبيه وصفا أو حكما، أو تحدد له هيئة أو شكلا و قد

[1] سعد مصلوح: نحو أجرومية النص الشعري، ص154 .
[2] دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص103.

تتجلى في شكل روابط لغوية واضحة في ظاهر النص كما تكون أحيانا علاقات ضمنية يضفيها المتلقي على النص و بها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط و هنا يكون النص موضوعا لاختلاف التأويل"[1] و هذه العلاقات كثيرة ومتنوعة، تختلف باختلاف النصوص فقد يتوافر بعضها في نص و بعضها في نص آخر، بمعنى أنه ليس من الضروري أن تتوافر كل العلاقات في النص الواحد حتى يكون منسجما و لكن – على الأقل –يتوافر به بعضها.

و قد صنف جميل عبد المجيد العلاقات الدلالية استنادا إلى دراسة أوجين نايدا Eugène naida، حيث أحصى نايدا تسعة عشر نمطا من أنماط العلاقات الدلالية، سنحاول التطرق إلى أبرزها بشكل موجز فيما يأتي[2]:

1. **علاقة الإضافة المتكافئة:** "وتشتمل على تعبيرين متماثلين تماما، فالعلاقة بين هذين التعبيرين هي علاقة تكافؤ لأنهما يقولان شيئا واحدا و لكن في أشكال سطحية مختلفة" تتجلى هذهالعلاقة في التكرار المعنوي حين يكون على مستوى الجمل وذلك مثل(قولنا لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، وهما في المعنى سواء وإنما كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته.
2. **علاقة الإضافة المختلفة:**"وهي أكثر تعقيدا لأنها قد تتضمن بنيات متوازية لمشاركة واحد أو لمشاركين مختلفين"وتجلى في ضرب من ضروب المقابلة عند قدامة بن جعفر، إذ تتحقق المقابلة فيه عن طريق ما يمكن تسميته توازي الأفعال، أو الفعل وردّ الفعل يقول قدامةبن جعفر في سياق سرده بالأمثلة صحة المقابلة منها قول الطرماح بن حكيم(الوافر):

أسرناهم و أنعمنا عليهـــم وأسقينا دماءهم الترابـا

فما صبروا لبأس عند حرب ولا أدّوا لحسن يدّ ثوابا

فجعل بإزاء أن سقوا التراب و قاتلوهم أن صبروا و بإزاء أن أنعموا عليهم أن يثيبوا.

[1] سعد مصلوح: نحو أجرومية النص الشعري، ص154.

[2] ينظرجميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 144/146.

3. **العلاقة الإبدالية:**"وهي العلاقة التي تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين يكون أحدهما بديلا للآخر"، وتتجلى في فن تجاهل العارف، ففيه يتم الربط بين طرفين أحدهما إبهاما بديل للآخر كما قول الحسين بن عبد الله :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر

4. **العلاقة الثنائية التقابلية:** وتربط بين طرفين أو حدثين متقابلين وتتجلى هذه العلاقة في فن المقابلة ففيها يأتي معنيان متوافقان أو معان متوافقة، ثم يأتي ما يقابلها على الترتيب و منه قول الشاعر:

فلا الجودُ يُفني المال والجدُ مُقبل ولا البُخل يُبقي المالَ و الجد مُدبر

وفي مثل هذا الشاهد تعاضد التوازي التركيبي والصوتي مع التقابل الدلالي مما جعل البيت مسبوكا محبوكا معا.

5. **العلاقة الثنائية المقارنة:** وفيها يتم المقارنة بين طرفين أو حدثين أو موقفين، وتتجلى في فن التفريق لأنه يقوم على إبراز أوجه المقارنة أو المفارقة بين أمرين.

6. **التفصيل بعد الإجمال:**"و تعني إيراد معنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه". وأهمية هذه العلاقة في بناء الانسجام الدلالي للنص تعود إلى أن الإجمال غالبا ما يسبق التفصيل. والشرح المفصل إنما يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله ولا يستقل عنه، إذ ترتبط به أجزاء النص ومتتاليته الخالية من وسائل الانسجام الشكلية.

7. **العلاقات المنطقية:**و تجسدها العلاقات السببية باختلاف أشكالها:

- السبب/ الأثر.
- السبب/ النتيجة.
- الوسيلة/ النتيجة.
- الشرط/ الجواب.
- المفترض/ النتيجة.

كانت هذه أبرز العلاقات الدلالية التي يمكن أن ترد في أي نص، بالإضافة إلى وسائل أخرى مثل: العنوان، الجملة الأولى، الجملة المحورية (جملة الهدف).

والملاحظ أن أغلب العلاقات الدلالية السالف ذكرها تحتوي على روابط ملفوظة، أما العلاقات الملحوظة بين المعاني فهي كثيرة– أيضا– نذكر منها أهم الدراسات العربية التي اشتملت على أكثر وسائل الانسجام من منظور الأصوليين و اللغويين العرب وهي دراسة علم المناسبة.

4– أبعاد الانسجام عند فان دايك

يستخدم "فان دايك Van Dijk مفهوم الترابط إشارة إلى علاقة مخصوصة بين الجمل[1]، ولما كانت الجمل مركبة والترابط علاقة دلالية، فقد فضل "فان دايكVan Dijk" الحديث عن قضيتين أو قضايا جمل متسلسلة، وكي يوضح "فان دايكVan Dijk" معنى الترابط أعطى أربع مجموعات متباينة من الأمثلة كالآتي[2]:

[1] أ– جون أعزب، إذن فهو غير متزوج.

ب– جون أعزب، وعلى ذلك فهو يشتري أغاني كثيرة.

ج– جون أعزب، إذن أمستردام هي عاصمة نيثرلاند.

[2] أ– ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل فقد رسب في الامتحان.

ب– ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل، فقد قبلته ماري على خده.

ج– ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل، فإن القمر يدور حول الأرض.

[3] أ– إن أمستردام هي عاصمة نيثرلاند، عدد سكانها 800.0000 نسمة.

ب– أمستردام هي عاصمة نيثرلاند، هل تحب أمستردام؟

[1] فان دايك: النص والسياق، ص 74.
[2] المرجع نفسه، ص 74-75.

ج– أمستردام هي عاصمة نيثرلاند، وبموجب ذلك أعلن افتتاح الجلسة.

[4] أ– سؤال: أين تنوي أن تذهب في عطلتك هذا الصيف؟

جواب: من المحتمل أن أسافر إلى البرتغال.

ب– سؤال: أين تنوي أن تذهب في عطلتك هذا الصيف؟

جواب: في هذا الصيف، سيسافر أخي إلى البرتغال.

ج– سؤال: أين تنوي أن تذهب في عطلتك هذا الصيف؟

جواب: هل يمكن أن تخبرني كم الساعة الآن؟

ثم يعلق على هذه المجموعات الأربعة من حيث المقبولية أو عدمها، موضحا أن الجملة الأولى في كل مجموعة مقبولة، والثانية أقل مقبولية، والثالثة غير مقبولة، ينظر "فان دايك"[1]، ثم يتساءل: "ما هي أنواع القيود التي تحدد أحكامنا البديهية إزاء صفة القبول الدلالي لهذه الجمل أو لضروب الخطاب هذه؟

ويوضح "فان دايكVan Dijk" أن الترابط لا يتعلق بوجود الأدوات الرابطة، ففي أمثلة (3) و(4) يجوز أن تكون الجمل مرتبطة أو مستغنية عن الربط ... وبالعكس فإن وجود الروابط لا يجعل الجمل مترابطة كما هو ملاحظ في مثال (1) ج، [2] ج"[2].

يتناول "فان دايكVan Dijk" بعض القيود التي تحكم العلاقات المفهومية بين معاني القضايا، ويذكر أن هذه القيود: "متباينة فهي تقوم أحيانا على العلاقات بين معاني الجمل، وأحيانا أخرى على العلاقات بين الجمل بوصفها كلا والعلاقات بين مكونات الجمل"[3].

[1] ينظر: فان دايك: النص والسياق، ص 75.

[2] المرجع نفسه، ص 75.

[3] فان دايك: علم النص، مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص 48.

القيد الأول: تطابق الإحالة

ويعني بذلك أن القضايا أو الجمل يرتبط بعضها ببعض عندما تكون الوقائع التي تحيل إليها القضايا مرتبطة بعضها ببعض، ويوضح الباحث بالأمثلة الآتية[1]:

- لأن الطقس كان جميل، يدور القمر حول الأرض.

- حين كنت غنيا ولد هانز في كولونيا.

- نجح يان في امتحانه، قضت والدته إجازتها في السنة الماضية في إيطاليا.

الملاحظ على الأمثلة السابقة أنها جميعا غير مقبولة، وذلك لأن المتحدث عنه في كل جملة مختلف عن المتحدث عنه في الجملة التي تليها، أي أن المحال إليه مختلف، وهكذا فإن الجامع بين هذه الأمثلة هو عدم التطابق الإحالين، ومن ثمة صارت غير مقبولة.

القيد الثاني: تعالق الوقائع

ويراد به أنه مع كون المحال إليه واحدا، لابد أن يكون الموقف أيضا واحدا، ومن ثم ترتبط المعاني أو القضايا، ويمثل "فان دايكVan dijk" لهذا بالمثال الآتي[2]:

اجتاز يان امتحانه، ولد في أمستردام.

فعلى الرغم من أن المحال إليه في الجملة الثانية، ومع ذلك فإن التطابق الإحالي لا يكفي وحده لجعل هذا التتابع من الجمل مقبولا، وذلك لأن واقفة اجتياز (يان) لامتحانه غير مرتبطة بواقعة مولده في أمستردام.

ومن ثم كان عدم تعالق الوقائع الذي أدى إلى عدم مقبولية هذا التتابع.

[1] فان دايك: علم النص، مدخل متداخل التخصصات ص 48.

[2] فان دايك: علم النص، ص 53.

القيد الثالث: الخلفية المعرفية

فضلا عن هذين القيدين فإن "فان دايكVan Dijk" يضيف قيدا ثالثا، كي تكون العلاقات بين معاني القضايا مقبولة، إذ لابد من وجود الخلفية المعرفية، أي أن المعاني التي يشتمل عليها النص قد تتوافر لها كل قيود الربط عدا الخلفية، وعندئذ لا يكون النص مقبولا، ومن الأمثلة الموضحة لهذا القيد[1]:

اشترى بيتر بيانو، وقد اشترى حيرد في الأسبوع الماضي واحدا أيضا.

فرغم أن الحديث عن حدث واحد وهو الشراء إلا أن العلاقة بين معنى الجملتين لا تعد مقبولة، إلا إذا كان بيتر وحيرد في دائرة المعروفين سلفا لدى المتحدث.

- المعايير العامة أو العلاقات التي تحدد ترابط الوقائع:

تحدث "فان دايك Van Dijk" عن قيود إحكام العلاقات ومنها قيد تعالق الوقائع، وأهميته في جعل النص مقبولا، بيد أن هذه العلائق المتعالقة لابد لها من معايير هي في الحقيقة علاقات تحدد ربط وترابط الوقائع ومن ثم تكون مقبولة.

1- علاقة السببية:

وهي علاقة منطقية تعطي النص ترتيبا وسهولة في الفهم، ومن ثم يكون النص مقبولا، "وتشكل تلك العلاقة بين الوقائع الأساس لاستخدام أدوات ربط (سببية)، مثل الروابط (لأن وإذ، وهكذا، وأن ... إلخ)، والظروف: من ثم، وعلى ذلك، وإذن، وتبعا لذلك ... إلخ"[2]، ومن الأمثلة التي ساقها "فان دايكVan Dijk " في ذلك: "عذرا لأني تأخرت هكذا، غير أني ذو شعر أحمر"، ويعلق الباحث قائلا: "... إن المستمع يمكن أن يرفض اعتذاره رفضا تاما، لأنه هراء، لأن صاحب الشعر

[1] فان دايك: علم النص، ص 54.

[2] المرجع نفسه، ص 55.

الأحمر لا يكون عادة علة اعتذار عن أوجه التأخير"[1]، ومن ثم افتقد هذا النص أو هذا المثال علاقة السببية، ومن ثم افتقد القبول.

– علاقة الترادف:

ويبين "فان دايك Van Dijk" أن من العلاقات التي تحدد تعالق الوقائع علاقة الترادف، وقد مثل لهذا بهذا المثال: "ليس لبيتر زوج لأنه أعزب"[2]، فالنص صادق في كل العوالم الممكنة، إذ أنه تحصيل حاصل، فمعنى أن بيتر ليس له زوج هو نفس أنه أعزب، فلم تضف الجملة الثانية جديدا، إذ إنها مرادفة للأولى، ومن ثم فالنص مقبول.

– علاقة الاتحاد الزمني:

بمعنى أن الواقعتين تقعان في نفس الوقت، ويمثل "فان دايكVan Dijk" بالمثال الآتي: "لقد ذهبنا إلى الشاطئ ولعبنا الكرة، فكما هو واضح أن الرابط بين الجملتين هو أن حدث اللعب تزامن مع حدث وجودهم على الشاطئ، فهما متفقتان اتفاقا مجردا، إذ لم يمنع وقوع إحداهما في مقام معين.

– علاقة الإطار المعرفي:

ويعني "فان دايك Van Dijk" بذلك أن المعرفة التصورية عن المواقف ومجريات الحدث ضرورية لترابط قضايا أو جمل النص، أي أنه يجب التعرف على الإطار المعرفي الذي يحيط بالقضايا، لأنه قد يكون هو الرابط الوحيد بين الجمل والقضايا[3]، ويمثل "فان دايك Van Dijk" لهذا بالمثال الآتي: "لم يكن مع بيتر مال، بحيث يدخل الحانة، فالإطار المعرفي هنا بين وواضح، لأن المرء يجب أن يدفع عادة للأكل والشرب في الحانة، لذلك كان ذلك سببا في عدم وجود بيتر في الحانة، لأنه لا يمتلك مالا".

[1] فان دايك: علم النص، ص 55.

[2] المرجع نفسه،ص 55.

[3] ينظر: فان دايك: علم النص، ص 58.

– علاقة تعالق العوالم الممكنة:

ويمثل "فان دايكVan Dijk" بهذا المثال: "حلمت أن الطقس حار جدا، فذهبت إلى الشاطئ"، لأن واقع كون الطقس حارا في عالم الأحلام ليس سببا عاديا للذهاب إلى الشاطئ في عالم الواقع"[1].

وكما هو واضح يقصد "فان دايك" أن القضايا أو الجمل المتجاورة يجب أن يربط بينها عالم واحد، سواء كان عالم الخيال أو عالم الواقع أو عالم الأحلام، أما إذا اختلفت وتباينت العوالم في سياق واحد فقد يكون المعنى في النص غير مقبول.

– علاقة التطابق الإحالي:

ويمثل له "فان دايكVan Dijk" بهذا النص: "... سافر بقطار المساء (ج1)، كانت مريحة (ج2)، في صباح اليوم التالي استجم (بيتر) في مكان إجازته (ج3)، أمطرت بردا (ج4)، وقع الفندق على حافة القرية (ج5)، وجد منظر جميل على الجبل (ج6)، أحس منذ البداية بتحسن(ج7)"[2].

يقول "فان دايك": "نريد الآن أن نفترض أنه توجد إلى جانب الربط بين قضايا كلية علاقات بين أجزاء القضايا أيضا، أي بين معاني الأفعال، أو بين معاني الأسماء أو محيلاتها، وفي فقرتنا النصية (يوجد) الإحالة المشتركة، التي ذكرت بين هو وبيتر في: ج1، ج3، ج7، وفي هذه الحالة يتعلق الأمر بتطابق المحيلات"[3].

[1] ينظر: فان دايك: النص والسياق، ص 77.
[2] فان دايك: علم النص، ص 59-60.
[3] المرجع نفسه، ص 60.

– علاقة التوقع:

ويمثل لها "فان دايك" بهذا المثال: "لأن الفندق يقع على الشاطئ، توفر لبيتر منظر جميل على الشاطئ"[1].

وتوضيح ذلك أن من يسمع الجملة الأولى، وهي كون الفندق يقع على الشاطئ لابد أن يتوقع بخلفية معرفية مسبقة ما هو آت من معلومات، "إذ يفترض أن السامع يعرف هذه الواقع بناءً على القضية السابقة في النتائج، أو بناء على القضايا التي تستنتج من ذلك منطقيا، أو تستنتج من خلال المعرفة العامة في العالم"[2].

كما يعتبر "فان دايكVan Dijk" ترتيب الخطاب مقوما أساسيا من مقومات الانسجام ويسميه "الترتيب العادي للوقائع في الخطاب"، ويقصد به مدى مطابقة متتالية من الوقائع لمعرفتنا الطبيعية والمنطقية للعالم، وركز على الترتيب المقيد الذي "يظهر مباشرة أن الترتيب فيه اختلاف عن الأصل"، مثل: صليت ركعتين ثم توضأت، ودخلت المسجد، فيسأل المتلقي: الأصل أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيصلي ... إذ هو الذي يظهر قصدية الناص، وحدوثه دون أثر دلالي أو تداولي يخل بالانسجام في النص من وجهة نظره، بخلاف الترتيب الحر الذي لا يظهر للمتلقي دليل على أصله، كان معي علي وسليمان وتوفيق، بالنسبة للمتلقي هذا لا يختلف عن الترتيب التالي: كان معي توفيق وعلي وسليمان، إذا كان يسمع الجملة لأول مرة"[3].

ثم يتحدث "فانداياك Van Dijk" في قضية تمام النص ونقصه*، وبين أن المعتبر في النص، ليس التمام أو النقص، بل هو الاختيار بحيث لا تظهر جمل أو قضايا لا تخدم البنية الكلية في النص، لأن ذلك يؤدي إلى اختلال انسجام النص[4]، وبين "فان دايكVan Dijk" كل هذا ليصل إلى أن

---

[1] فان دايك: علم النص، ص 66.

[2] المرجع نفسه ، ص 67.

[3] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص 38-39.

* الخطاب التام: هو الذي يذكر كل الوقائع المشكلة لمقام معين يوجد فيه، ولا يمكن تحقيقه واقعا، الخطاب الناقض هو الذي ينفي من الوقائع الفعلية المشكلة لمقام معين يوجد فيه.

[4] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 40-42.

النص، ما هو إلا بنية كلية ذات موضوع، بمعنى أن النص يدور في بؤرة محددة هي موضوعه، وأن كل الجمل الأخرى ما هي إلا شرح، وتفسير، وإعادة صياغة لتلم البؤرة، واستدل على سلامة فكرته بأن المتلقي بعد سماعه للخطاب أو قراءته للنص، يسأل:

ماذا قال؟ هذا موضوع غير مترابط، ما العلاقة بين هذه وتلك؟ ... إلخ، وهذا يؤكد أن المقصود هو إيجاد بنية كلية ذات موضوع[1].

بناء على ما سبق يتضح أن الانسجام من منظور "فان دايكVan Dijk" واحد من مكونات عديدة للخطاب / النص، وهو واقع في دائرة الدلالة، ويخلص إلى اختزال مقومات انسجام الخطاب أو النص في جملة من المبادئ منها: تطابق الذوات، علاقات التضمن، مبدأ الحالة العادية المفترضة للعوالم، مفهوم الإطار، التطابق الإحالي، تعالق المحمولات، العلاقات الترابطية بين المواضيع.

5- الانسجام من منظور ج يول G. Yul وبراون G Brown:

يذهب "يول G. Yule" و"براون G. Brown" إلى اعتبار القارئ المرتكز الأساسي الذي يعتمد عليه في تحقيق الانسجام النصي، من خلال فعل القراءة.

وبذلك فهما لا يعدان مفهوم الانسجام معطى جاهز موجودا بوجود الخطاب، وينبغي البحث عنه للعثور عليه وعلى مستجداته، فلا وجود لنص منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وآخر بأنه غير منسجم، فتركيزهما ينصب على انسجام التأويل وليس انسجام الخطاب، بمعنى أن الخطاب / النص يستمد انسجامه من فهم وتأويل المتلقي.

للبرهنة على رأييهما يقدمان نصوصا تفتقر إلى الروابط الشكلية، ومع ذلك يستطيع القارئ فهمها وتأويلها، أي: عدها نصوصا منسجمة رغم تفككها الظاهر، ومن ذلك المثال الآتي[2]:

[1] محمد خطابي: لسانيات النص، ص 42-46.

[2] ج يول، ج براون: تحليل الخطاب، ص 268.

محاضرة اللسانيات الإبستيمية، الخميس 3 يونيو، الثانية ظهرا، ستيف هارلو (قسم اللسانيات جامعة يورك)... نحو لغة بلاد الغال والنحو المعمم لبنية الجملة".

نحن أما نص شديد الاقتضاب، لا تربط بين وحداته أية روابط نصية أو شكلية ما عدا علامات التنقيط، ولكن من خلاله نحن نعلم يقول الباحثان: "أن ستيف هارلووليس رجلا آخر (يدعى محاضرة اللسانيات الإبستيمية) سيلقي محاضرة (بدلا من أن يكتب أو يغني أو يعرض شريطا)، ثم إبراز عنوانها بعلامات تنصيص، (فجامعة يورك هي الجامعة القادم منها) في الثالث من يونيو الأقرب من تاريخ الإعلان المعلق وهكذا"[1]. السؤال المطروح هنا: كيف وصل القارئ إلى هذا التأويل؟ هناك مبدآن اثنان يمكن الاعتماد عليهما، أولهما واقع كون مكونات الإعلان متجاورة، إذ رغم عدم وجود روابط شكلية تربط السلاسل المتجاورة، فإن واقع كونها متجاورة يجعلنا نؤولها كما لو كانت مترابطة، "إن تجاور مقاطع لغوية يؤدي بنا إلى فهمها على أنها مترابطة حتى في غياب أدوات رابطة بينها"[2].

وثاني المبدأين هو: "افتراض الانسجام"[3]، من قبل المتلقي الذي يعمد إلى تصور نظام ما للخطاب كيفما كانت طريقة تنظيمه وهو منسجم، رغم خلوه من الروابط الشكلية.

ومن ثمة يتلخص الطرح الذي قدمه "يول Yule و براون Brown في":

- لا يملك الخطاب / النص في ذاته مقومات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

- كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم، والعكس صحيح.

يتوقف اختبار هذين الافتراضيين على مبادئ وعمليات الانسجام نوجزها كالآتي:

[1] ج يول، ج براون: تحليل الخطاب،ص 268.
[2] المرجع نفسه، ص 268.
[3] المرجع نفسه، ص 269.

6- مبادئ الانسجام:

6-1 السياق وخصائصه:

يوفر السياق إمكانية أفضل لفهم النص وانسجامه لأنكل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم، والعكس صحيح. ولذا راح الدارسون والمحللون يعولون عليه كثيرا في فهم النصوص وإزالة غموضها وتأويلها بما ينسجم مع مقاصد المتكلم.

يذهب "يول Yule" و"براون Brown" إلى أن محلل النص / الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب أو النص، لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويليين مختلفين، وفي هذا الصدد يرى "هايمس" إن للسياق دورا مزدوجا، إذ "يحصر مجال التأويلات الممكنة (...) ويدعم التأويل المقصود"[1].

ونظرا للأهمية التي تولى للسياق في فهم دلالة الكلام، فقد غدا قاعدة أساسية في عملية التأويل، ما دام فهم الخطاب/النص يستدعي شرطا أساسيا وهو فهم السياق. ويرى براون ويول أن فهم السياق يستوجب "منا على الأقل معرفة هوية المتكلم المتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي"[2].
ويعتمد "ج يول J Yule" و"ج براون J Brown" في تحديدهما لخصائص السياق على التصنيف الذي وضعه "هايمز" وتتمثل في [3]:

1- المرسل: هو المتكلم أو الكاتب.
2- المتلقي: هو السامع أو القارئ.
3- الحضور: مستمعون آخرون حضورهم يساعد على صحة الفهم.
4- الموضوع: هو الفكرة التي يدور حولها الحدث الكلامي.
5- المقام: يمثل زمان ومكان حدوث التواصل.
6- القناة: الوسيلة التي تم بها التواصل: كلام، كتابة، إشارة.
7- النظام: يكون لغة فصيحة، لهجة، أسلوبا.

[1] ج يول و ج براون: تحليل الخطاب، ص 47.
[2] المرجع نفسه، ص: 35.
[3] المرجع نفسه، ص: 48/47.

8- شكل الرسالة: يكون جدالا، موعظة، غرامية.

9- المفتاح: يعني التقويم كأن تكون الرسالة موعظة حسنة أو شرحا مثيرا.

10- الغرض: القصد من الرسالة التي ينقلها المشاركين في الحدث التواصلي.

وتجدر الإشارة إلى "أن هذه الخصائص ليست كلها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية"[1] إذ يختار الدارسون ما يكون ضروريا يساعد على الفهم ".

1- أ مبدأ التأويل المحلي:

يرتبط هذا المبدأ بما يمكن أن يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني أو مكاني من قبيل (الآن، هنا)، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم مُحَمَّدمثلا، ويقتضي هذا وجود مبادئ في متناول المتلقي تجعله قادرا على تحديد تأويل ملائم ومعقول في مناسبة قولية معينة، إن أحد هذه المبادئ هو التأويل المحلي الذي "يعلم المستمع بأن لا ينشئ سياقا أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما"[2].

1- ب مبدأ التشابه:

من أجل إبراز أهمية التجربة السابقة التي يراكم بها الإنسان عادات تحليلية وفهمية وعمليات متعددة لمواجهة النصوص، يتكئ "يول" و"براون" على رأي عالم نفسي وهو "باريليت" "إن كل العمليات المعرفية من الإدراك والتفكير ليست إلا سبلا تمكن (جهدنا في تقصي المعنى) من التعبير عن نفسه وبتعبير أشمل، نقول: "هذا الجهد هو ببساطة محاولة لربط شيء معطى بشيء آخر مخالف له"[3].

وتتجلى أهمية التجربة السابقة في المساهمة في إدراك المتلقي للإطراءات عن طريق التعميم، ولن يتأتى له ذلك إلا بعد ممارسة طويلة نسبيا، وبعد مواجهة خطابات متنوعة مما يؤهله إلى اكتشاف

[1] مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص: 53.

[2] ج يول، ج براون: تحليل الخطاب، ص 71.

[3] المرجع نفسه، ص 74.

الثوابت والمتغيرات، وعلى هذا النحو يمكنه الوصول إلى تحديد الخصائص النوعية لخطاب / نص معين.

من ضمن ما تزود به التجربة السابقة للمتلقي، القدرة على التوقع، أي توقع يمكن أن يكون اللاحق بناء على وقوف (أي المتلقي) على السابق.

إن تراكم التجارب ومواجهة المتلقي للخطابات واستخلاص الخصائص والمميزات النوعية للنص يقود القارئ إلى الفهم والتأويل بناء على المعطى النصي الموجود أمامه انطلاقا من مبدأ التشابه.

من هذا المنطلق يعد المبدأ التشابه أحد الاستكشافات الأساسية التي يتبناها المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق.

على أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن هذان الميدان عصا سحرية تمكن آليا من مواجهة جميع أنواع الخطاب / النص مهما كانت جدتهما، ومهما كان اختلافهما عن الخطابات / النصوص السابقة، بل يبذل الإنسان جهدا للبحث عن المعنى، يتجلى هذا في قول "يول Yule" و"براون Brown": "هذان المبدآن يوجدان توقعا قويا لدى الناس بأن ما يقال أو يكتب له معنى في إطار السياق الذي يظهر فيه، فحتى في أسوء الظروف، فإن رد الفعل الطبيعي للإنسان يبدو في سعيه لإضفاء معنى على كل علامة تشبه اللغة أو تشبه أي محاولة من محاولات الاتصال (...) إن المجهود الطبيعي للسامعين والقراء على حد السواء، هو سعيهم إلى إضفاء نوع من المناسبة والترابط المعنوي على النص الذي يواجهونه إلى أن يأتي ما يخالف ذلك فيجبرهم على التخلي عن هذا الجهد"[1].

[1] ج يول و ج براون: تحليل الخطاب، ص 79-80.

1- ت التغريض:

ويقوم على خاصية كون الخطاب مهما كان تنوع عناصره ودلالاته، فإنه ينتظم دائما حول نقطة بداية أو نقطة ارتكاز، أو ما يسميه اللسانيون غرض عام أو محور عنوان، ويمكن أن يكون الغرض شخصية أو موضوع أو قضية أو حادثة عمليات الانسجام. ويسميه براون ويول الإخراج وهو "كل تركيبة، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة و كل خطاب حول عنصر واحد خاص يكون هو نقطة الانطلاق" [1] أو البداية التي تتحكم في التأويل لأن معاني النص تدور حولها وترتبط بها، لأن النص يتكون من متتاليات لها بداية ونهاية فإن بدايته انطلاقا من العنوان أو الجملة الأولى لها دور كبير في فهم مضمون النص كله[2].

1- ث المعرفة الخلفية:

تتعلق هذه العملية بما يحمله القارئ (السامع) من معارف سابقة وخبرات وتصورات موجهة لنص، ومحددة لتأويل دلالاته،" فالقارئ حين يواجه خطابا / نصا ما، لا يواجهه وهو خالي الذهن، إنما يستعين بتجاربه السابقة."[3]وهذه الذاكرة المعرفية تساعد على فهم النص وتتجاوز عوائق تأويله "فمن هذا المنظور تعد عملية فهم الخطاب أساسا عملية استرجاع المعلومات المخزنة في الذاكرة و ربطها بالخطاب الذي نتعامل معه" [4] وعملية السحب هذه تقتصر على ما يخدم الموضوع بمعنى أن القارئ "حين يواجه خطابا ما لا يسحب من ذاكرته إلا المعلومات التي توافق الخطاب المواجه"[5].

1- ج الأطر:

ومع نظرية الأطر هذه "ميسكي" وهي طريقة تمثل بها المعرفة، ويذهب هذا الباحث إلى أن معرفتنا مخزنة في الذاكرة على شكل بنى مخصصة للبيانات يسميها: "إطارات معرفية"، تمثل مواقف نموذجية، وتستعمل بالطريقة الآتية: "عندما يعترضنا موقف جديد (...) فإننا نحتاج مما هو متوفر في

[1] ج يول و ج براون: تحليل الخطاب، ص: 156.
[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 59
[3] المرجع نفسه، ص:61.
[4] ج يول و ج براون: تحليل الخطاب، ص:283.
[5] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،62.

ذاكرتنا إلى بنية تسمى إطارا معرفيا، وهي عبارة عن إطار نتذكره يتم تكييفه ليتناسب مع الواقع، وذلك بتغيير التفاصيل حسب الحاجة"[1].

وتعد الأطر تمثيلات نموذجية جاهزة للتكيف والامتلاء مع وضعية جديدة، والمثال الذي يستدل به الباحثات "يول Yule" و"براون Bown" هو كالآتي[2]:

1- حين تدخل مكتب الاقتراع، أدل باسمك وعنوانك إلى الموظف، فالإخبار الذي توصل به المنتخب بتضمن فراغا مرتبطا بمكان التصويت لكن هذا الفراغ لا يخلق مشكلا فهم بالنسبة للقارئ، إذ أن هذا المكان جاهز في إطار التصويت لديه، ولهذا تجاوز منتج الخطاب تعيين المكان، لأنه يتوقع من المتلقي امتلاك هذه المعرفة.

ويكاد مفهوم الإطار يتطابق مع مفاهيم أخرى مجاورة، وردت لدى العرف على سبيل المثال: السيناريو، الخطاطة والمدونة ... إلخ.

يستخلص مما سبق أن مفهوم الانسجام عند "يول Yule" و"براون Brown" يتحدد في كونه عملية ذهنية وليس شيء معطى مسبقا، ويتجلى ذلك من خلال تركيزهما على دور المتلقي في بناء الانسجام.

[1] ج يول و ج براون: تحليل الخطاب، ص :285.
[2] المرجع نفسه، ص 286.

*** علم المناسبة:**

لقد أدرك اللغويون العرب أن النص يجب أن يكون وحدة واحدة، وعبروا عن ذلك بعبارات منها (جودة السبك)، و(يفرغ إفراغا واحدا)، وقد ذكروا بعض أسس التماسك النصي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظرية تماسك النص، وإن لم يؤسسوا نظرية عربية في هذا المجال، ومن أبرزها تلك الأسس "المناسبة".

1– مفهوم المناسبة لغة واصطلاحا

أ– لغة: النون والسين والباء كلمة واحدة قيامها اتّصالِ شيءٍ بشيءٍ ومنه النَّسبُ سمّي لاتِّصاله والاتّصال به .تقول: نَسَبتُ أنْسُبُ. وهو نَسِيبُ فلانٍ[1].

يعرفه الزركشي المناسبة بقوله:" المناسبة لغة المقاربة وفلان يناسب فلاناً أي يقرُب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين، وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس للوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربته له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم و لهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[2].

ب–اصطلاحا: المناسبة في الاصطلاح لها عدة تعريفات نذكر أبرزها:

– عرّفها الإمام البقاعي بقوله" علم تعرف منه علل الترتيب"[3].

– عرّفها السّيوطي بقوله" :" المناسبة في اللغة المقاربة والمشاكلة و مرجعها في الآيات و نحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي، أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب و المسّبب و العلة و المعلول و النظريين و الضِّدَّين"[4].

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ج 5، ص:424.
[2] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 61.
[3] البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص:06.
[4] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص324.

– و نقلّ الزركشي عن أبي بكر بن العربي أنها"ارتباطآي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني".[1]

– وعرّفها الدكتور مصطفى مسلم"هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها و بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها و بعدها".[2]

و بالنظر إلى تلك التعريفات فإن المناسبة تحقق الربط بين الآية مع فاصلتها والآية بما قبلها و بعدها، و السورة بما قبلها و بعدها، ومن ثمة فهي تحقق الانسجام النصي.

2–أهمية المناسبة و دورها في الانسجام النصي:

أسهم المفسرون للقرآن الكريم في كشف التماسك الدلالي عندما تناولوا ما يسمى بالمناسبة بين الآيات والسورويعود الفضل في ذلك إلى الإمامين الجليلين بدر الدين الزركشي وجلال الدين السيوطي.

و علم المناسبة تناولته الكتب التفسيرية وعلوم القرآن وذلك لدراسة التماسك والانسجام النصي في القرآن، فقد عولجت المناسبة بين الآيات والسور، ومن المعلوم أن المناسبة تقتضي وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون ظاهرة، و قد تكون غير ظاهرة فيبحث –على حد تعبير السيوطي– عن الدعامة التي يمكن أن تجمع بينهما، والبحث عن الرابط بين المتناسبين يعني التوصل إلى العلاقة، وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى آخر، وإذا تحققت هذه المرجعية تحقق الانسجام.

يقول الزركشي: "وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى."[3]

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج1، ص:37/36.

[2] مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ط3، دار القلم، بيروت، 2000، ص:58

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 37

"والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له."[1]

وتبعه السيوطي، فكتب في هذه القضية أيضا مبرزا فائدتها، ففي الإتقان: "أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة...وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض... وقال الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له انتهى."[2]

لقد حصر المفسرون وعلماء القرآن وظيفة المناسبة في "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[3]. فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص: 37.
[2] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص:324/323.
[3] المرجع نفسه، ص324.

الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: "هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ"[1] وقوله: "مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ "[2] للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك."[3]

أشار السيوطي هنا إلى فائدة المناسبة- مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها، وكذا السورة، ولننظر جيدا إلى قوله: " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء." وهو ما يتوافق مع ما يدعو إليه علماء النص في العصر الحديث، أن يصبح النص متماسكا آخذا بعضه بأعناق بعض مترابطة أجزاؤه، كأنه بناء متكامل.

و هكذا تكون وظيفة المناسبة في إبراز الانسجام النصي، و الهدف من البحث في علم المناسبة يكمن في ذلك التحول في الدراسات اللغوية والنصية المتمثل في التحول من نحو الجملة إلى نحو النص بوصفه الوحدة الكبرى للتحليل ز الدراسة النصية.

لقد انطلق علماء النص من نظرة علماء التفسير وعلوم القرآن بوصفه كالكلمة الواحدة لشدة تماسكه وانسجامه بل إنه يمكن اعتبار الكتاب الكامل نصا منسجما وذلك لوجود جهة جامعة بين نصوصه، وتعني الجهة الجامعة المناسبة ووظيفتها تحقيق اتصال الكلام (النص)، أي تماسكه وانسجامه.وبهذا تظهر تلك العلاقة بين المناسبة والانسجام النصي في ضوء التحليل النصي، و تصبح المناسبة من العوامل المساهمة في تماسك النص وانسجامه.

[1] سورة الحديد، الآية: 04.

[2] سورة البقرة، الآية: 245.

[3] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص325/324.

الفصل الثالث:

الاتّساق والانسجام في سورة طه

في رحاب سورة "طه":

سورة "طه" هي السورة العشرون من السور القرآنية بعد سورة "مريم" وقبل سورة "الأنبياء"، وهي سورة مكية بالإجماع، وآياتها خمس وثلاثون ومائة آية، وهي إحدى السور التي بدأت بحروف الهجاء مثل: سورة "يس" وسورة "ق" وسورة "ص".

وقد اختلف العلماء في سبب تسمية هذه السورة، فقد قيل "معناه يا رجل، قالوا: وهي لغة بني عك بن عدنان، وبني طيء، وبني عكل، قالوا: لو قلت لرجل من بني عك: يا رجل، لم يفهم أنك تناديه حتى تقول: طه"[1].

"وقال آخرون: هو اسم من أسماء الله، وقد أقسم الله به، وقال آخرون هو حروف هجاء، وقال آخرون: هو حروف مقطعة يدل كلّ حرف منها على معنى..."[2].

كما يطلق السيّوطي على هذه السورة "اسم سورة الكليم"[3].

أما بالنسبة لسبب نزول هذه السورة الكريمة فهو يكمن في الآيات الأولى منها: إذ يقول سبحانه: "طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ"[4]، لها وجهان من التفسير وكلاهما يشهد له القرآن:

الأول: "أن المعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، أي للتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا، وهذا الوجه جاءت بنحوه آيات كثيرة"[5]، كقوله تعالى: "فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ "[6]، وقوله تعالى: "فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ

[1] مُحَمَّد الأمين بن الجكني الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، م4، دار علم الفوائد، ص 499.

[2] أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تاويل آية القرآن، مج5، ط1، تح: بشار عواد معروف، عماد فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص 183.

[3] حافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص 360.

[4] سورة طه، الآية: 03.

[5] مُحَمَّد الأمين بن الجكني الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص:501

[6] سورة فاطر، الآية:08

عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا "[1]، وقوله: "لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ".[2]

الوجه الثاني: أنه ﷺ صلى بالليل حتى تورمت قدماه، فأنزل الله: "مَا أَنْزَلْنَا عليك القُرآن لتَشْقَى"، أي تنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة، وما بعثناك إلا بالحنيفة السمحة، وهذا الوجه تدل له ظواهر آيات من كتاب الله كقوله: "ومَا جَعَلَ عَليكُم في الدِينِ من حَرَج"، وقوله: "يريد بكم الله اليُسرَ ولا يُريدُ بكم العُسر"[3].

ويفهم من قوله "لتشقى" أنه أنزل عليه ليسعد، كما يدل له الحديث الصحيح: "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[4].

فلقد نزلت هذه السورة الكريمة لتشد أزر الرسول ﷺ وتقوي روحه حتى يستطيع أن يصبر على كيد واستهزاء الكافرين، وتذكير بالنعمة في إنزال القرآن الكريم، ولترشده إلى وظيفته (التبليغ).

أولا: الاتساق في سورة "طه":

1- التكرار:

تتميز سورة "طه" ببعض العناصر المكررة، تنوعت مواطنها ومستوياتها، سنحاول فيما يأتي تحديدها وتوضيح دورها في تحقيق الاتساق.

-مستويات التكرار:

أ- الحروف: برز تكرار الحروف في الآية الواحدة مما خلق توازنا صوتيا يحقق السهولة، فتكرار هذه الحروف لا يحدث تنافرا بل انسجاما صوتيا، مثل قوله تعالى: "وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا

[1] سورة الكهف، الآية:06

[2] سورة الشعراء، الآية:03

[3] الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص 501.

[4] المرجع نفسه، ص 501.

تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا "[1]، فقد تكررت الحروف المهموسة تبعا للمقام (احتشاد البشر أما ربهم ليحاسبهم)، فهم قد استولى عليهم الصمت إلا بعض الهمس الذي يؤكد الصمت ولا ينفيه، وذلك رهبة للجبار سبحانه وخضوعا وتسليما له وارتقابا وارتعابا من الحساب ونتائجه.

والإيقاع الصوتي للسورة كلها يستطرد في مثل هذا الجو من مطلعها إلى ختامها رخيا شجيا نديا بذلك المد الذاهب مع الألف المقصورة في الفاصلة كلها تقريبا.

ب- الكلمات:

يمثل تكرار الكلمات والعبارات الأكثر بروزا في السورة، فأول ما يلفت النظر تكرار لفظ الجلالة في سورة "طه" مئة وواحد وعشرون مرة، بين لفظ الله، رب، إله، مع اشتقاقاتها المتنوعة، هذا إضافة إلى الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة، وهذا كله يحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة المذكور في الآية التاسعة في قوله تعالى: "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ"[2]، أما في بداية السورة فلم يصرح بلفظ الجلالة مباشرة، بل دل عليه الضمير المتصل "نا" وذلك في قوله تعالى: "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "، وهذا التواصل أو الاستمرار يتحقق بانتشار هذه الأسماء إلى غاية الآية الأخيرة، قال تعالى: "وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ"[3].

وتكرار لفظ الجلالة لا يحقق الاتساق النصي بين الكلمات المكررة وحدها، ولكنه يحقق الاتساق النصي بين الآيات التي يقع لفظ الجلالة فيها، فسورة "طه" تدور حول قضية العقيدة – شأن السور المكية كلها- هدفها إثبات الألوهية لله وحده لا شريك له وتوحيده بالعبادة، فكلها أمور تحتاج إلى مسند إليه لتحقيق التماسك النصي عبر التكرار، ولا يخفى ما لذكر الله بهذه الطريقة من تحقيق الاستمرارية للنص، وهذا ما ستوضحه الأمثلة الآتية:

[1] سورة طه: الآية: 108.
[2] سورة طه، الآية: 09.
[3] سورة طه، الآية: 134.

- "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ"[1]: إثبات الألوهية والأسماء الحسنى.

- "إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ"[2]: إثبات العبودية وإقامة الصلاة.

- " قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ "[3]: المعذب.

- "إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا "[4]: الألوهية والعلم، وهذا فيما يتعلق بلفظ الجلالة الله.

أما بلفظ الجلالة "الرب":

- "قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي "[5]: الدعاء لله.

- "قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ"[6]: الخلق والهداية.

- "وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي "[7]: الرحمة.

- "فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ "[8]: التسبيح والحمد لله.

فقد كان من الممكن في غير النص القرآني الاكتفاء بذكره مرة واحدة في أول الآية، ثم تحل محله الضمائر في المواضع الأخرى، ولكن تكرار لفظة الجلالة الله بهذه الصورة يؤكد قدرته سبحانه وتعالى

[1] سورة طه، الآية: 08.
[2] سورة طه، الآية: 14.
[3] سورة طه، الآية: 61.
[4] سورة طه، الآية: 98.
[5] سورة طه، الآية: 25.
[6] سورة طه، الآية: 50.
[7] سورة طه، الآية: 90.
[8] سورة طه، الآية: 130.

على القضايا المطروحة في كل آية على حدة، مثل: الألوهية، العبودية، الرحمة، الهداية، العذاب والمغفرة، الدعاء، ومن ثم تأكيد الإسناد إليه سبحانه، ومن جهة أخرى يتحقق تماسكها نصيا عبر التكرار، ولا يخفى أن التصريح بالاسم مكررا له قوة في الدلالة، وفي اللفظ، ومن ثم في تحقيق التماسك.

ولم يتوقف دور التكرار على تحقيق تماسك النص على مستوى الآيات المتتالية، بل على مستوى الآية الواحدة، فنجد لفظ الجلالة "الله" مكررا في بعض الآيات ثلاث مرات وأحيانا مرتين منه قوله تعالى: "إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا "[1]، فقد تكرر لفظ الجلالة ثلاث مرات في هذه الآية فتحقق بتكراره الاتساق بين الجملة الأولى والجملة الثانية، فترابطت هذه الجمل في نسق محكم، وفي الوقت الذي حقق فيه هذا اللفظ الاتساق داخل هذه الآية، تحقق أيضا على مستوى الآيات، بل على مستوى السورة بأكملها لأن الله واحد سبحانه له الملك وحده.

تبرز الوظيفة التماسكية للتكرار من خلال تكرار لفظ الجلالة ، حيث اتسقت الآيات التي تدور حول إسناد الأمور إلى الله، وهذه الآيات انتشر وجودها من بداية السورة حتى نهايتها، ومن ثم لم يتحقق الاتساق على مستوى هذه الآيات منفردة فقط، بل تعداها إلى اتساق السورة بأكملها فتكونت بذلك وحدة نصية كلية.

فإذا كان التكرار السابق يتعلق بلفظ الجلالة عزّ وجلّ فإن التكرار الثاني يتعلق بالسورة كونها سورة قصصية، إذ نتيجة للطبيعة القصصية لها كان الحوار السمة البارزة لها، ولفظ القول من أهم أساليب ذلك الحوار، إذ تتكون السورة من قصتين يتوسطها تعقيب، تبدأ القصة الأولى من الآية (09) حتى الآية (98) وهي قصة سيدنا موسى عليه السلام، من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة، وبخاصة موقف مناجاة بين الله ونبيه موسى، وموقف الجدل بين موسى وفرعون، وموقف المباراة بين موسى والسحرة ... أما القضية الثانية فهي قضية سيدنا آدم عليه السلام، تبدأ من الآية (115) إلى الآية (126)، تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته وهدايته له، وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار.

[1] سورة طه، الآية: 98.

وبذلك فقد بين الإحصاء وجود تسعة وخمسين موضعا تكرر فيها لفظ "القول"، منها لفظ "قال، قالوا، يقولون، قل، قولا، قلنا)، حيث ذكر في افتتاحية السورة مرة واحدة في قوله تعالى: "وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى "[1]، وفي قصة سيدنا موسى تكرر ثلاث وأربعين مرة من بداية القصة حتى نهايتها، منها قوله تعالى:

- "إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى "[2].

- "قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي "[3].

- "فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ "[4].

- "قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ "[5].

كما تكرر هذا اللفظ في التعقيب الذي يلي قصة سيدنا موسى عليه السلام خمس مرات وهي في قوله:

-"نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا "[6].

- "وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا "[7].

- "يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا "[8].

---

[1] سورة طه، الآية: 07.
[2] سورة طه، الآية: 10.
[3] سورة طه، الآية: 25.
[4] سورة طه، الآية: 70.
[5] سورة طه، الآية: 87.
[6] سورة طه، الآية: 104.
[7] سورة طه، الآية: 105.
[8] سورة طه، الآية: 109.

- "وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا "[1].

ومما يلاحظ على تكرار لفظ القول أنه حقق الاتساق بين جمل الآية الواحدة، وتعداه إلى الاتساق بين الآيات، مما أدى إلى ربط مجريات القصة من بدايتها حتى نهايتها والتعقيب عليها.

أما القصة الثانية قصة سيدنا آدم فقد تكرر فيها لفظ القول بدرجة أقل من قصة سيدنا موسى عليه السلام فكان في ستة مواضع فقط، لكن على الرغم من عدم انتشاره فيها، إلا أن هذه الألفاظ المتكررة كانت عاملا على الاتساق، منها قوله تعالى:

- "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا "[2].

- "فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ"[3].

- "قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ "[4].

- "قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ "[5].

فكل هذه التكرارات كانت نتيجة الحوار القائم في القصة، وهذا الحوار في أساسه بألفاظه المتكررة كان أحد أسباب تماسك هذه القصة واتساقها، لأن طبيعة الحوار تقتضي القول والرد عليه.

أما خاتمة السورة فقد تكرر فيها لفظ القول أربع مرات، وذلك في قوله تعالى:

- "فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ "[6].

- "وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ "[7].

---

[1] سورة طه، الآية: 114.
[2] سورة طه، الآية: 116.
[3] سورة طه، الآية: 120.
[4] سورة طه، الآية: 123.
[5] سورة طه، الآية: 126.
[6] سورة طه، الآية: 130.
[7] سورة طه، الآية: 133.

- "لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا "[1].

- "قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ "[2].

ومثلما هو ملاحظ أن هذا اللفظ قد تكرر على طول السورة بمختلف اشتقاقاته، وهو ما يتناسب مع طبيعة السورة، فهي سورة قصصية وطبيعة القصص الحوار، قال، قل، قلنا ...إلخ، فلا شك أن هذا التكرار باللفظ والمعنى يحدث تماسكا نصيا.

أما النماذج الأخرى التي تكررت، فلم تكن بدرجة تكرار لفظة الجلالة، وكذا لفظ القول، وإنما أحيانا يتكرر اللفظ مرة أو مرتين، وغالبا هذا التكرار تكرار حاصل على مستوى قصة معينة أو جزء من سورة، دون أن يتعداه إلى الأجزاء الأخرى، لكن على الرغم من قلة تكرارها إلا أنها حققت أيضا الاتساق النصي لهذه الأجزاء، ومن بين هذه التكرارات: تكرار لفظ اسم "موسى" عليه السلام في قصته خمسة عشرة مرة من بدايتها: "وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ "[3] إلى نهايتها: "قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ "[4]، فتكرار لفظ "موسى" حقق اتساقا بين بداية القصة ونهايتها.

بالإضافة إلى تكرارا اسم "آدم" في قصته عليه السلام، الذي تكرر في خمسة مواضع: "وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا "[5]، "فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ "[6].

ومن التكرارات نجد كلمة "تشقى" التي وردت في الآيتين الثانية والمئة والسابعة عشرة بتاء المخاطب، "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ "[7]، "فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ "[8]، "فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ "[9]، أي أنزل القرآن لتبشر به المتقين لا لتشقى، وكأنما سبحانه يريد أن يطمئن رسوله وأمته من بعده أن هذا المنهج لم يأت حتى يشقى الناس به إنما هو منهج يضمن

[1] سورة طه، الآية: 134.
[2] سورة طه، الآية: 135.
[3] سورة طه، الآية: 09.
[4] سورة طه، الآية: 91.
[5] سورة طه، الآية: 115.
[6] سورة طه، الآية: 121.
[7] سورة طه، الآية:02.
[8] سورة طه، الآية:117
[9] سورة طه، الآية:123

السعادة لمن تتبعه وطبقه، وإنما هو تذكرة وهو سبب السعادة في الدنيا والآخرة، فلا يعقل أن يكون المؤمن شقيا كئيبا قانطا من رحمة الله مهما واجهته من مصاعب ومحن في حياته من خلال تطبيقه لهذا المنهج الربّاني، فلابد أن يحد السعادة الأبدية وهذا هو هدف سورة "طه"، فالسعادة الحقيقية هي في ظل طاعة الله تعالى، وأنه من يعرض عن ذكر ربه سيكون شقيا في الدنيا والآخرة، فالشقاء بترك المنهج: "قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ "[1].

ومن التكرارات أيضا: تكرار كلمة "العلا" في قوله تعالى في أول السورة: "تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "[2]، وقوله تعالى في أواسطها: "فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ "[3].

ومن مادة "خفى" تقابلنا في السورة لفظتان هما: "أخفى" (أفعل) و"أخفيها" (فعل مضارع مسند إلى ضمير المتكلم) وذلك في قوله تعالى: "وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى "[4]، وأيضا:"إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ"[5].

وتدخل لفظة "عين" في ثلاث صور في سورة "طه" هي: "وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ "[6]، "فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا "[7]، "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ "[8]، وترتبط بالعين صفة الإبصار، التي وردت في الآيتين الكريمتين الآتيتين: "إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا "[9]، "قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا "[10].

---

[1] سورة طه، الآية: 123.
[2] سورة طه، الآية: 04.
[3] سورة طه، الآية: 75.
[4] سورة طه، الآية: 07.
[5] سورة طه، الآية: 15
[6] سورة طه، الآية: 39
[7] سورة طه، الآية: 40
[8] سورة طه، الآية: 131.
[9] سورة طه، الآية: 35.
[10] سورة طه، الآية: 125.

ومن مادة "صنع" يقابلنا فعل كل من الجملتين الآتيتين: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيۤ"[1]، "وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي "[2]، والخطاب في الجملتين موجه إلى موسى عليه السلام.

ومن الألفاظ التي تكررت في السورة الفعل "تسعى" الذي تكرر مرتين في أوائل السورة: "إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ "[3]، "فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ "[4].

كما تكررت كلم اليم أربع مرات: مرتين في آية واحدة في صدر الصورة: "أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيۤ "[5]، ومرة في أواسطها: "فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ"[6]، ومرة في أواخرها: "لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا "[7].

كذلك تكررت لفظة "النسف" مرتين: "لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا "[8]، "وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا "[9]، وكلمة القرون: "قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ "[10]، "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ "[11]، وكلمة أزواجا: "ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ "[12]، "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ "[13]، وكلمة ذكر: "وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيۤ "[14]، "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ

[1] سورة طه، الآية: 39.
[2] سورة طه، الآية: 41.
[3] سورة طه، الآية: 15.
[4] سورة طه، الآية: 20.
[5] سورة طه، الآية: 39.
[6] سورة طه، الآية: 78.
[7] سورة طه، الآية: 97.
[8] سورة طه، الآية: 97.
[9] سورة طه، الآية: 105.
[10] سورة طه، الآية: 51.
[11] سورة طه، الآية: 128.
[12] سورة طه، الآية: 53.
[13] سورة طه، الآية: 131.
[14] سورة طه، الآية: 14.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا "[1]، "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ "[2].

ومثلها عبارة أخلف الموعد: "فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى "[3]،"فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي "[4]، "قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ "[5]، "قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا "[6].

وانظر إلى قوله تعالى: "وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ "[7]، الذي تكرر في السورة مرة أخرى ولكن بترتيب معكوس، "أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً "[8]، وكذلك نفى العوج في آيتين متتاليتين: "لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا "[9]، "يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا "[10]، وأيضا تكرر عبارة "أشد" أو "خير" و"أبقى": "وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ "[11]، "وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ"[12]، "وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ "[13].

[1] سورة طه، الآية: 113.
[2] سورة طه، الآية: 124.
[3] سورة طه، الآية: 58.
[4] سورة طه، الآية: 86.
[5] سورة طه، الآية: 87.
[6] سورة طه، الآية: 97.
[7] سورة طه، الآية: 63.
[8] سورة طه، الآية: 104.
[9] سورة طه، الآية: 107.
[10] سورة طه، الآية: 108.
[11] سورة طه، الآية: 71.
[12] سورة طه، الآية: 127.
[13] سورة طه، الآية: 131.

كما تكررت عبارة: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ "[1]، مرتين في السورة، الأولى في أواخر الثلث الأول من السورة، والثانية قرب الختام: "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ "[2].

إن هذه الألفاظ والعبارات المتكررة لهي أشبه بالأصداء المترددة والأمراس التي تشد أجزاء السورة بعضها إلى بعض، والجدول الآتي يوضح أهم العناصر المتكررة:

الكلمات المكررة	عدد التكرار	نوع التكرار	الآيات
الله عز وجل	13	جزئي	08 – 14 – 61 – 73 – 88 – 97- 98 – 114.
رب	25	جزئي	12، 25، 45، 47، 49، 50، 52، 74، 84، 86، 105، 109، 114، 118، 121، 122، 125، 127، 129، 130، 131، 133، 134.
قال	59	جزئي	07، 18، 19، 21، 25، 28، 36، 40، 44، 45، 46، 47، 49، 50، 51، 52، 57، 59، 61، 63، 65، 66، 68، 70، 71، 72، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 94، 95، 96، 97، 104، 105، 109، 114، 116، 117، 120، 123، 125، 126، 130، 133، 134، 135.
الأرض	05	جزئي	04، 06، 53، 57، 63.
السماء	03	جزئي	04، 06، 53.
موسى	15	كلي	09، 11، 17، 19،36، 40، 57، 65، 67، 70،

[1] سورة طه، الآية: 54.

[2] سورة طه، الآية: 128.

			77، 83،86، 88، 91.
هارون	04	كلي	30، 70، 90، 92.
فرعون	05	كلي	24، 42، 60، 78، 79.
سحر	10	جزئي	57، 58، 63، 66، 69، 70، 71، 73.
أمك	02	كلي	38، 40.
الرحمن	04	كلي	05، 90، 108، 109.
نار	03	كلي	10
كذب	02	جزئي	48، 61.
السامري	03	كلي	85، 87، 95.
القيامة	03	كلي	100، 101، 125.
آدم	05	كلي	115، 116، 118، 120، 121.
هدى	10	جزئي	50، 79، 47، 10، 82، 122، 123، 135، 128.
آية	05	جزئي	22، 23، 42، 54، 56، 126، 127، 128، 133.
أخي	02	جزئي	30، 42.
يوم	20	جزئي	60، 64، 100، 101، 102، 104، 108، 109، 124، 126.
الرسول	03	جزئي	47، 96، 134.
الحياة	03	كلي	72، 97، 131.
القرآن	03	جزئي	113، 114.
خوف	03	جزئي	45، 46، 112.
الجنة	02	جزئي	117، 121.
أعمى	02	كلي	124، 125.
قوم	04	جزئي	85، 86، 87، 90.
القرون	02	كلي	51، 128.

الصلاة	03	كلي	39، 78، 97.
اليم	05	كلي	39، 78، 97.
العذاب	07	جزئي	47، 48، 56، 61، 71، 127، 134.
كثيرا	02	كلي	33، 34.
موعد	04	جزئي	58، 55، 97، 113.
أقضي	03	جزئي	72
مجرم	02	جزئي	74، 102.
ظلما	02	كلي	111، 112.
عدو	04	كلي	39، 117، 123.

وهكذا نجد أن أنماط التكرار المتعددة والمتنوعة قد التقت جميعا للإسهام في تحقيق الاتساق النصي، فكان التكرار بأنواعه المختلفة الكلمة والعبارة، وكلها ذات مرجعية داخلية سابقة قد أدت إلى التماسك الشكلي والدلالي لسورة "طه"، حيث إن هناك نماذج تكرارية ساهمت في الاتساق الكلي للسورة.

2- المصاحبة اللغوية / التضام Collocation:

يعد التضام الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق المعجمي، وهو: "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معنية دون غيرها"[1]، وهذا الارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه في الكلام، بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة، كما هو الحال مع عناصر السبك النحوي، فالعلاقة بين هذه الألفاظ إذا علاقة مقيدة، فلو ذكر أحدهما استدعى على الفور صاحبه الذي يرتبط به في الكلام، "وهذه المصاحبات المعجمية سوف تحدث قوة سابكة Cohesive Forceحيث تبرز في جمل متجاورة Adjacent sentences"[2].

[1] أحمد مختار، علم الدلالة، ص 74.

[2] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 108.

علاقات التضام في سورة "طه":

وتتمثل علاقات التضام فيما يأتي[1]:

1- التباين: وله درجات عديدة: تضاد، تخالف وتعاكس، قد يكون اللفظان:

- متضادين: Oppositesمثل (ولد/بنت، حي/ميت، ذكر/أنثى).

- متخالفين: Antonymsمثل (أحب/أكره).

- متعاكسين: Converesمثل (أمر/أطاع، باع/اشترى).

2- التنافر: وهو مرتبط بفكرة النفي كالتضاد مثل كلمات (خروف، فرس، قط ...) بالنسبة للحيوان، وأيضا مرتبطة بالرتبة مثل: (ملازم، رائد، مقدم، عقيد، عميد، لواء، فريق).

3- علاقة الجزء بالكل: مثل: (الصندوق والغطاء)، (المنزل والحجرة).

4- علاقة الجزء بالجزء مثل: (الفم/الذقن)، (الأنف والعين).

5- الدخول في سلسلة مرتبة مثل: (السبت، الأحد، الاثنين)، (محمر، صفر/ ربيع الأول ...)، (يناير، فبراير، مارس).

6- التلازم الذكري (المريض والطبيب)، (النكتة والضحك).

7- الاندراج في صف عام الاشتمال المشترك مثل (الكرسي والطاولة) حيث تشملهما كلمة أثاث.

وتلازم الكلمتين في النص وفق هذه العلاقات السالف ذكرها وغيرها، يسهم في الترابط بين الجمل، وتمثل علاقة التضام هذه علاقة معجمية بنيوية تربط بين مفردتين تتلازمان في الاستعمال، وقد توزعت هذه العلاقات في سورة "طه" وفق الجدول الآتي:

[1] المرجع نفسه، ص: 108-109

نوع المصاحبة	الألفاظ المتصاحبة	رقم الآية
التلازم الذكري	السماوات / الأرض.	(04)، (06)، (53)، (57)، (68).
	الواد / المقدس	(12).
	يوم / القيامة	(100)، (101)، (124).
	أولي / النهى	(54)، (128).
	موسى / فرعون / السحر	(57)، (58)، (61)، (63)، (65)، (66)، (67)، (69)، (70)، (71)، (73)،
	تعالى / الله	(114).
علاقة التضاد	السّر / القول	(07).
	تجهر / أخفى	(07).
	تخاف / لا تخافا	(45)، (46).
	خلقنكم / نعيدكم / نخرجكم	(55).
	مجرما / مؤمنا	(74)، (75)
	جهنم / جنات	(74)، (76).
	البحر / يبسا	(77).
	لا يضل / أضلهم	(52)، (85).
	هدى / ما هدى	(50)، (79).
	ضرا / نفعا	(89).
	الحياة / القيامة	(72)، (101)، (100).
	أعمى / بصيرا	(124)، (125).
	الليل / النهار	(130).
	طلوع / غروبها	(130).
علاقة الترادف	الخوف / الخشية	(77).
	العوج / الأمت	(107).

	غضبان / آسف	(86).
	ظلما / هضما	(80).
علاقة التنافر	الأرض، السماء، اليم، الساحل، النخل، البحر، يبسا، الجبال، شجرة.	(04)، (39)، (71)، (77)، (105)، (120).
	الساعة، سنين، القرون، يوم الزينة، ضحى، يوم القيامة، عشرا، يومئذ، طلوع الشمس، غروبها، الليل، النهار.	(15)، (40)، (51)، (59)، (101)، (103)، (109)، (130).
	خلق الأرض والسماوات / على العرش	(04)، (05).
علاقة الجزء بالكل	يدك، جناحك، صدري، لساني، أيدكم، أرجلكم، لحيتي، رأسي، جسدا.	(22)، (25)، (27)، (71)، (94).
	الأنهار، جنات.	(76).
	القرآن، آية، آيات.	(02)، (114)، (22)، (106)، (127)، (128).
	أنعامكم، غنمي، عجلا.	(54)، (18)، (88).
	أهلي، أخي، أمك، أختك.	(29)، (30)، (38)، (40)، (43).

في السورة بناء اثنيني ملحوظ في كثير من المواضع، ففي الآيات الأولى تلازم بين زوج من الألفاظ في قوله تعالى: "تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى "[1]، فالتلازم بين لفظتي (السماوات) و(الأرض)، أدى إلى اتساق النص عن طريق تجاور هاتين اللفظتين، فالاتساق –هنا– يزداد كلما كانت المسافة بين المصاحبات أقصر، وقد حصلت المصاحبة بين اللفظتين، باعتبار

[1] سورة طه، الآية: 04.

اشتمالهما على المكان الذي يستشعره الناس، والعلاقة بينهما هي علاقة اشتمال أيضا، "فالسماء كالدائرة، والأرض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعيين المركز"[1].

وإيرادهما متلازمين يدل دلالة واضحة، على أن الخطاب غير محدد بنوع من المخلوقات، فهو شامل للجميع، "لأن الخلق إما يكونوا ملائكة، فهم في السماء، أو بشرا، أو جنا، فهم في الأرض"[2].

ومن هذا النوع أيضا ما ورد في قوله تعالى: "فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى "[3]، فقد لازمت لفظة (الواد) لفظة (المقدس) في سياق الحديث عن نبي الله موسى عليه السلام وحواره مع الله عز وجل، قال ابن عاشور: "والواد: المنفرج بين الجبال والتلال"[4]، أما المقدس فهو: "المطهر المنزه"، وتقديس الواد المقدس لتدل على هذا المبارك طوى الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام بلا واسطة.

من المصاحبات الشائعة في القرآن الكريم مصاحبة كلمة يوم مع كلمة القيامة، تكررت في آيتين على التوالي، جاء في قوله تعالى: "خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا "[5]. وقبل ذلك قوله: "مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا "[6].

وورد قوله أيضا: "وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ "[7]، ويوم القيامة هو الاسم الشائع لليوم الذي يبعث فيه جميع الخلائق للحساب والفصل بينهم.

ورد تركيب "أولي النهى" في موضعين: قال تعالى: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ "[8].

---

[1] محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج12، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981، ص 157.

[2] أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ط1، بيروت، 2006، ص 09.

[3] سورة طه، الآية: 12/11.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، دار التونسية، 1984، ص 197.

[5] سورة طه، الآية: 101.

[6] سورة طه، الآية: 100.

[7] سورة طه، الآية: 124.

[8] سورة طه، الآية: 54.

وقوله: "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ"[1]، فالنُّهى اسم جمع نُهية، سمي نهية لأنه سبب انتهاء المتحلي به عن كثير من الأعمال المفسدة والمهلكة، ولذلك سمي بالعقل وسمي بالحجر[2]، وجاء في تفسير الطبري: "أولى النهي: أصل الحجى والعقول، والنُّهى: جمع نهية وخص تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأوى النهي، لأنهم أهل التفكر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ"[3].

ومن هذا النوع أيضا ما ورد في قوله تعالى: "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا "[4]، فقد لازمت لفظة تعالى لفظة (الله) في عموم الاستعمال القرآني، من الأفعال التي استعملها القرآن في تعظيم الله تعالى والثناء عليه الفعل تعالى: "يقول تعالى ذكر: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك، الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار"[5]، "وهذا إنشاء ثناء على الله منزل القرآن وعلى منة هذا القرآن، وتلقين لشكره"[6].

ومن ثمة تتضح دور هذه المصاحبة اللغوية تنزيها لذاته المتعالية وتعظيما له.

وفي قوله تعالى:"وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى "[7]، ترد علاقة التضاد بين الأزواج المتضامة، السر/القول، والجهر/الخفاء، فالله سبحانه يعلم السر وأخفى، فهو يعلم ما أسره ابن آدم في نفسه وما أخفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه: "فإنه لا يخفى عليه ما استترته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولك تتكلم بلسانك ولم تنطق به "وأخفى" (...)، وقيل في معنى أخفى من السر أن يقال: هو علم الله مما أخفى عن العباد ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن"[8]، فقد ساهمت هذه الثنائيات في

[1] سورة طه، الآية: 128.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 240.

[3] الطبري: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فار الحرستاني، مج5، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994، بيروت، ص 201، 200.

[4] سورة طه، الآية: 114.

[5] الطبري: جامع البيان في تأويل آيات القرآن، ص 225.

[6] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 315.

[7] سورة طه، الآية: 07.

[8] الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، ص 185.

ترابط جمل هذه الآية، ذلك أن التضاد محصلة علاقة تقابلية لمعنى عنصرين لغويين على نطاق محور دلالي مشترك، زيادة على اتساق النص الذي تم بتجاور هذه الأزواج المتضامة.

ومن هذا النوع أيضا ما ورد في قوله تعالى:"قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ"[1]، وفي قوله:"قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ"[2]، والجمع في الآيتين المتواليتين بين زوج التضاد "إننا نخاف"، و"لا تخافا"، فالأولى جاءت في قول موسى وهارون: "ربنا إننا نخاف فرعون، إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يجعل علينا بالعقوبة، أما الثانية: "لا تخافا" فوردت في قوله تعالى لموسى وهارون "لا تخافا" فرعون "إنني معكما" أعينكما عليه، ومن ثمة ساهمت هذه الألفاظ بدلالتها المتناقضة في اتساق النص.

وورد التضاد في قوله تعالى:"مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ"[3]، فالأزواج المتضادة (منها خلقناكم) و(فيها نعيدكم)، و"منها نخرجكم تارة أخرى)، يقول تعالى ذكره: "من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساما ناطقة، وفيها نعيدكم، يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم ترابا، كما كنتم قبل إنشائكم بشرا سويا، و"منها نخرجكم": ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها كما أنشأناكم أول مرة"[4]، فهذه الأزواج المتضادة ساهمت في اتساق النص، فمن الأرض يكون المبدأ وفيها يكون الإعادة وذلك عند الموت ومنها يكون الإخراج تارة أخرى.

أما في قوله تعالى:"إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ"[5]، و"وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ"[6]، فالكلمتان المتضادتان مجرما ومؤمنا، فالمجرم مأواه جهنم جزاء له على كفره، أما المؤمن قد عمل ما أمره به ربه وانتهى عما نهاه

[1] سورة طه، الآية 45.
[2] سورة طه، الآية: 46.
[3] سورة طه، الآية: 55.
[4] الطبري: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، ص 201.
[5] سورة طه، الآية: 74.
[6] سورة طه، الآية: 75.

عنه، فله درجات الجنة العلى، وهذا النوع من التضاد أكثر قدرة من غيره على اتساق النص، وهو قريب جدا من النقيض عند المناطقة[1]، فتعمل هذه الألفاظ الاتساق النصي بدلالتها المتناقضة على وفق مبدأ "الضدُّ يُظهر حُسنه الضدُّ"[2].

وكل هذه الأزواج تربطها علاقة تضاد، ويتجه هنا شعور المتلقي إلى عدّ أحد المتضادين إيجابي والآخر سلبي.

أما علاقة الترادف، فمنها ما ورد في قوله تعالى:"وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ "[3]، جمعت المصاحبة اللغوية بين اللفظين تخاف/تخشى عن طريق العطف، فقوله "لا تخاف" وعدٌ لموسى اقتصر على وعده دون بقية قومه، لأنه قدوتهم، فإذا لم يخف هو تشجعوا وقوي يقينهم، فهو خبر مراد به البشرى"[4]، "أما الخشية فهي شدة الخوف، أي لا تخشى شيئا مما يخشى من العدو، ولا من الغرق"[5]، وعليه فلكل لفظة ملمحه الدلالي المغاير عن الآخر، فالاتساق بهما واضح عن طريق علاقتهما، فهما لقطتان قريبتا الدلالة، والفارق بينهما يظهر من السياق.

ومنها ما ورد في قوله تعالى:"وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا "[6]، عدّ بعض العلماء اللفظين: "عوجا" و"أمتا" من قبيل المترادف، ففي المقاييس، نقل ابن فارس عن الخليل: "العوج والأمت بمعنى واحد"[7]، وقال آخرون –وهو ذلك المعنى – إن الأمت أن

[1] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 102.
[2] أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة أصداء الشرق، 2001، القاهرة، ص 114.
[3] سورة طه، الآية: 77.
[4] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 270.
[5] المرجع نفسه، ص 270-271.
[6] سورة طه، الآية: 105، 107.
[7] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ج1، ص 137.

يغلظ مكان ويرق مكان، فكلمة العوج: "العين والواو والجيم أصل صحيح يدل على ميل في الشيء"[1].

والأمت عند طاهر عاشور: "النتوء اليسير، أي لا ترى فيها وهنة ولا نتوء ما"[2].

وذهب الإمام الطبري في تفسير الآية بين العوج والأمت إلى القول: "أصوب الأقوال في تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لا ترى فيها ميلا عن الاستواء، ولا ارتفاعا ولا انخفاضا، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جلّ ثناؤه: "فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا "[3]، ومن ثمة فورود اللفظتين ليس من باب الترادف، فكل ملمحه الدلالي المميز له، فالعوج يمتاز بملمح وهو الميل، أما الأمت فملمحه الارتفاع والانخفاض.

جمعت المصاحبة اللغوية بين اللفظين الظلم/الهضم في قوله تعالى: "وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا "[4]، لعل المصاحبة بينهما تشير إلى أن هناك فرقا دلاليا بينهما، ولو نظرنا إلى المعنى اللغوي لكلا اللفظين لاتضح لنا الفارق بينهما، فالظلم يدل على: "وضع الشيء غير موضعه تعديا"[5]، أما الهضم فيقول ابن فارس: "الهاء والضاد والميم أصل صحيح يدل على كسر وضغط وتداخل، وهضمت الشيء هضما، كسرته ... وهضمت لك من حقي طائفة تركته"[6].

وعليه يتبين لنا أن الظلم اعتداء بتجاوز الحد، على خلاف الهضم اعتداء بالمنع والنقص، يقول ابن عاشور: "الهضم النقص أي لا ينقصون من جزائهم الذي وعدوا به شيئا ... ويجوز أن يكون الظلم بمعنى النقص الشديد، وعليه يكون الهضم بمعنى النقص الخفيف"[7]. ومما سبق يظهر لنا أن هناك فارقا دلاليا وهذا ما أفادته المصاحبة اللغوية بين اللفظين.

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ج4، ص 179.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 308.
[3] الطبري: جامع البيان في تأويل آيات القرآن، ص 222.
[4] سورة طه، الآية: 112.
[5] أبو الحسن بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ج3، ص 468.
[6] المرجع نفسه، ج6، ص 55.
[7] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 313.

وكذلك في قوله تعالى: "فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ "[1]، ورد اللفظين غضبان/أسفا في سياق الحديث عن حال سيدنا موسى عليه السلام عند رجوعه إلى قومه، وعن أصل الغضب يقول ابن فارس: "الغين والضاد والباء يدل على شدة وقوة، يقال إن الغضبة الصخرة الصلبة، قالوا: ومنه اشتق الغضب لأنه اشتد السخط ... يقال غضب يغضب غضبا وهو غضبان وغضوب"[2]، أما تعريفه للأسف فقال: "الهمزة والسين والفاء أصل واحد يدل على الفوت والتلهف وما أشبه ذلك، يقال أسف على الشيء أسفا مثل تلهف، والأسف الغضبان"[3].

ومن ثمة فهو يقول بترادف اللفظتين، الغضبان/الأسف، وقد أشار ابن عاشور إلى أن لفظ الأسف يحمل ملح الحزن، حيث قال: "الأسف فعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنها وما تكره من انكسار الخاطر"[4]، فالأسف هو الحزن الشديد، أي رجع غضبان من عصيان قومه حزينا على فساد أحوالهم، أما الغضب "انفعال النفس وهيجان ينشأ من إدراك ما يسوءها ويسخطها دون خوف"[5]، وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى لأنه يسوءه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم، فانفعاله المتعلق بحالهم غضب، وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك، وعليه فورود اللفظين ليس من باب الترادف، فكل ملمحه الدلالي الذي يميزه، فالغضب ملمحه إرادة الضرر بالمغضوب عليه، أما الأسف فملمحه الحزن مع بعض الغضب، فالاتساق بينهما واضح عن طريق علاقتها وهما لفظتان قرينتا الدلالة، فضلا عما أضفته كل منهما من معنى في الدلالة.

أما علاقة التنافر فقد طغت على سورة "طه" من بدايتها إلى نهايتها بمختلف العناصر على النحو الآتي:

- قال تعالى: "تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "[6].

---

[1] سورة طه، الآية: 86.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ج4، ص 428.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص 103.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 281.

[5] المرجع نفسه، ص 281.

[6] سورة طه، الآية: 04.

- قال تعالى: "أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ "[1].

- قال تعالى: "وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ "[2].

- قال تعالى: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ"[3].

- قال تعالى: "وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا "[4].

- قال تعالى: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ"[5].

فالكلمات: الأرض، السماوات، اليم، الساحل، النخل، البحر، يبسا، الجبال، شجرة، تندرج تحت الطبيعة، والعلاقة الرابطة بين كل هذه الألفاظ كالعلاقة بين السماء والأرض مثلا ساهمت في ارتباط هذه الأبيات واتساقها.

أما في قوله تعالى:

- "إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ"[6].

- "فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ "[7].

- "قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ"[8].

- "قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى "[9].

[1] سورة طه، الآية: 39.
[2] سورة طه، الآية: 71.
[3] سورة طه، الآية: 77.
[4] سورة طه، الآية: 105.
[5] سورة طه، الآية: 120.
[6] سورة طه، الآية: 15.
[7] سورة طه، الآية: 40.
[8] سورة طه، الآية: 51.
[9] سورة طه، الآية: 59.

- "خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا "[1].

- "يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا "[2].

- "يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا "[3].

- "فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ"[4].

فالكلمات: الساعة، سنين، القرون، يوم الزينة، يوم القيامة، عشرا، يومئذ، طلوع الشمس، غروبها، الليل، النهار، تندرج تحت الزمن مما أدى إلى ترابط واتساق الآيات الواردة فيها.

ويدخل تحت التنافر ما يسمى بعلاقة الرتبة الواردة في قوله عزّ وجلّ: "تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "[5]، "ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ"[6]. فالله سبحانه وتعالى: "خلق الأرض، ثم خلق السماوات العلى، والعلى صفة كاشفة زيادة في تقرير معنى خالقها"[7]، ثم استوى على العرش، والعرش عالم عظيم من العوالم العليا، فقيل هو أعلى سماء من السماوات وأعظمها، فهذا التدرج في الرتب ساهم في الاتساق بين الآيتين.

ومن علاقة الجزء بالكل قوله تعالى:

- "وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ"[8].

- "قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي "[9].

---

[1] سورة طه، الآية: 101.
[2] سورة طه، الآية: 103.
[3] سورة طه، الآية: 109.
[4] سورة طه، الآية: 130.
[5] سورة طه، الآية: 04.
[6] سورة طه، الآية: 05.
[7] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 186.
[8] سورة طه، الآية: 22.
[9] سورة طه، الآية: 25.

- "وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي "[1].

- "قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ"[2].

- "قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي "[3].

فالكلمات: يدك، جناحك، صدري، لساني، أيديكم، أرجلكم، بلحيتي، برأسي جزء من الكل الجسد، والذي جاء في قوله تعالى: "فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ "[4]، وهو ما يجعل الآيات تتسق فيما بينها.

ومن علاقة الجزء بالكل أيضا نجد في قوله تعالى:

- "هَٰرُونَ أَخِي "[5].
- "إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ "[6].
- "إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ "[7].

فالكلمات: أخي، أمك، أختك تمثل عائلة موسى وأهله، وقد وردت في قوله تعالى: "وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي "[8]، فهذه الأجزاء (الأم، الأخ، الأخت) تتضام فيما بينها مشكلة الكل (الأهل)، ما يؤدي إلى تلاحم الآيات فيما بينها.

[1] سورة طه، الآية: 27.
[2] سورة طه، الآية: 71.
[3] سورة طه، الآية: 94.
[4] سورة طه، الآية: 88.
[5] سورة طه، الآية: 30.
[6] سورة طه، الآية: 38.
[7] سورة طه، الآية: 40.
[8] سورة طه، الآية: 29.

وبناء على ما سبق نجد أن المصاحبات المعجمية تساهم في اتساق عناصر النص اتساقا معجميا، لاسيما إذا كانت المصاحبة بين ألفاظ في جمل متجاورة.

3- التحليل النصي لسورة "طه" من خلال الحذف:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، ونجد ذلك أكثر حضورا ووضوحا في اللغة العربية ولاسيما لغة القرآن الكريم، ويلحظ الباحثون أن أهمية ورود الحذف تعظم وتكبر بما توفره من ترابط بين الجمل ضمن الخطاب أو النص.

حفلت سورة "طه" بعدد كبير من المواضع التي بها حذف، سواء أكان حذف على مستوى الحرف أو الاسم، أو الفعل أو الجملة، أو حتى الجمل، وهذا أمر واضح كون السورة تحوي العديد من القصص، ومن طبيعة القصة أن تحذف منها بعض المشاهد التي يمكن أن يستغنى عنها، مع ترك دليل يدل عليها، وأيضا من طبيعة الإعجاز القرآني عدم التفصيل الطويل حول حيثيات القصة، ويكون الاقتصار على الأمور الإنسانية منها، ويبقى استخلاص الأمور الثانوية التي لم تذكر من مهمة المتلقي، وذلك اعتمادا على الدليل المتروك والسياق الوارد فيه، وقد توزعت بنية الحذف في السورة بحسب أنواع الحذف وفق الآتي:

3-أ الحذف الحرفي:

نوع المحذوف	الآية	موضع الحذف	المحذوف	نوع الاتساق
الحرف	94	" قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي "	الياء	داخل الآية الواحدة
	73	" إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ"	النون	
	72	" قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ	الياء	

		ٱلدُّنۡيَآ"		
	97	" قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا "	اللام	
	47	" فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ"	النون	
	25	" قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي "	ياء النداء	

من خلال التحليل عبر الجدول السابق نجد أن الحذف الحرفي وارد في سورة طه، والكشف عن المحذوف يكون بإمعان النظر في البنية العميقة، التي شكلت البنية السطحية للنص، والتي تخضع بدورها للسياق، ففي قوله تعالى: "قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي "[1]، إن الياء المحذوفة في (أمّ) اختلف شأنها، يقول ابن عاشور في هذا السياق: "وقرأ الجمهور يا ابن أمّ بفتح الميم، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم وخلف بكسر الميم، وأصله يا ابن أميّ، فحذفت ياء المتكلم تخفيفا، وهو حذف مخصوص بالنداء، والقراءتان وجهان في حذف ياء المتكلم المضاف إليها أم ولفظ (عمّ) في النداء"[2]، فالحالة النفسية لهارون عليه السلام دعته إلى ضرورة الإسراع في الاستعطاف، مما جعل الحذف يحمل صيغة بلاغية، يقول طاهر بن عاشور "(ابن أمّ) نداء لقصد الترقيق والاستشفاع، وهو مؤذن بأن موسى حين وبخه أخذ بشعر لحية هارون، ويشعر بأنه يجذبه إليه ليلطمه وقد صرح به في الأعراف بقوله تعالى:"وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ"[3].

أمّا في قوله تعالى: "إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ"[4]، وهنا نجد حذف النون في "إن" وهو حذف لم يسببه طارئ نحوي أو علة صرفية، وإنما هو

[1] سورة طه، الآية 94.

[2] محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، نص 292.

[3] سورة الأعراف، الآية:150

[4] سورة طه، الآية 73.

سر بلاغي، فقد حقق تناغما على مستوى التركيب، وإنما نلحظ كذلك أن الإخبار عن الاسم لا يحتمل التأخير وإطالة الكلام، ذلك أن الاختصار في الإخبار عن الإيمان أولى وأبلغ فيه.

وهو ما نجده أيضا في قوله تعالى: "فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ"[1]، نجد هنا حذف لنون إنّ، وهو حذف لم يسببه طارئ نحوي أو علة صرفية، وإنما هو سر بلاغي فقد حقق تناغما على مستوى التركيب، كما نلحظ كذلك أن الإخبار عن الاسم لا يحتمل التأخير وإطالة الكلام، ذلك أن الإخبار عن النبوة أولى وأبلغ فيه.

أما في قوله تعالى: "قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ"[2]، حذفت الياء في (قاض) وأصلها قاضي تفاديا للثقل، فكان حذف الياء أبلغ من ذكرها، جاء هذا الحذف في "صيغة الأمر مستعملة في التسوية، لأن "ما أنت قاض" ما صدقه ما توعدهم به من تقطيع الأيدي والأرجل والصلب، أي سواء علينا ذلك بعضه أو كله أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصا منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل (والقضاء هنا التنفيذ والإنجاز) فإن عذابك لا يتجاوز هذه الحياة ونحن نرجو من ربنا الجزاء الخالد"[3].

ومن الحذف الحرفي ما ورد في قوله تعالى: "قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا "[4]، نجد هنا حذفا للام (ظلت) وأصله ظللت، حذفت منه اللام الأولى تخفيفا من توالي اللامين، "وهو حذف نادر عند سيبويه وعند غيره قياس"[5].

والفعل "ظلّ" من أخوات كان وأصله للدلالة على اتصاف اسمه بخبره في وقت النهار، وهو هنا مجاز في معنى (دام) بعلاقة الإطلاق، بناء على أن غالب الأعمال يكون في النهار، ولأن من طبيعة

[1] سورة طه، الآية 47.
[2] سورة طه، الآية 72.
[3] محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 266، 267.
[4] سورة طه، الآية 97.
[5] محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 299.

لغة القرآن أنها لا تحذف إلا لغرض، فالحذف في الفعل "ظلّ" إنما هو حذف للدلالة على تعليل حدثه، وعلى أن زمنه قصير، "وههنا حذف من الفعل مناسبة لقصر المدة التي ظل عليه عاكفا فيها، وذلك أن السامري عكف على عبادة العجل حين ذهاب موسى إلى مناجاة ربه وأن مدة ذهاب موسى لمناجاة ربه وعودته أربعون ليلة كما قيل، وأن فتنتهم كانت في العشر الأواخر، فعبادة العجل كانت عشرة أيام، فلما كان العكوف عليه قليلا، حذف من الفعل مناسبة لقصر المدة"[1]، فالحذف هنا دلالة كذلك على رجوع موسى عليه السلام ليجعل حد الفعل السامري، بتدمير العجل، ومن طبيعة السياق كونه لا يحتمل الإطالة في النهي، فكان الحذف يتماشى وطبيعة الحذف في الاختصار والإيجاز، وهنا تسهم معرفة القارئ بالأعراف اللغوية في نجاح ظاهرة الحذف، الذي يقوم بدوره في سبك جمل النص.

وجاء الحذف الحرفي في قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي "[2]، حذفت منها أداة النداء "يا"، بعده أسلوب نداء من موسى عليه السلام، ولأن الله أقرب للعبد من حبل الوريد قد حذفت الأداة في أسلوب حمل عدة طلبات، فكان حذفها يراعي الاختصار في سردها وهو دلالة تعظيم الخالق، الأمر الذي جعل الجمل المتضمنة لهذا الحذف تتسق فيما بينها لدلالة على قرب الله عز وجل من عبده وتعظيما له.

3- ب الحذف الاسمي:

رقم الآية	موضع الحذف	المحذوف	الدليل	المرجعية
(04)	" تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "	الله عز وجل	خلق	داخلية لاحقة
(07)	"وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى "	مُحَمَّد (ص)	تجهر	داخلية سابقة
(10)	"إِذۡ رَءَا نَارٗا	موسى عليه	إذ رأى	داخلية

[1] فاضل السامرائي: أسئلة بيانية في القرآن الكريم، ج2، ص 85.
[2] سورة طه، الآية 25.

	فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى "	السلام		سابقة
(17)	"وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ"	العصا	بيمينك	داخلية لاحقة
(18)	"قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ"	الشجر	أهش	السياق
(19)	"قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ"	الله عز وجل	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(20)	" فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ "	موسى	فألقاها	داخلية سابقة ولاحقة
(21)	"قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ "	الله عز وجل	قال	داخلية سابقة
(38)	"إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ "	الوحي	ما يوحى	داخلية لاحقة
(39)	"أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ"	أم موسى	فاقذفيه	داخلية سابقة
(47)	"فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ"	فرعون	فأرسل	داخلية سابقة ولاحقة
(50)	"قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ	موسى	قال	داخلية

	كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ"			سابقة ولاحقة
(50)	"قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ"	الله عز وجل	هدى	داخلية سابقة ولاحقة
(51)	"قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ"	فرعون	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(52)	"قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى "	موسى عليه السلام	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(52)	"قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى "	ربي	لا ينسى	داخلية سابقة
(56)	"وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ"	فرعون	فكذب	داخلية سابقة ولاحقة
(57)	"قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ "	فرعون	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(65)	"قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ "	السحرة	قالوا	داخلية سابقة ولاحقة
(71)	"قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ..."	فرعون	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(84)	"قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ	موسى	قال	داخلية

	رَبِّ لِتَرۡضَىٰ"			سابقة ولاحقة
(85)	"قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ "	الله عز وجل	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(88)	" فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ "	السامري	فأخرج	داخلية سابقة ولاحقة
(92)	"قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ "	موسى	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(94)	"قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي "	هارون	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(96)	"قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي "	السامري	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(97)	"قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا"	موسى عليه السلام	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(99)	"كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا"	يا مُحَمَّد	كذلك نقضي عليك	داخلية سابقة

(110)	"يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا "	الله عز وجل	يعلم	داخلية سابقة ولاحقة
(117)	"فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ"	إبليس	فلا يجرمنكم	داخلية سابقة ولاحقة
(123)	"قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ "	الله عز وجل	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(125)	"قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا "	الأعمى	لم حشرتني أعمى	داخلية سابقة
(126)	"قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ"	الله عز وجل	قال	داخلية سابقة ولاحقة
(130)	"فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ"	يا مُحَمَّد	فاصبر	داخلية سابقة
(131)	"وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ "	يا مُحَمَّد	ولا تمدن	داخلية سابقة
(132)	"وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ"	يا مُحَمَّد	وأمر أهلك	داخلية سابقة
(135)	"قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ	يا مُحَمَّد	قل	داخلية

	فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ"			سابقة

ومما هو ملاحظ حول الجدول أن الحذف الاسمي قد طغى على سورة "طه"، ونجد أن الدليل مذكور في الأمثلة، فمثلا في الآيات: (04)، (19)، (50)، (85)، (106)، (110)، (122) حذف لفظ الجلالة "الله"، ففي قوله:"تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "[1]، فالمحذوف هنا مرجعيته داخلية لاحقة، ودليل ذلك موجود في العديد من الآيات، منها قوله تعالى: "إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ "[2]، ومن ثمة ساهم الحذف الاسمي هنا الربط بين الآيتين (04) و(14).

ونجد في الآيات: (10)، (20)، (50)، (52)، (84)، (92)، (97) قد حذف منها اسم موسى عليه السلام، وكانت المرجعية فيها داخلية سابقة ولاحقة في آن واحد، ففي قوله تعالى: "قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ "[3]، فالمحذوف في الآية اسم موسى عليه السلام، فهو الذي كان يحدث فرعون، والدليل موجود في قوله تعالى: "قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ "[4]، وكذلك قوله تعالى: " قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى "[5]، فالمحذوف في الآية (50) دل عليه الدليل الموجود في الآية (49)، والمرجعية داخلية سابقة، وكذلك في الآية (52) والمرجعية داخلية لاحقة، ويلحظ هنا أن إفادة الحذف للاتساق تتم بإزالة العناصر اللغوية المعلومة من بنية النص الظاهرة وإبقائها قائمة في بنية النص العميقة المعلومة للمتلقي، وهو ما نجده في الآيات (47)، (49)، (51)، (56)، (57)، (71)، الذي ثبت فيها اسم فرعون، كانت المرجعية فيها سابقة ولاحقة، ففي قوله تعالى: قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ "[6]، فالدليل على المحذوف موجود في

[1] سورة طه، الآية 04.
[2] سورة طه، الآية 14.
[3] سورة طه، الآية 50.
[4] سورة طه، الآية 49.
[5] سورة طه، الآية 52.
[6] سورة طه، الآية 71.

الآيات السابقة مثل قوله تعالى: "ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ "[1]، وأيضا في الآيات اللاحقة ممثل قوله تعالى: "فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ"[2]، فالمحذوف اسم فرعون، والدليل عليه هو كلمة فرعون، فقد تكررت بلفظها ومعناها، وهي سابقة بالذكر ولاحقة، فصارت مرجعية الحذف سابقة ولاحقة في آن واحد، مما ساهم في ترابط الآيات السابقة واللاحقة.

أما في الآيات (99)، (130)، (131)، (135) التي حذف فيها اسم مُحَمَّد ﷺ، فقد كانت مرجعيتها داخلية قبلية ترجع إلى قوله تعالى: " **طه** "[3]، وفي ضوء هذا يتبين أن الحذف أدى إلى اتساق النص عن طريق دفع التكرار في الكلام، فقد ترك الفراغ في الآيات المذكورة، لتملأ من قبل المتلقي (المفسر) بالاعتماد على ما يمتلكه من أدوات معرفية، فمعرفة الكلام المحذوف يعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وإثارة حسه وبعث خياله، وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة الدالة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير.

3- ت الحذف الفعلي:

رقم الآية	موضع الحذف	المحذوف	الدليل	المرجعية
(04)	" تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "	أنزلناه	تنزيلا وأنزل	داخلية لاحقة
(04)	" تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "	خلق	خلق	داخلية سابقة
(53)	" ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗفَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ "	قال	فأخرجنا به أزواجا	داخلية لاحقة
(80)	" يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ	نزلنا	نزلنا	داخلية

[1] سورة طه، الآية 43.
[2] سورة طه، الآية 78.
[3] سورة طه، الآية 01.

	وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ "			سابقة
(83)	" وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ "	قال	ما أعجلك	داخلية سابقة لاحقة
(99)	" كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا "	قال	كذلك تقص عليك	داخلية سابقة
(112)	" وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا "	قال	ومن يعمل من الصالحات	داخلية سابقة ولاحقة
(112)	" وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا "	لا يخاف	فلا يخاف	داخلية سابقة
(114)	" فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا..."	قال	ولا تجعل بالقرآن	داخلية لاحقة

ومن حذف الفعل ما ورد في قوله تعالى: "تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "[1]، حذف عامل المفعول المطلق، ومن هنا أتاحت عملية حذف الفعل الطريق للمصدر لجعل الزمان مطلقا في كل حين، فتنزيل القرآن جردت دلالته من الزمن المقيد، وارتبطت بالزمن المطلق الدال على التجدد والاستمرار، يقول ابن يعيش: "أن المصدر ينتصب بالفعل وهو أحد المفعولات، وقد يحذف فعله لدليل الحال عليه ... ويجوز ظهوره، فأنت فيه بالخيار إن شئت أظهرته وإن شئت أضمرته"[2]، وتحتوي هذه الآية على حذف الفعل "خلق" فتقدير الكلام: "تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "، والمرجعية هنا داخلية قبلية، والحذف هنا حقق اتساقا بين أجزاء الآية الواحدة.

[1] سورة طه، الآية 04.

[2] ابن يعيش: شرح المفصل، ج12، ص 113.

ومنه ما ورد في قوله تعالى: "ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗفَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ"[1]، المحذوف هنا فعل القول: "قال" والاستغناء بذكر المفعول: "فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى" طلبا للاختصار، وبحذف فعل القول يزيد التركيز في النص، إذ يسلط الضوء فقط على جملة مقول القول التي هي المقصد من الكلام، وموضع اهتمام السامع، والمرجعية هنا داخلية لاحقة.

وهو ما نجده أيضا في قوله تعالى: "وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ "[2]، حذف فعل القول "قال" فتقدير الكلام: "قال ما أعجلك عن قومك يا موسى"، والمرجعية هنا سابقة ولاحقة وهو ما حقق ترابطا واتساقا بين أجزاء الآية وتعداه إلى الربط بين الآيات.

أما في قوله تعالى: "كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا "[3]، والمحذوف ههنا هو فعل القول، ومعه حذف الضمير الظاهر والمستتر فيه الذي يشير إلى الفاعل، مما يؤدي إلى تعميم وتعدد احتمالات في تقدير الفاعل، وكذلك يجعل القارئ لهذا القول يشعر وكأنه هو القائل له، ما يزيد في تأثيره فيه، فكأن القارئ هو الذي قص، ولكن المولى هو الذي "قص"، ومن ثمة فقد أدى هذا الحذف وظيفة تأثيرية في نفس القارئ ومن ثمة ينصاع لمضمون القول.

وهو ما نجده في قوله تعالى: "وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا "[4]، نجد أن فعل القول محذوف، ما جعل القول غير مقيد بزمن، سواء أكان ماضيا أم حاضرا أم مستقبلا، فأصبح مطلقا، وكلما قرأ شخص القول أو سمعه سيشعر بأنه موجها له وقت قراءته أو سماعه، وفي الآية نفسها نجد حذفها للفعل "لا يخاف"، فتقدير الكلام "ولا يخاف هضما"، والمرجعية هنا داخلية سابقة، بدليل قوله تعالى: "لَا يَخَافُ ظُلۡمٗا"، فالحذف في هذه الآية ساهم في الربط بين أجزاء الآية الواحدة.

[1] سورة طه، الآية 53.
[2] سورة طه، الآية 83.
[3] سورة طه، الآية 99.
[4] سورة طه، الآية 112.

أما في قوله تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ "[1]، فالمحذوف "لا يخاف" فتقدير الكلام ولا يخاف هضما، والمرجعية هنا داخلية سابقة بدليل قوله تعالى: "فلا يخاف ظلما".

ومن الحذف الفعلي ما ورد في قوله تعالى: "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا "[2]، حيث حذف فعل القول "قال" وتم الدخول مباشرة إلى جملة مقول القول، الأمر الذي يزيد من تأثير الكلام في نفس القارئ أو المستمع ويقوي رهبته منه، فيكون الكلام عليه أشد، ودلالته أبقى وأثبت مما لو قدم له بمقدمة تنبه السامع إلى مقولة القول، وهذا الحذف يقوم على الاستغناء عن القول بذكر المقول طلبا لاختصار ولوضوح الدلالة عليه، وهو كثير في الكلام.

3- ث الحذف الجملي:

تحذف الجمل في اللغة من الكلام تجنبا للإطالة، وجنوحا إلى الاختصار، ولذلك نلحظ أن حذفها يقع في الأساليب المركبة من أكثر من جملة، وهي أساليب الشرط والقسم والعطف والاستفهام، ومن حذف الجملة ما ورد في قوله تعالى: "يَفْقَهُواْ قَوْلِي "[3]، فالكلام هنا جواب لشرط محذوف، وأصل التركيب: "إن تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي"، فحذف الشرط مع الأداة على صورة طلب وهو مطرد كثيرا، "فجاء فعل يفقهوا مجزوما في جواب الأمر على الطريقة المتبعة في القرآن، من جعل الشيء المطلوب بمنزلة الحاصل عقب الشرط"[4]، فحذف فعل الشرط هنا تأكيد القائل – موسى عليه السلام – ورغبته في قيام السامع – الله عز وجل – بالشرط لتحقيق جوابه، وليعطي انطباعا للسامع بحتمية وقوع الجواب بمجرد قيامه بالشرط.

[1] سورة طه، الآية 116.
[2] سورة طه، الآية 114.
[3] سورة طه، الآية 28.
[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 212.

ومنه ما ورد أيضا في قوله تعالى: " وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ "[1]، وتقدير الكلام: "إن تلق ما في يمينك تلقف ما صنعوا"، فالله عز وجل في هذا المثال يأمر موسى بإلقاء (العصا)، وعند التزام موسى عليه السلام بالأمر، فإن الله سيجعل (العصا) تلقف ما صنع السحرة من الحبال والعصي، وهذا يدل على حتمية الاستجابة وعلى ضرورة الإلقاء لتحقيق المعجزة والنص بعد ذلك.

وهو ما نجده أيضا في قوله تعالى: " وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى "[2]، فالمحذوف هنا هو جواب الشرط، يدل عليه "فإنّه يعلم السر وأخفى"، فالمرجعية هنا داخلية – لاحقة – والتقدير: "فلا تشق على نفسك فإن الله يعلم السر وأخفى، أي فلا مزية للجهر به"[3].

أما في قوله تعالى: "وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ "[4]، فاللام وقعت في جملة جواب القسم المقدر، وجاء "تأكيد الخبر بلام القسم وقد لتحقيق الخبر، لأن موسى –عليه السلام– قد علم ذلك، فتحقيق الخبر له تحقيق اللازمة المراد منه، وهو أن عناية الله به دائمة لا تنقطع عنه زيادة في تطمين خاطر بعد قوله قد أوتيت سؤلك"[5]، إن حذف جملة القسم والاستغناء عنها بحرف القسم أو باللام كثير في القرآن الكريم، وهذا يدل على أن حذف جملة القسم مفتاح الباب للولوج إلى الاهتمام بالمقسم عليه، ورغبة المتكلم في تركيز الانتباه على المقسم عليه، وهو ما نجده في قوله تعالى: "قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا"[6]، فالمحذوف هو جملة القسم، فتقدير الكلام بالله تعالى لنحرقنه بالنار.

---

[1] سورة طه، الآية 69.

[2] سورة طه، الآية 07.

[3] محمّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 191.

[4] سورة طه، الآية 37.

[5] محمّد بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 215.

[6] سورة طه، الآية 97.

وهنا يتضح جليا دور الحذف في اتساق الجمل والآيات عن طريق إثارة الذهن لملأ الفراغات وتقدير المحذوف.

ويظهر كذلك الحذف في أحداث القصة في قوله تعالى: " إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ "[1]، إذ وقع اختصار في حكاية قصة مشي أخته، فتقدير القول: أنها اقترحت عليهم من يكفله فقبلوا اقتراحها، جاء في صورة القصص: " وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ"[2]، فمرجعية الحذف هنا مقالية عائدة إلى سياق الكلام، إذ لم تذكر أحداث قصصية، وهذه طبيعة القصص الاستغناء بأحداث معينة، ونستنتج الأحداث الأخرى من خلال السياق القرآني، إذ للمتلقي دور كبير في تقدير ما حدث من أحداث من خلال الربط بين آيات القرآن وسوره قصد إبراز تماسك النص وترابطه.

لقد أثرت معرفة المتلقي بالنص بتقدير المحذوف، فالمفسر الذي يعتني ببيان مقاصد القرآن الكريم بما يمتلكه من معرفة بعلاقة مفردات القرآن الكريم بعضها ببضعها الآخر تختلف رؤيته عن اللغوي الذي يبحث في علاقة الألفاظ من حيث الصناعة النحوية واللغوية.

وهو ما نجده أيضا في قوله تعالى: "ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ "[3]، فجملة (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)، معترضة بين جملة "وعصى آدم" في قوله تعالى: " فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ "[4]، وجملة (قال اهبطا منها جميعا) في قوله تعالى: "قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ "[5]، "لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم

[1] سورة طه، الآية 40.
[2] سورة القصص، الآية 12.
[3] سورة طه، الآية122.
[4] سورة طه، الآية 121.
[5] سورة طه، الآية 123.

وزوجه بالخروج من الجنة[1] كما في سورة البقرة: "فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ"[2]، وهو مناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة، "وفائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح"[3].

والاجتباء: الاصطفاء[4]، وتقدم عند قوله تعالى: "واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم" في سورة الأنعام، وقوله: "واجتباه وهداه إلى صراط مستقيم" في سورة النحل.

"والهداية: الإرشاد إلى النفع، والمراد بها إذا ذكرت مع الاجتباء في القرآن النبوءة"[5]، فقد تاب الله سبحانه وتعالى على سيدنا آدم عليه السلام، وعفى عنه بعد كلماته وذلك ما ذكر في سورة البقرة في قوله: "فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ"[6]، فهذه الآية توضح ما حذف في سورة "طه" الآية (122): "ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ "[7]، وسد الفراغ المتروك فيها، وهنا تظهر أهمية الحذف في الربط بين آيات السور القرآنية، بحيث تكون نصا متكاملا متسقا.

وبناءً على ما سبق يتضح دور الحذف بصوره المتعددة (الحرف، الاسم، الفعل، الجملة) في اتساق النص، سواء أكانت مرجعيته لفظية (قبلية أو لاحقة) أو يستفاد من سياق الكلام دون إغفال الدور الذي يؤديه المتلقي في ملء الفراغات في بنية النص.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 327.
[2] سورة البقرة، الآية 36.
[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 327.
[4] المرجع نفسه، ص 328.
[5] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 328.
[6] سورة البقرة، الآية 37.
[7] سورة طه، الآية 122.

4- التحليل النصي للسورة من خلال الإحالة

إن الروابط الإحالية تعد أمرا مهما في اتساق النص، وتحقيق تماسكه وترابطه، والإحالة أكثر من وجه، فهناك إحالة بالضمائر وإحالة بأسماء الإشارة، وإحالة بالأسماء الموصولة، وإحالة بإعادة الذكر أو التكرار، والجدول الآتي يوضح أهم العناصر الحالية التي ربطت بين جمل وتراكيب وحتى آيت سورة "طه".

المحال إليه	الإحالة	العنصر المُحيل	نوع الإحالة	رقم الآية
الله عز وجل	أنزلنا	ضمير متصل	داخلية لاحقة	(02)
	خلق	ضمير مستتر	داخلية لاحقة	(04)
	استوى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(05)
	له	ضمير متصل	داخلية سابقة	(06)
	فإنه	ضمير متصل	داخلية سابقة	(07)
	يعلم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(07)
	هو	ضمير منفصل	داخلية سابقة	(08)
	له	ضمير متصل	داخلية سابقة	(08)
	إني	ضمير متصل	داخلية سابقة	(12)
	أنا	ضمير منفصل	داخلية لاحقة	(12)
	وأنا	ضمير منفصل	داخلية سابقة	(13)
	اخترتك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(13)
	إنني	ضمير متصل	داخلية سابقة	(14)
	أنا	ضمير منفصل	داخلية لاحقة	(14)
	فاعبدني-لذكري	ضمير متصل	داخلية سابقة	(14)
	أخفيها	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(15)
	قال	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(19)
	قال-سنعيدها	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(21)

	لنريك	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(23)
	آياتنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(23)
	اشرح	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(25)
	يسر	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(26)
	أحلل	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(27)
	واجعل	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(29)
	نسبحك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(33)
	نذكرك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(34)
الله عز وجل	إنك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(35)
	كنت	ضمير متصل	داخلية سابقة	(35)
	قال	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(36)
	منّا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(37)
	أوحينا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(38)
	لي	ضمير متصل	داخلية سابقة	(39)
	ألقيت	ضمير متصل	داخلية سابقة	(39)
	مني	ضمير متصل	داخلية سابقة	(39)
	عيني	ضمير متصل	داخلية سابقة	(39)
	فرجعناك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(40)
	فنجيناك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(40)
	فتناك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(40)
	واصطنعتك لنفسي	ضمير متصل	داخلية سابقة	(41)
	بآياتي	ضمير متصل	داخلية سابقة	(46)
	ذكري	ضمير متصل	داخلية سابقة	(46)
	إنني	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(46)
	أسمع	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(46)

	أرى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(46)
	الذي	اسم موصول	داخلية سابقة	(50)
	أعطى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(50)
	هدى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(50)
	لا يضل	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(52)
	لا ينسى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(52)
	الذي	اسم موصول	داخلية سابقة	(53)
	جعل	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(53)
الله عز وجل	سلك	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(53)
	أنزل	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(53)
	فأخرجنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(53)
	خلقناكم	ضمير متصل	داخلية سابقة	(55)
	نعيدكم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(55)
	نخرجكم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(55)
	أريناه	ضمير متصل	داخلية سابقة	(56)
	آياتنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(56)
	يسحتكم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(61)
	قلنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(68)
	والذي	اسم موصول	داخلية سابقة	(72)
	فطرنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(72)
	ليغفر	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(73)
	يأته	ضمير متصل	داخلية سابقة	(75)
	أوحينا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(77)
	بعبادي	ضمير متصل	داخلية سابقة	(77)
	أنجيناكم وواعدناكم	ضمير متصل	داخلية سابقة	(80)

	نزلنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(80)
	رزقناكم	ضمير متصل	داخلية سابقة	(81)
	غضبي	ضمير متصل	داخلية سابقة	(81)
	إليك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(84)
	لترضى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(84)
	قال	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(85)
	إنا	ضمير منفصل	داخلية سابقة	(85)
	فتنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(85)
	إلهكم	ضمير متصل	داخلية لاحقة	(98)
	الذي	اسم موصول	داخلية سابقة	(98)
	هو	ضمير منفصل	داخلية سابقة	(98)
	نقص	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(99)
الله عزّ وجلّ	آتيناك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(99)
	لدنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(99)
	نحن	ضمير منفصل	داخلية سابقة	(104)
	أعلم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(104)
	فيذرها	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(106)
	رضي	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(109)
	يعلم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(113)
	أنزلناه	ضمير متصل	داخلية سابقة	(113)
	صرفنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(113)
	فتعالى	ضمير مستتر	داخلية لاحقة	(114)
	عهدنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(115)
	لم نجد	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(115)
	قلنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(116)
	فقلنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(117)

	اجتباه	ضمير مستتر	داخلية لاحقة	(122)
	فتاب	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(122)
	هدى	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(122)
	قال	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(123)
	هداي	ضمير متصل	داخلية سابقة	(123)
	ذكري	ضمير متصل	داخلية سابقة	(124)
	نحشره	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(124)
	حشرتني	ضمير متصل	داخلية سابقة	(125)
	قال	ضمير متصل	داخلية سابقة	(126)
	آياتنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(126)
	نجزي	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(127)
	أهلكنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(128)
	متعنا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(131)
	لنفتنهم	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(131)
	نسألك	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(132)
الله عزّ وجلّ	نحن	ضمير منفصل	داخلية سابقة	(132)
	نرزقك	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(132)
	أنّا	ضمير متصل	داخلية سابقة	(134)
	أهلكناهم	ضمير متصل	داخلية سابقة	(134)
	أرسلت	ضمير متصل	داخلية سابقة	(134)
	آياتك	ضمير متصل	داخلية سابقة	(134)
الرسول صلى الله عليه وسلم	عليك	ضمير متصل	خارجية	(02)
	لتشقى	ضمير مستتر	خارجية	(02)
	تجهر	ضمير مستتر	خارجية	(07)
	أتاك	ضمير متصل	خارجية	(09)
	عليك	ضمير متصل	خارجية	(99)

	آتيناك	ضمير متصل	خارجية	(99)
	يسألونك	ضمير متصل	خارجية	(105)
	لا تجعل	ضمير مستتر	خارجية	(114)
	إليك	ضمير متصل	خارجية	(114)
	قل	ضمير مستتر	خارجية	(114)
	زدني	ضمير متصل	خارجية	(114)
	فاصبر	ضمير مستتر	خارجية	(130)
	وسبح	ضمير مستتر	خارجية	(130)
	فسبح	ضمير مستتر	خارجية	(130)
	لعلك	ضمير متصل	خارجية	(130)
	ترضى	ضمير مستتر	خارجية	(130)
	لا تمدن	ضمير مستتر	خارجية	(131)
	عينيك	ضمير متصل	خارجية	(131)
	امر	ضمير مستتر	خارجية	(132)
	أهلك	ضمير متصل	خارجية	(132)
	اصطبر	ضمير مستتر	خارجية	(132)
	لا نسألك	ضمير متصل	خارجية	(132)
	نرزقك	ضمير متصل	خارجية	(132)
الرسول صلى الله عليه وسلم	يأتينا	ضمير مستتر	خارجية	(133)
	ربه	ضمير متصل	خارجية	(133)
	قل	ضمير مستتر	خارجية	(133)
القرآن الكريم	أنزلناه	ضمير متصل	داخلية سابقة	(113)
	فيه	ضمير متصل	داخلية سابقة	(113)
	يحدث	ضمير مستتر	داخلية سابقة	(113)
	وحيه	ضمير متصل	داخلية سابقة	(114)
موسى عليه	رأى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(10)

السلام	فقال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(10)
	لأهله	ضمير متصل	داخلية قبلية	(10)
	إني	ضمير متصل	داخلية قبلية	(10)
	آنست	ضمير متصل	داخلية قبلية	(10)
	لعلي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(10)
	آتيكم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(10)
	أجد	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(10)
	أتاها	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(11)
	ربك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(12)
	نعليك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(12)
	إنك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(12)
	اخترتك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(13)
	فاستمع	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(13)
	فاعبدني	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(14)
	أقم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(14)
	يصدنك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(16)
	بيمينك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(17)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(18)
	عصاي	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(18)
	أتوكأ-أهش	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(18)
	غنمي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(18)
موسى عليه السلام	لي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(18)
	فالقاها	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(20)
	خذها-لا تخف	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(21)
	اضمم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(22)
	يدك-جناحك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(22)

	لنريك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(23)
	اذهب	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(24)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(25)
	لي- صدري	ضمير متصل	داخلية قبلية	(25)
	لي أمري	ضمير متصل	داخلية قبلية	(26)
	لساني	ضمير متصل	داخلية قبلية	(27)
	قولي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(28)
	أهلي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(29)
	أخي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(30)
	أزري	ضمير متصل	داخلية قبلية	(31)
	أمري	ضمير متصل	داخلية قبلية	(32)
	أوتيت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(36)
	سؤلك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(36)
	عليك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(37)
	أمك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(38)
	اقذفيه-فاقذفيه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(39)
	فيلقه-يأخذه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(39)
	له	ضمير متصل	داخلية قبلية	(39)
	عليك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(39)
	أختك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(40)
	يكفله	ضمير متصل	داخلية قبلية	(40)
	فرجعناك-قتلت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(40)
	فنجيناك-فتناك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(40)
	فلبثت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(40)
موسى عليه	جئت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(40)
السلام	واصطنعتك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(41)

	اذهب	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(42)
	أنت	ضمير منفصل	داخلية قبلية	(42)
	أخوك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(42)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(50)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(52)
	ربي	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(52)
	أجئتنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(57)
	لتخرجنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(57)
	بسحرك	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(57)
	فلنأتينك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(58)
	فاجعل	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(58)
	بينك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(58)
	أنت	ضمير منفصل	داخلية قبلية	(58)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(59)
	تلقى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(65)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(66)
	نفسه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(67)
	تخف	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(68)
	إنك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(68)
	أنت	ضمير منفصل	داخلية قبلية	(68)
	وألق	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(69)
	يمينك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(69)
	اسر	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(77)
	فاضرب	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(77)
	لا تخاف-لا تخشى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(77)

	أعجلك-قومك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(83)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(84)
موسى عليه السلام	أثرى	ضمير متصل	داخلية قبلية	(84)
	عجلت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(84)
	قومه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(86)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(86)
	موعدي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(86)
	موعدك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(87)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(92)
	امرئ	ضمير متصل	داخلية قبلية	(93)
	أن تقول	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(94)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(95)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
	لنحرقنه	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
	لننسفنه	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
هارون عليه السلام	به	ضمير متصل	داخلية قبلية	(31)
	أشركه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(32)
	يا قوم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(90)
	فاتبعوني	ضمير متصل	داخلية قبلية	(90)
	أمري	ضمير متصل	داخلية قبلية	(90)
	منعك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(92)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(94)
	بلحيتي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(94)
	برأسي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(94)
	إني	ضمير متصل	داخلية قبلية	(94)
	خشيت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(94)

	فرقت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(94)
موسى وهارون عليهما السلام	نسبحك	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(33)
	نذكرك	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(34)
	لنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(35)
	لا تنيا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(42)
موسى وهارون عليهما السلام	اذهبا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(43)
	فقولا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(44)
	قالا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(45)
	ربنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(45)
	إنّنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(45)
	نخاف	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(45)
	علينا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(45)
	لا تخافا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(46)
	معكما	ضمير متصل	داخلية قبلية	(46)
	فاتياه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	فقولا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	إنّا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	رسولا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	معنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	قد جئناك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	إنّا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(48)
	إلينا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(48)
	ربّكما	ضمير متصل	داخلية قبلية	(49)
	ربّنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(50)
	هذان	اسم إشارة	داخلية قبلية	(63)
	لساحران	ضمير متصل	داخلية قبلية	(63)

	يريدان	ضمير متصل	داخلية قبلية	(63)
	يخرجاكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(63)
	يسحرهما	ضمير متصل	داخلية قبلية	(63)
	يذهبا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(63)
فرعون	إنه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(24)
	طغى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(24)
	إنه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(43)
	طغى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(43)
فرعون	له	ضمير متصل	داخلية قبلية	(44)
	لعله	ضمير متصل	داخلية قبلية	(44)
	يتذكر	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(44)
	يخشى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(44)
	يفرط	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(45)
	يطغى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(45)
	فاتياه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	ربك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	فأرسل	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(47)
	لا تعذبهم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(47)
	جئناك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	من ربك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(49)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(51)
	أريناه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(56)
	كذب وأبى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(56)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(57)
	فجمع	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(60)

	كيده	ضمير متصل	داخلية قبلية	(60)
	أتى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(60)
	قال-آذن	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(71)
	فلأقطعن	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(71)
	لأصلبنكم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(71)
	نؤثرك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(72)
	فاقض	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(72)
	أنت	ضمير منفصل	داخلية قبلية	(72)
	ما أكرهتنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(73)
	بجنوده	ضمير متصل	داخلية قبلية	(78)
	قومه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(79)
فرعون	ما هدى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(79)
السحرة	لهم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(61)
	ويلكم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(61)
	لا تفتروا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(61)
	فيسحتكم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(61)
	فتنازعوا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(62)
	أمرهم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(62)
	بينهم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(62)
	وأسروا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(62)
	قالوا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(63)
	يخرجاكم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(63)
	أرضكم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(63)
	بطريقتكم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(63)
	فأجمعوا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(64)
	كيدكم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(64)

	ائتوا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(64)
	قالوا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(65)
	نكون	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(65)
	ألقوا	ضمير مستتر	داخلية بعدية	(66)
	حبالهم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(66)
	عصيهم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(66)
	سحرهم	ضمير متصل	داخلية بعدية	(66)
	ما صنعوا	ضمير متصل	داخلية بعدية	(69)
	صنعوا	ضمير متصل	داخلية بعدية	(69)
	قالوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(70)
	آمنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(70)
	أآمنتم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
	لكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
	لكبيركم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
السحرة	علمكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
	أيديكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
	أرجلكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
	لأصلبنكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(71)
	لتعلمن	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(71)
	قالوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(72)
	نوثرك	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(72)
	جاءنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(72)
	فطرنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(72)
	إنّا–آمنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(73)
	بربنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(73)
	لنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(73)

	خطايانا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(73)
	أكرهتنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(73)
بني إسرائيل	لا تعذبهم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(47)
	لكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(53)
	كلوا-ارعوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(54)
	أنعامكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(54)
	خلقناكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(55)
	نعيدكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(55)
	نخرجكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(55)
	أنجيناكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(80)
	عدوكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(80)
	وواعدناكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(80)
	عليكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(80)
	كلوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(81)
	رزقناكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(81)
	لا تطغوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(81)
	عليكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(81)
بني إسرائيل	هم	ضمير منفصل	داخلية قبلية	(84)
	أضلهم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(85)
	يعدكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(86)
	أردتم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(86)
	عليكم-ربكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(86)
	فأخلفتم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(86)
	قالوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(87)
	أخلفنا-ملكنا-لكنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(87)

	حُمّلنا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(87)
	فقذفناها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(87)
	لهم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(88)
	إلهم	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(88)
	يرون	ضمير متصل	داخلية قبلية	(89)
	إليهم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(89)
	لهم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(89)
	فتنتم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(90)
	ربكم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(90)
	فاتبعوني	ضمير متصل	داخلية قبلية	(90)
	أطيعوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(90)
	قالوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(91)
	لن نبرح	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(91)
	عاكفين	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(91)
	إلينا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(91)
	رأيتهم	ضمير متصل	داخلية قبلية	(92)
	ضلوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(92)
العصا	تلك	اسم إشارة	داخلية بعدية	(17)
	هي	ضمير منفصل	داخلية بعدية	(18)
	عليها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(18)
	بها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(18)
العصا	ألقها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(19)
	فألقاها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(20)
	هي	ضمير منفصل	داخلية قبلية	(20)
	خذها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(21)
	سنعيدها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(21)

	سيرتها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(21)
	ما	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(69)
	تلقف	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(69)
السامري	فأخرج	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(88)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(96)
	بصرت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(96)
	فقبضت	ضمير متصل	داخلية قبلية	(96)
	فنبذتها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(96)
	لي-نفسي	ضمير متصل	داخلية قبلية	(96)
	فاذهب	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
	لك-إلهك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(97)
	تقول	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
	لك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(97)
	تخلفه	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
	انظر	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
	ظلت	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(97)
آدم عليه السلام	فنسي	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(115)
	له	ضمير متصل	داخلية قبلية	(117)
	لك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(117)
	لزوجك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(117)
	فتشقى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(117)
	لك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(118)
	لا تجوع-لا تعرى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(118)
	وإنّك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(119)
آدم عليه السلام	لا تظمأ-لا تضحى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(119)

	إليه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(120)
	أدلك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(120)
	ربه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(121)
	فغوى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(121)
	اجتباه–ربه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(122)
	عليه	ضمير متصل	داخلية قبلية	(122)
إبليس	أبى	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(116)
	هذا	اسم إشارة	داخلية قبلية	(117)
	يخرجنكما	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(117)
	قال	ضمير مستتر	داخلية قبلية	(120)
	أدلّك	ضمير متصل	داخلية قبلية	(120)
الملائكة	اسجدوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(116)
	فسجدوا	ضمير متصل	داخلية قبلية	(116)
الشجرة	منها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(121)
الجنة	فيها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(118)
	فيها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(119)
	منها	ضمير متصل	داخلية قبلية	(123)

بناء على ما سبق يتضح لنا طغيان الإحالة النصية على السورة من بدايتها إلى نهايتها، وخصوصا منها الإحالة القبلية، وبالنظر إلى الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة (الله) التي يصل مجموعها إلى (111) ضميرا، تعود كلها إلى لفظ الجلالة (الله) – تبارك وتعالى – مع العلم بأن عدد آيات السورة الكريمة (135)، وذلك دلالة على انتشار الضمائر في فضاء نص السورة من بدايتها إلى نهايتها، وكأنها تعود إلى مرجوع واحد، إذن فهي مرتبطة به ليس شكلا فحسب، بل دلالة أيضا، وإن كان لفظ الجلالة لم يذكر في بداية السورة صراحة بل كان عبارة عن الضمير المتصل "نا" وذلك في قوله تعالى: "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "[1]، ومن ثمة فقد ذكرت الضمائر متقدمة عن المحال

[1] سورة طه، الآية 02.

إليه، ولهذا كانت الإحالة في الآيتين: (02)، (04)، داخلية على لفظ لحق ذكره في الآية الخامسة من قوله تعالى: " "ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ "[1]، أما بالنسبة للآيات ابتداءً من الآية (05) إلى الآية (134)، فقد كانت إحالتها داخلية سابقة، وكانت الرابطة الإحالية في هذه الآيات هي الضمائر، وقد تنوعت الضمائر التي تعود إلى لفظ الجلالة بين منفصل ومتصل ومستتر.

و من هذه الآيات بالنسبة للضمير المنفصل ست آيات وهي قوله تعالى:

- " ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ"[2].

- " وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ "[3].

- "إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ"[4].

- "قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ "[5].

- "نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا "[6].

- "وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ "[7].

وبالنسبة للضمير المتصل فمنها قوله تعالى:

- "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "[8].

[1] سورة طه، الآية 05.
[2] سورة طه، الآية 08.
[3] سورة طه، الآية 13.
[4] سورة طه، الآية 14.
[5] سورة طه، الآية 85.
[6] سورة طه، الآية 104.
[7] سورة طه، الآية 132.
[8] سورة طه، الآية 02.

- " لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ"[1].

- "وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى "[2].

- "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ"[3].

- "وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ "[4].

- "كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا "[5].

- "إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا "[6].

وبالنسبة للضمير المستتر قوله تعالى:

- "تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى "[7].

- "ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ "[8].

- "وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى "[9].

- "قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي "[10].

---

[1] سورة طه، الآية 05.
[2] سورة طه، الآية 07
[3] سورة طه، الآية 08.
[4] سورة طه، الآية 13.
[5] سورة طه، الآية 33.
[6] سورة طه، الآية 35.
[7] سورة طه، الآية 04.
[8] سورة طه، الآية 05.
[9] سورة طه، الآية 07.
[10] سورة طه، الآية 25.

- "وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي "[1].

- "وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي "[2].

- "وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي "[3].

وتتنوع تلك الضمائر بين الغائب والمتكلم والمخاطب، كما تتنوع كذلك بين المفرد والجمع، وكلها تعود إليه سبحانه وتعالى، وتوزيعها على آيات السورة أغلبها يحقق الاتساق النصي بين هذه الآيات، والجدير بالذكر أن كل هذه الضمائر ترجع إلى لفظ الجلالة –سبحانه وتعالى– في هذه السورة مرجعيتها داخلية، لأنه ذكر صراحة في النص في الآية الثامنة: "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ".

والتحليل النصي للعناصر الإحالية في السورة يظهر أنه قد أحال على لفظ الجلالة (الله) موصول واحد هو "الذي"، إذ تكرر أربع مرات، وهذه الإحالة كلها قبلية، وذلك في قوله تعالى: "قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ"[4]، "إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا "[5]، "ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗفَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ"[6]، "قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ"[7].

ومن ملاحظة هذه الإحالة يتبين أن الجملة الأولى قد مثلت محور النص الذي تدور أحداث النص حوله، وترتبط قضاياه به، فجميع ما ذكر في السورة يرتبط بنوع من الروابط العلائقية بالعنصر

[1] سورة طه، الآية 26.
[2] سورة طه، الآية 27.
[3] سورة طه، الآية 29.
[4] سورة طه، الآية 50.
[5] سورة طه، الآية 98.
[6] سورة طه، الآية 53.
[7] سورة طه، الآية 72.

الإحالي في النص "الله" في قوله: "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ "[1]، ومنها قوله تعالى: "ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗفَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ "[2].

وقد خلا الموصول من أي إحالة بعدية، وقد يعود هذا إلى افتقاره الدائم إلى جملة تفسره بعده فلا يتناسب اجتماع مفسرين على مفسر واحد.

أما الضمائر التي تحيل إلى الرسول مُحَمَّد ﷺ فهي ذات مرجعية خارجية كلها، لأن اسم مُحَمَّد ﷺ ذكر صراحة في أربعة سور من القرآن الكريم وهي: مُحَمَّد، سورة آل عمران، سورة الأحزاب، وذلك في قوله تعالى:

- "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ"[3].

- "مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ "[4].

- "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ"[5].

- "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا"[6].

حيث تمت الإحالة إليه في الآيات: (02)، (07)، (09)، (99)، (105)، (108)، (114)، (130)، (131)، (132)، (135) وذلك في قوله تعالى:

[1] سورة طه، الآية 08.
[2] سورة طه، الآية 53.
[3] سورة مُحَمَّد، الآية 02.
[4] سورة الفتح، الآية 29.
[5] سورة آل عمران، الآية 143.
[6] سورة الأحزاب، الآية 40.

- "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "[1].

- "وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ "[2].

- "كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا "[3].

- "يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا "[4].

- "وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ "[5].

- "قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ "[6].

فالخطاب الموجه إليه ﷺ لا يخرج عن كونه تكليفا بالتبليغ أو النذير أو البشير، أو ردا على حجج المشركين أو تسلية له بإخباره أن ما يحدث قد حدث للرسل من قبل، وهذه أمور كلها مرتبطة بقضية السورة الأساسية، قضية العقيدة التي يكذب بها المشركون ويؤمن بها المؤمنون.

أما ثالث هذه العناصر في هذه السورة هو القرآن الكريم، جاء ذكره صراحة في النص في بداية الآية رقم (02) في قوله تعالى: ""ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"، أما الضمائر التي دلت عليه فكانت في الآيتين:

- " وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا "[7].

[1] سورة طه، الآية 02.
[2] سورة طه، الآية 09.
[3] سورة طه، الآية 99.
[4] سورة طه، الآية 108.
[5] سورة طه، الآية 133.
[6] سورة طه، الآية 135.
[7] سورة طه، الآية 113.

- " فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا "[1].

وعليه فالمرجعية للضمائر التي تحيل إلى القرآن هي داخلية سابقة، والملاحظ أنه لم يكن واسع الانتشار كالعنصرين السابقين، إلا أن وجوده في أجزاء مختلفة من السورة، من البداية (الآية 02) ثم الآيتين (113) و(114) فإنه يبين لنا ذلك الاتساق وتلك الوحدة الكلية للسورة.

ومن خلال هذا التواجد للضمائر المحيلة إلى العناصر الثلاثة السابقة ذكرها (الله عز وجل، مُحَمَّد ﷺ، القرآن الكريم)، حيث وجدت الإحالات في هذه العناصر في كافة موضوعات السورة، تبين لنا أن الاتساق النصي بين أجزاء النص المختلفة، ذلك أن هذه الضمائر تحيل إلى أهم العناصر الإشارية المحورية في السورة، فالكل يتجه نحو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة – مثل غيرها من السور المكية – وهو موضوع العقيدة الأساسي (موضوع الألوهية والعبودية)، إما بالتكليف (الله عز وجل) أو التبليغ (مُحَمَّد ﷺ)، وظهر هذا التعالق بين الآية الأولى "**طه** "[2] من افتتاحية السورة وبين بقية آيات السورة المختلفة، هذا كله بالنسبة لعلاقة مقدمة السورة بالموضوعات الأخرى، أما من حيث اتساق كل وحدة أو جزء من أجزاء السورة بعضه ببعض عن طريق الإحالة فيكون توضيحه كلا على حدا:

1- قصة سيدنا موسى عليه السلام: وهي من الآية (09) حتى الآية (98)، بين المطلع والختام تعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة، وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى وموقف الجدل بين موسى وفرعون، وموقف المباراة بين موسى والسحرة، وتتجلى في غضون القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينه واصطنعه لنفسه، وقال له ولأخيه: "**قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ**"[3]، وعليه فالعناصر المشكلة لقصة سيدنا موسى عليه السلام، فرعون، هارون عليه السلام، العصا، السحرة، السامري، فالضمائر التي تحيل إلى موسى عليه السلام، بعد ذكره صراحة في قوله تعالى: "**وَهَلۡ أَتَىٰكَ**

[1] سورة طه، الآية 114.
[2] سورة طه، الآية 01.
[3] سورة طه، الآية 46.

حَدِيثُ مُوسَىٰٓ "[1]، يصل مجموعها إلى (113) ضميرا، ومن ثمة فإن مرجعية هذه الضمائر تمثل مرجعية داخلية سابقة، من ذلك ما جاء في قوله تعالى:

- "إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى "[2].

- "وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ "[3].

- "فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ "[4].

أما العنصر الثاني فهو فرعون، فقد ذكر صراحة في قوله تعالى: "ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ"[5]، وفي قوله تعالى: "ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ "[6]، ومن ثمة فإن مرجعية هذه الضمائر تمثل مرجعية داخلية سابقة، ولحقت الضمائر التي تحيل إليه في سبعة وثلاثين موضع، منها قوله تعالى:

- "ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ "[7].

- "قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ "[8].

- "قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ "[9].

---

[1] سورة طه، الآية 09.
[2] سورة طه، الآية 10.
[3] سورة طه، الآية 13.
[4] سورة طه، الآية 16.
[5] سورة طه، الآية 24.
[6] سورة طه، الآية 43.
[7] سورة طه، الآية 24.
[8] سورة طه، الآية 45.
[9] سورة طه، الآية 71.

أما العنصر الثالث فهو هارون، فقد ذكر صراحة في قوله: "هَٰرُونَ أَخِي "[1]، وقوله تعالى: "وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي "[2]، وفي قوله عز وجل: "قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ "[3]، والضمائر التي تحيل إليه كانت في اثنتي عشرة موضعا منها قوله تعالى:

- "ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي "[4].

- "وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي "[5].

- "أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي "[6].

والإحالة هنا ذات مرجعية داخلية سابقة.

وجاءت الإحالة هنا إلى سيدنا موسى وهارون عليهما السلام معا في تسعة وعشرين موضعا، وهي كلها ذات إحالة داخلية قبلية، من ذلك قوله تعالى:

- "كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا "[7].

- "قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ "[8].

[1] سورة طه، الآية 30 .
[2] سورة طه، الآية 90.
[3] سورة طه، الآية 92.
[4] سورة طه، الآية 31.
[5] سورة طه، الآية 32.
[6] سورة طه، الآية 93.
[7] سورة طه، الآية 33.
[8] سورة طه، الآية 45.

أما العنصر الرابع في هذه القصة: العصا، فقد ذكر صراحة في قوله تعالى: "قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ "[1]، جاءت الضمائر المحيلة عليها في عشرة مواضع، وهي كلها ذات مرجعية داخلية سابقة، منها قوله تعالى:

- "قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ "[2].

- "فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ "[3].

كما أحيل إليها بالاسم الموصول "ما" في قوله تعالى: "وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ "[4]، وهي أيضا ذات إحالة داخلية قبلية (سابقة).

وكانت الإحالة بعدية (لاحقة) في قوله تعالى: "وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ "[5]، فاسم الإشارة هنا عائد على (العصا) المتأخرة عن الإشارة في قوله: "قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ "[6].

أما العنصر الخامس فهو السحرة، جاء ذكره صراحة في قوله تعالى: "فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ"[7]، أما الضمائر المحيلة إليه في ثلاثة وأربعين موضعا، منها قوله تعالى:

- "قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ"[8].

[1] سورة طه، الآية 18.
[2] سورة طه، الآية 19.
[3] سورة طه، الآية 20.
[4] سورة طه، الآية 69.
[5] سورة طه، الآية 17.
[6] سورة طه، الآية 18.
[7] سورة طه، الآية 70.
[8] سورة طه، الآية 61.

- "قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ "[1].

- "قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ"[2].

ومن ثمة كانت الإحالة ذات مرجعية لاحقة في الآيات (61)، (62)، (63)، (64)، (65)، (66)، (69)، لأن المحال عليه ذكر في الآية (70) في قوله تعالى: "فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ"[3]، لتكون المرجعية سابقة (قبلية) في الآيات التي تلتها الآيات: (70)، (71)، (73).

أما آخر عنصر في هذه القصة "السامري"، فقد أحيل إليه في خمسة عشرة موضعا، وذلك في قوله تعالى:

- "فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ "[4].

- "٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي "[5].

- "قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا"[6].

[1] سورة طه، الآية 66.
[2] سورة طه، الآية 72.
[3] سورة طه، الآية 70.
[4] سورة طه، الآية 88.
[5] سورة طه، الآية 96.
[6] سورة طه، الآية 97.

وكل هذه الإحالات ذات مرجعية داخلية سابقة، أحالت إلى المرجع المذكور في قوله تعالى: "قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ "[1]، "قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ "[2]، "قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ "[3].

مما هو ملاحظ على كل هذه الإحالات، أنها إحالات داخلية نصية تحيل على شيء سبق ذكره في بداية هذه القصة، فحققت بذلك اتساقا نصيا جاوز اتساق كل آية بعضها ببعض إلى اتساق وترابط أجزاء القصة كاملة، فكونت وحدة نصية كلية متماسكة الأطراف من بدايتها إلى نهايتها.

ثم يأتي بعد ذلك التعقيب، وهو من الآية (98) إلى غاية الآية (114) بالعودة إلى القرآن ووظيفته، وعاقبة من عرض عنه، ويرسم هذه العاقبة في مشهد من مشاهد القيامة.

2- قصة سيدنا آدم وعناصرها:

آدم عليه السلام، إبليس، الملائكة، الجنة والشجرة، فالضمائر التي تحيل سيدنا آدم عليه السلام ثمانية عشرة موضعا، منها قوله تعالى:

- "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ "[4].

- "وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ "[5].

- "فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ "[6].

[1] سورة طه، الآية 85.
[2] سورة طه، الآية 87.
[3] سورة طه، الآية 95.
[4] سورة طه، الآية 118.
[5] سورة طه، الآية 119
[6] سورة طه، الآية 120.

- " ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ "[1].

فالمرجعية هاهنا داخلية سابقة كلها، لأن المرجع ذكر في بداية القصة في قوله تعالى: "وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا "[2].

أما العنصر الثاني في هذه القصة: "إبليس"، فقد ذكر صراحة في قوله تعالى: "وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ"[3]، جاءت الإحالة إليه باستخدام اسم الإشارة وذلك في قوله تعالى: "فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ "[4]، وهي إحالة داخلية سابقة، في حين كانت بقية الإحالات عن طريق الضمائر في مثل قوله تعالى:

- "فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ "[5].

- "فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ "[6].

وفي العنصر الثالث: "الملائكة"، ذكر الضمير والمرجع في نفس الآية في قوله عز وجل: " وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ"[7]، وهي إحالة داخلية سابقة.

أما العنصر الرابع: "الشجرة"، فقد ذكر صراحة في قوله تعالى: "فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ"[8]، أما الضمير المحيل عليه فجاء في قوله تعالى: "فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ "[9].

[1] سورة طه، الآية 122.
[2] سورة طه، الآية 115.
[3] سورة طه، الآية 116.
[4] سورة طه، الآية 117.
[5] سورة طه، الآية 117.
[6] سورة طه، الآية 120.
[7] سورة طه، الآية 116.
[8] سورة طه، الآية 120.
[9] سورة طه، الآية 121.

أما آخر عنصر في هذه القصة: "الجنة"، فقد جاء ذكره صراحة في قوله تعالى: "فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ"[1]، أحيل إليه في قوله تعالى: "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ "[2].

وقوله: "قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ "[3]، وبهذا تكون المرجعية داخلية سابقة ساهمت في اتساق هذه الوحدة من السورة، مما جعلها في اتساق مستقل عن الأجزاء الأخرى على الرغم من وجود إحالات على عناصر أخرى من السورة تربط هذا الجزء بأجزاء السورة.

ثم يأتي بعد هذه القصة تعقيب أو خاتمة هذه السورة، لها علاقة مع افتتاحية السورة، وكذا مع المحاور الموجودة داخل هذه السورة، وذلك ناتج عن الدور الذي لعبته الإحالة في هذا التعقيب، حيث كانت الإحالات تعود على عناصر سبق ذكرها في البداية وهي الله عز وجل والرسول ﷺ، وكتاب الله الكريم، وذلك بالعودة إلى أولئك المكذبين الذين يطلبون إلى الرسول ﷺ بعدما جاءهم هذا القرآن أن يأتيهم بآية من ربه، هذا القرآن الذي يبين وبوضوح ما جاءت به رسالات قبله، " وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَ لَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ "[4]، مما يوحي بذلك الاتساق العجيب بين آيات ووحدات هذه السورة، كل وحدة على حدا، بالإضافة إلى اتساق الوحدات مع بعضها البعض مكونة وحدة نصية كلية.

[1] سورة طه، الآية 117.
[2] سورة طه، الآية 118.
[3] سورة طه، الآية 123.
[4] سورة طه، الآية 133.

5- التحليل النصي لسورة "طه" من خلال العطف:

تتكون سورة "طه" –كما أشرنا آنفا- من قصص، كل قصة تتحدث عن قصة معينة، وتجتمع كلها في أن قضيتها الأساسية هي التوحيد، كونها تعد من السور المكية.

ولقد برزت بكثرة أدوات العطف في هذه السورة، وداخل كل قصة على حدا، مما يولد لدينا تساؤلا حول مدى تحقق الاتساق من خلال العطف. يتضح من خلال إحصاء أدوات العطف الموجودة في سورة "طه" أنها كالآتي:

أداة العطف	عدد المرات	رقم الآية
الواو	140	من الآية (04) إلى الآية (135).
الفاء	80	من الآية (07) إلى الآية (135).
ثم	07	(04)، (50)، (60)، (64)، (82)، (97)، (122).
أو	05	(10)، (44)، (45)، (113)، (133).
بل	01	(66).
أم	01	(86.

يتبين من خلال الجدول السابق الآتي:

- إجمالي عدد حروف العطف في سورة طه (234) حرفا. علما بأن عدد آيات سورة طه: (135) آية، أي أنه لا تخلو كذلك آية من أداة ربط من حروف العطف أو أحيانا حرفين، كما أن حروف العطف تربط بين الجمل والمفردات وكذلك الفقرات.

- حرف "الواو" أكثر حروف العطف ورودا، ومن بعد "الفاء"، و"ثم"، و"أو"، و"أم"، ولم ترد حروف "لا، لكن، إمّا، حتى" عاطفة في السورة.

من الآيات التي ورد فيها العطف بـ"الواو" قوله تعالى: "تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى "[1]، فقد عطفت السماء على الأرض، أما في قوله تعالى: "وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى "[2]، فجملة (وأخفى) معطوفة على الجملة السابقة، وقد تحقق الاتساق من خلال أداة العطف هذه بين جملتين داخل آية واحدة.

أما حرف العطف "الفاء" فقد ذكر مرة واحدة في المقدمة في قوله تعالى: "وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى "[3]، فقد عطف الفاء جملة جواب الشرط (إنّه يعلم السر وأخفى) على جملة الشرط (وإن تجهر بالقول)، فالله سبحانه يخاطب رسوله ﷺ قائلا: "إنّه يعلم السر وأخفى من السر ... أي هو لا يحتاج إلى الحصر لأنه يعلم السّر وأخفى"[4]، وقد تحقق الاتساق من خلال أداة العطف هذه بين جملتين (الشرط والجواب) داخل آية واحدة.

وقد استهلت قصة سيدنا موسى عليه السلام بقوله: "وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ "[5]، وهو انتقال من المقدمة إلى القصص، والواو في هذه الآية أتت في رابط، حيث ربط بين المقدمة وقصة سيدنا موسى عليه السلام، واستمر وجوده إلى آخر القصة في قوله تعالى: " قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا "[6]، فقد ربط واو العطف بين جمل هذه الآية، مما أدى إلى اتساقها، ففي قوله تعالى: "فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ" إخبار بما عاقبه الله به في الدنيا والآخرة، فجعل حظه في حياته أن يقول لا مساس، أي سلبه الله الأنس الذي طبع الإنسان فعوضه به هوسا ووسواسا وتوحشا[7].

---

[1] سورة طه، الآية 04.

[2] سورة طه، الآية 06.

[3] سورة طه، الآية 07.

[4] محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 189.

[5] سورة طه، الآية 09.

[6] سورة طه، الآية 97.

[7] محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 298.

وقوله: "وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً" توعده للسامري بعذاب الآخرة فجعله موعدا له، أي موعد الحشر والعذاب[1].

وبعد أن أوعد موسى السامري بين له وللذين اتبعوه ضلالهم بعبادتهم العجل بأنه لا يستحق الإلهية لأنه معرض للعجز، فقال: "وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا "[2]، فجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل بين لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة، فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات[3].

ومن العطف بالواو ما جاء في قوله تعالى:

- "وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ "[4].

- "وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي "[5].

- "وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ"[6].

- "أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا "[7].

ومن العطف بالفاء قوله تعالى:

- "إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى "[8].

---

[1] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ، ص 298.
[2] سورة طه، الآية 97.
[3] المرجع نفسه، ص 298.
[4] سورة طه، الآية 13.
[5] سورة طه، الآية 41.
[6] سورة طه، الآية 22.
[7] سورة طه، الآية 89.
[8] سورة طه، الآية 10.

- "فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ "[1].

- "فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ "[2].

- "فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ "[3].

فقد ساهم حرف العطف الفاء في هذه الآيات في تحقيق الاتساق بين جمل الآية الواحدة، أو الاتساق على مستوى الآيات، فمن الاتساق على مستوى الآية الواحدة ما جاء في قوله تعالى: "إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ" فقد عطفت جملة قال على الجملة التي قبلها (إذ رأى نارا) وثمة تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة. أما الاتساق بين الآيات فمنه ما جاء في قوله تعالى: "فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" فهي معطوفة على الآية السابقة لها "قال ألقها يا موسى"، فتحقق عندها تماسك بين الآيتين.

ومن العطف بـ"أو" قوله تعالى: "إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى "[4]، لقد عطفت (أو) جملة (آتيكم) على جملة (أجد).

وقد ثبت عند النحاة أن (أو) للدلالة على أحد الشيئين أو الأشياء، قال ابن جني: "إنما أصل وضعها أن تكون لأحد الشيئين أين كانت وكيف تصرفت فهي عندنا على ذلك"[5]، فمعنى "أو أجد على النار هدى" أو "ألقى عارفا بالطريق قاصدا السير فيما أسير فيه فيهديني إلى السبيل"، قيل: كان موسى قد خفي عليه الطرق من شدة الظلمة وكان يجب أن يسير ليلا[6].

و(أو) هنا للتخيير، لأن إتيانه يقبس أمر محقق فهو إما أن يأخذ القبس لا غير، وإما أن يزيد فيجد صاحب النار قاصدا الطريق مثله فيصحبه.

---

[1] سورة طه، الآية 11.
[2] سورة طه، الآية 20.
[3] سورة طه، الآية 60.
[4] سورة طه، الآية 10.
[5] ابن جني، الخصائص، ص 457.
[6] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 194.

ومن العطف بـ(أو) أيضا ما جاء في قوله تعالى: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ "[1]، "قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ "[2]، فحدث هنا اتساق عن طريق حرف العطف (أو) على مستوى كل آية.

وجاء العطف بـ"ثم" في قصة موسى في ستة مواضع هي:

- "فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي "[3].

- "قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ"[4].

- "فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ "[5].

- "فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ "[6].

- "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ"[7].

-" قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا"[8].

قال ابن هشام في المغني اللبيب عن كتاب الأعرابي في التعريف (بثم) "... حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة"[9]، ففي قوله تعالى: "ثم جئت على قدر"

[1] سورة طه، الآية 44.
[2] سورة طه، الآية 45.
[3] سورة طه، الآية 40.
[4] سورة طه، الآية 50.
[5] سورة طه، الآية 60.
[6] سورة طه، الآية 64.
[7] سورة طه، الآية 82.
[8] سورة طه، الآية 97.
[9] ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 125-126.

يفيد أن ما حصل لموسى من الأحوال كان مقدرا من الله تقديرا مناسبا متدرجا، بحيث تكون أعماله وأحواله قد قدرها الله، وحدد تحديدا منظما أجل اصطفائه وما أراد الله من إرساله[1].

وجاءت في قوله تعالى: "...أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" لتدل على الترتيب لمعنية الزمن والرتيبة، أي خلق الأشياء ثم هدى إلى ما خلقهم لأجله وهداهم إلى الحق بعد أن خلقهم[2]، وهو المعنى نفسه في قوله: "فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى" بمعنى ثم حضر، فثم للمهلة الحقيقية والرتيبة معا، لأن حضوره للموعد كان بعد مضي مهلة الاستعداد، ولأن ذلك الحضور بعد جمع كيده أهم من جمع الكيد، لأن فيه ظهور أثر ما أعده.

وقوله "ثم اهتدى"، (ثم) فيه للتراخي في الرتبة، استعيرت للدلالة على التباين بين الشيئين في المنزلة كما كانت للتباين بين الوقتين في الحدوث[3].

وفي قوله: "ثم ننسفه" ثم للتراخي الرتبي، لأن نسف العجل أشد في إعدامه من تحريقه وأذل له[4].

ومن ثمة فقد تماسكت هذه الآيات من خلال حرف العطف (ثم) الذي جاء بمعنى التراخي الزمني والترتيبي في أغلبها،محققا بذلك اتساقا لغويا وانسجاما دلاليا.

أما العطف بـ: أم، بل، فقد ذكر كل حرف مرة واحدة، فالعطف بـ"أم" في قوله تعالى: "فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي "[5]، فحرف العطف "أم" هنا بمعنى بل، وذلك بالإضراب عن الكلام الأول (أفطال عليكم العهد) والعدول إلى الثاني فهو: "إضراب إبطالي، والاستفهام المقدر بعد (أم) في قوله: "أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ" إنكاري أيضا، إذا

[1] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 222.
[2] المرجع نفسه، ص 233.
[3] المرجع نفسه، ص 276.
[4] المرجع نفسه، ص 300.
[5] سورة طه، الآية 86.

التقدير: بل أردتم أن يحل عليكم غضب، فلا يكون إذن إلا إلقاء بأنفسهم في غضب الله كحال من يجب أن يحل عليه غضب من الله"[1]، وعليه وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه (أم) يتبين أن معناها الإضراب الانتقالي، أي: الانتقال من غرض إلى غرض وعلى هذا تكون (أم) قد ربطت بين جملتين في البنية الأساسية للنص.

ومن العطف بـ(بل) قوله تعالى: "قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ "[2]، لقد عطفت "بل" بين جملتين فعليتين، والعطف بها يختلف عن العطف بالحروف الأخرى، إذ أنها تفيد الإضراب الانتقالي منن غرض إلى آخر[3]، وقد أدت "بل" إلى اتساق النص.

أما التعقيب الذي يلي قصة موسى عليه السلام فقد ساهمت أدوات العطف المختلفة في اتساق هذا الجزء من السورة، حيث كانت هناك أداة العطف "الواو" في قوله تعالى:

- "كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا "[4].

- "خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا "[5].

- "يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا "[6].

- "وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا "[7].

والجدير بذكر هاهنا أن الواو حققت الاتساق على مستوى الآية الواحدة، وذلك في كل من الآيات: (99)، (102)، (107)، (108)، (109)، (110)، (114)، وحققت الاتساق بين

[1] محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 283.
[2] سورة طه، الآية 66.
[3] ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 119.
[4] سورة طه، الآية 99.
[5] سورة طه، الآية 101.
[6] سورة طه، الآية 102.
[7] سورة طه، الآية 105.

الآيات على مستوى الوحدة في الآيات: (105)، (111)، (112)، (113)، وبذلك تكون قد ساهمت في اتساق أجزاء الآية الواحدة تارة واتساق الآيات تارة أخرى.

أما حرف العطف "الفاء" فقد جاء في ستة مواضع منها قوله تعالى:

- " مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا "[1].

- "وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا "[2].

- "فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا "[3].

- "يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا "[4].

- "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا "[5].

وقد حقق حرف العطف (الفاء) على مستوى الآية الواحدة في الآيات: (100)، (105)، (108)، بينما حققا الاتساق على مستوى الآيات في الآيتين (106)، (114).

أما العطف "أو" لم يذكر إلا في نهاية التعقيب في قوله تعالى: لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا"[6]، فعطف الجملة (يحدث لهم ذكرا) على الجملة (لعلهم يتقون) مما حقق ترابطا على مستوى الآية.

ثم تأتي في قصة آدم والملائكة وإبليس، والتي تتلخص بأن أمرهم بالسجود لآدم تكريما له، فسجد الملائكة خضوعا لله وإجلالا له، ولم يسجد إبليس بكبريائه وإعجابه بنفسه، فحذر الله تعالى

[1] سورة طه، الآية 100.
[2] سورة طه، الآية 105.
[3] سورة طه، الآية 106.
[4] سورة طه، الآية 108.
[5] سورة طه، الآية 114.
[6] سورة طه، الآية 113.

من أعماله، وأن جزاء أتباعه العقاب، وبداية هذه القصة من الآية: (115) حتى الآية (127)، وقد ترابطت آيات هذه القصة من خلال أدوات العطف ترابطا داخليا على مستوى الآية الواحدة، وترابطا داخليا على مستوى الآيات.

فمن الاتساق على مستوى الآية الواحدة:

- "فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ "[1].

- "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ "[2].

- "قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا "[3].

أما الاتساق على مستوى الآيات ففي مثل قوله عز وجل: "وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا "[4]، والتي ربطت بين قصة آدم والتعقيب، وقد تحقق الاتساق من خلال حرف العطف "الواو".

أما حرف العطف "الفاء" فوجد في اثنتي عشر موضعا منه قوله تعالى:

- "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ"[5].

- "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا "[6].

- "ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ "[7].

[1] سورة طه، الآية 117.
[2] سورة طه، الآية 118.
[3] سورة طه، الآية 125.
[4] سورة طه، الآية 115.
[5] سورة طه، الآية 116.
[6] سورة طه، الآية 121.
[7] سورة طه، الآية 122.

- "وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ "[1].

ففي الآيات: (116)، (122)، (124) عطف الفاء كل جملة بعدها على كل جملة قبلها، أما في الآية (121) فكان الربط بين الآيات حيث عطفت الآية 121 على الآية التي تسبقها في قوله تعالى: "فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ "[2].

أما في قوله تعالى: "ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ "[3] فقد عمل حرف العطف على ضم الشيء إلى الشيء مهلة فربط هذه الآية وسابقتها في قوله تعالى: "فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ "[4]، فبعد أن عصى آدم ربه اجتباه، أي اصطفاه وهداه[5].

وبعد هاتين القصتين تأتي الخاتمة انضوت على ثلاث حروف عاطفة، الواو مثل قوله تعالى:

- "وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى "[6].

- "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ "[7].

فقد ربط الواو بين كل آية من الآيتين بالآية التي قبلها، كما عملت في مواضع أخرى على عطف الجمل بعضها على بعض في مثل قوله تعالى:

[1] سورة طه، الآية 124.
[2] سورة طه، الآية 120.
[3] سورة طه، الآية 122.
[4] سورة طه، الآية 121.
[5] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 327.
[6] سورة طه، الآية 129.
[7] سورة طه، الآية 131.

- "فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ "[1]، كما تضمنت هذه الآية الربط بحرف العطف الفاء.

ومن هنا يتبين أن توزيع أدوات العطف في هذه السورة يؤدي إلى نتيجة مفادها أن العطف لا يتوقف دوره على الربط بين الكلمات والجمل المتقاربة والعبارات، بل يتعدى دوره إلى تحقيق الاتساق النصي في سورة "طه".

6- التحليل النصي للسورة من خلال الاستبدال:

يعد الاستبدال أحد وسائل السبك النحوي التي تتم داخل النص، بين عنصر متأخر وآخر متقدم، ويستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، وذلك ما سيوضحه الجدول الآتي:

المستبدل	المستبدل به	المرجعية	نوع الاستبدال	رقم الآية
الله عزّ وجلّ	الرحمن	داخلية	اسمي	(05)، (90)، (108)،(109)
	الذي	داخلية	اسمي	(50)
	الغفار	داخلية	اسمي	(82)
	ربك/ربّنا	داخلية	اسمي	(12)، (45)، (47)، (73)، (86)، (90).
	الملك الحق	داخلية	اسمي	(114)
موسى	يا بنؤم	داخلية	اسمي	(94)
القيامة	الساعة	داخلية	اسمي	(15)
	الآخرة	داخلية	اسمي	(127)
هارون عليه السلام	وزيرا	داخلية	اسمي	(29)
	أخي	داخلية	اسمي	(30)
	أخوك	داخلية	اسمي	(42)

[1] سورة طه، الآية 130.

فرعون	عدو	داخلية	اسمي	(39)
جبريل عليه السلام	الرسول	خارجية	اسمي	(96)
موسى وهارون عليها السلام	رسولا	داخلية	اسمي	(48)
بني إسرائيل	الناس	داخلية	اسمي	(59)
	قومه	داخلية	اسمي	(79)
	قومك	داخلية	اسمي	(83)، (85)، (86)، (87)، (90).
السحرة	كيده	داخلية	اسمي	(60)
	كيدكم	داخلية	اسمي	(64)
العجل	إلهك	داخلية	اسمي	(97)
إبليس	عدو	داخلية	اسمي	(117)
	الشيطان	داخلية	اسمي	(120)
آدم وزوجته	جميعا	داخلية	اسمي	(123)

ومن خلال الجدول يتضح جليا طغيان الاستبدال الاسمي على سورة "طه" مع الغياب الكلي للنوعين (الاستبدال الفعلي والاستبدال الجملي) من بداية السورة إلى نهايتها ما أدى إلى اتساقها، والجدير بالذكر أن جميع أمثلة الاستبدال ذات مرجعية داخلية.

استبدل اسم جبريل عليه السلام بلفظ الرسول وذلك في قوله تعالى: "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي "[1]، قال جمهور المفسرين: "المراد بالرسول جبريل"[2]، والمرجعية هاهنا أيضا خارجية لأن جبريل عليه السلام ذكر في ثلاث مواضع، وذلك في قوله تعالى:

[1] سورة طه، الآية 96.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 296.

- "فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ "[1].

- "قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ"[2].

- "مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ"[3].

والملاحظ أن الاستبدال السابق قد حقق الاتساق على مستوى السور، ذلك أن المستبدل به في سورة "طه" والمستبدل في سورة أخرى، مما أدى إلى ترابط سور القرآن بعضها ببعض، ومن ثمة تحقيق الاتساق على مستوى القرآن ككل.

ومن نماذج الاستبدالات ذات المرجعية الداخلية: استبدال لفظ الجلالة في كثير من المواضع منها قوله تعالى:

- "ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ "[4].

- "وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ"[5].

- "يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا "[6].

- "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ "[7].

- "قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ "[8].

---

[1] سورة التحريم، الآية 04.
[2] سورة البقرة، الآية 97.
[3] سورة البقرة، الآية 98.
[4] سورة طه، الآية 05.
[5] سورة طه، الآية 82.
[6] سورة طه، الآية 109.
[7] سورة طه، الآية 114.
[8] سورة طه، الآية 50.

والجدير بالذكر أن هذه الاستبدالات ذات المرجعية الداخلية قد حققت اتساقا على مستوى السورة ككل، بحكم وجود المستبدل في آية والمستبدل به في آية أخرى، وهو ما نجده في الآيات: (05)، (82)، (109)، (50)، في حين تحقق الاتساق داخل الآية الواحدة وهو ما برز في الآية (114).

ومن الاستبدالات أيضا استبدال اسم موسى بلفظ يا بنؤم (لأن ذكر الأم تذكير بأقوى أواصر الأخوة) وهي آصرة الولادة من بطن واحد والرضاع من لبان واحد"[1].

وقد استبدل اسم هارون مرة بلفظ وزيرا، وذلك في قوله تعالى: "وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي "[2]، ومرة أخرى بلفظ أخي في قوله تعالى: "هَٰرُونَ أَخِي "[3]، وبلفظ أخوك في قوله: "ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي "[4]، فهذا الاستبدال حقق الاتساق على مستوى الآية (30)، بينما حقق الاتساق على مستوى السورة في الآيتين: (29)، (42).

فالاستبدال مما سبق ليس مجرد وسيلة أو علاقة نحوية معجمية فحسب، بل لتحقيق علاقة دلالية كذلك، وهو من الوسائل التي يستخدمها الكاتب عامة لتجنب التكرار، مع تحقيق الاستمرارية التي تمثل الغاية والمضمون من تحقيق الاتساق النصي، كما ترجع أهمية الاستبدال في تحقيق اتساق النص من خلال ملاحظة العلاقة بين المستبدل والمستبدل به سواء أكانت ذات مرجعية داخلية أو خارجية.

ثانيا الانسجام النصي في سورة "طه":

لقد أولى علماء لسانيات النص عناية قصوى بالانسجام، وتعددت عمليات الانسجام وآلياته تبعا لتباين آراء علماء النص، وفي هذا المقام سنركز على أهم وأبرز الآليات المعروفة.

[1] مُحَمَّد الطاهر نبن عاشور، التحرير والتنوير، ص 192.
[2] سورة طه، الآية 29.
[3] سورة طه، الآية 30.
[4] سورة طه، الآية 42.

1- السياق (Context):

العلاقة بين النص والسياق جد وثيقة لدرجة تجعل الإنسان يظنها وجهين لعملة واحدة، حيث أن نصية النص تخلق نوعا من التماسك والترابط الداخلي بين مكونات النص من ناحية، والترابط بين النص وما يحيط به من ظروف وملابسات غير لغوية من ناحية أخرى، ولأهمية السياق تناوله الكثير من الدارسين قديما وحديثا، فمنهم من تناوله من خلال قضايا لغوية أخرى ومنهم من أفرد له بحثا أو رسالة أو كتابا.

يختلف السياق القرآني عن غيره من السياقات، فالآية القرآنية تنشئ دلالة سياقية، وإذا ما ضمنت إلى مجموعة من الآيات تخرج بدلالة أخرى، وبالنظر إلى مجموع القرآن كوحدة موضوعية واحدة وطريقته وأعراضه ومقاصده نخرج بدلالات سياقية مغايرة، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم والذي لا يوجد بغيره.

وتفصيل هذه الأنواع للسياق في سورة "طه" والتمثيل عليها فيما يأتي:

1- أ سياق الآية:

وفي هذا النوع من أنواع السياق يكون النظر في سياق الآية دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات، لتحديد معنى المراد لأحد المفردات من خلال معانيها المتعددة أو المحتملة. فقد اختلفت آراء المفسرين حول معنى (لنحرقنه) في قوله تعالى: "...وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا "[1]، فبعضهم قال إنه التحريق بالنار، وبعضهم قال إنه التحريق بالمبارد[2]، أي برده بها، والذي دعا إلى هذا التفسير الأخير استبعاد بعض العلماء إمكان نسف العجل إذا أحرق بالنار، لأن النار تذيبه، وما يذاب لا ينسف، أي لا يذرى وإنما الذي ينسف

[1] سورة طه، الآية: 97.

[2] ينظر: الطبري: تفسير الطبري، مج5، ص 218.

البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص 337.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمّد السلامة، ج5، دار طيبة، ط2، 1999، ص 314.

هو الشيء المسحوق، قال برهان الدين البقاعي: "وكان معنى ذلك أنه أحماه حتى لان، فهان على المبارد"[1]، فقد اتفق البقاعي مع ابن كثير والطبري –رحمهم الله– على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية.

1– ب سياق النص:

"وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في القصص، فيكون ترجيح الآيات بناء على سياق النص"[2]، في قوله تعالى: "وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي "[3]، قال بعض العلماء: دل قوله "عقدة من لساني" بالتنكير والإفراد، وإتباعه لذلك بقوله: "يفقه قولي" على أنه لم يسأل إزالة جميع ما بلسانه مع العقد، بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته فهم كلامه مع بقاء بعضها[4]، فقد استند الشنقيطي إلى سياق النص في إيضاح الدلالة.

1– ت سياق السورة:

لكل سورة في القرآن الكريم محور عام وغرض رئيس أو أكثر يستخلص من سياقها العام، وتكون المقاطع ذات الأغراض الخاصة في السورة خادمة لهذا المحور العام والغرض الرئيس، وهذا التناسب بين الآيات والمقاطع من مظاهر إعجاز هذا الكتاب العظيم يقول القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن في معرض تعداد وجوه الإعجاز القرآني: "ومنها التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف، قال تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا"[5].

إن المحور الرئيسي في سورة "طه" هو القرآن، كلام الله مع النبي ﷺ، فبالرغم أن الآيات التي تناولت الحديث عن القرآن أقل في عددها من الآيات التي تناولت قصة موسى هي المحور لها، فقد

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص 337.
[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 331.
[3] سورة طه، الآيتين: 27–28.
[4] محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج4، ص 506.
[5] سورة النساء، الآية: 82.

بدأت بذكر القرآن في قوله تعالى: "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "[1]، ونوه في وسط السورة عنه بالتذكرة به "وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا"[2]، "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا "[3]، "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا "[4]، ثم ذكر القرآن في آخر السورة "وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ"[5].

ومن النماذج التي تثبت هذا النوع من السياق: علاقة محور السورة بقوله تعالى: "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا "[6]، فقد جاء في أسباب النزول للواحدي قوله: "جاء النبي ﷺ ضيف، ولم يكن عنده ما يطعمه به فسأل أحد الصحابة أن يأتوا بطعام من عند اليهودي، فلما ذهب الصحابي طلب اليهودي رهنا، فلما علم رسول الله ذلك حزن، فنزل الله هذه الآية: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ "[7]، أي إن رزق الله لك يا مُحَمَّد بالقرآن والنبوة أفضل، فالله ميزك على سائر الخلق بما هو أفضل مما في أيديهم فضلك بالبعثة والنبوة والقرآن، ومن أمثلته أيضا القصص المستخدمة في السورة الكريمة، فمحور السورة هو القرآن والقصص تغذي هذا المحور، حيث يدعم فكرة أن القرآن منزل من عند الله ويشرح ذلك، فمن أهداف القصص عمل خلفيات تاريخية للثقافات الإسلامية يريد الله أن يقول أنتم لستم به عامة الناس، ففي السابق حدث ما حدث لكم، فهي بمثابة خطاب الله لتثبت الرسول وأن القرآن من الله.

فمن خلال قصة سيدنا موسى وبيان سنن المكذبين (فرعون) والمصدقين، يعضد المقصود لإثبات صدق الرسول والقرآن، فيكلم العرب لإثبات أحقية الرسول في البعث، فسيدنا موسى أكبر

[1] سورة طه، الآية: 02.
[2] سورة طه، الآية: 99.
[3] سورة طه، الآية: 113.
[4] سورة طه، الآية: 114.
[5] سورة طه، الآية: 124.
[6] سورة طه، الآية: 131
[7] ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ص 313.

نبي سبق الرسول، وبعد قصة موسى ختمها الله: "وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً"[1]، كأن قصة موسى جاءت تدعيما وتثبيتا لصحة الذكر والقرآن وصحة نسبه إلى الله[2].

1- ج سياق القرآن:

أما السياق القرآني فإننا نقصد به أمرين[3]:

1- الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدل عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته، الأمر الذي يؤكد ضرورة الإلمام بهذا الأسلوب ومعرفة خصائصه، مع معرفة الأغراض والمقاصد الكلية، والاتجاهات العامة الثابتة في القرآن الكريم.

2- الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام وأحكمته تتصل بأغراض السورة.

ومن ذلك ما ذكره بعض المفسرين، عند تناولهم للآية العاشرة من السورة، أن الليلة التي رأى فيها موسى عليه السلام النار عند عودته من أرض مدين بأهله إلى مصر كانت باردة، وليس في الآية ما يشير إلى هذا، إلا أنه قد جاء في سروتي "النمل" و"القصص" على لسان موسى مخاطبا أهله حينما أبصر الناس: "أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"[4]، "لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ "[5]، فهذا هو الذي جعلهم يصفون الليلة بأنها باردة رغم أن آية سورة "طه" تخلو من ذلك لقوله: "إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى "[6].

---

[1] سورة طه، الآية: 99.

[2] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص 2329.

الطبري: تفسير الطبري، مج5، ص 186.

[3] فهد بن شتوي، بن عبد المعين الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، ص 47.

[4] سورة النمل، الآية: 07

[5] سورة القصص، الآية: 29.

[6] سورة طه، الآية: 10.

وهذا ما نجده أيضا في حكاية الآيات عندما أمر الله سبحانه وتعالى كليمه عليه السلام أن يلقي عصاه على الأرض، وإلقاء موسى إياها وتحولها إلى حية تسعى نجد القرآن ينبئنا أن الله سبحانه قال: "قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ"[1]، تاركا فجوة في أحداث القصة ملأها في مواضع أخرى منه، وهي رؤية موسى للعصا وهي تسعى، وخوفه منها وتوليته مدبرا لا يلوى على شيء في قوله تعالى: "وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ "[2]، وقوله تعالى: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٰمِنِينَ "[3].

2- مبدأ التشابه في سورة "طه":

يقوم هذا المبدأ على تشابه النصوص، وتراكم تلقيها عند المتلقي، حيث يصبح بإمكانه أن يفترض أو يتوقع تأويلا ما لنص معين، انطلاقا من استحضار تلق سابق لنص آخر، "فتراكم التجارب (مواجهة المتلقي للخطابات)، واستخلاص الخصائص والمميزات النوعية من الخطابات يقود القارئ إلى الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة، أي النظر إلى الخطاب الحالي في علاقة مع خطابات سابقة تشبهه، أو بتعبير اصطلاحي انطلاقا من مبدأ التشابه"[4].

ونمثل لهذا ما جاء في تفسير رد فرعون على كلام موسى عليه السلام بقوله: "قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ "[5]، من خلال مشابهته لما ورد في سورة القصص: "فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِأٰيَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ "[6]، فهذه الآية تعد تفسيرا لآية سورة "طه": "فما بال القرون الأولى"، وأن المعنى هو: فما بالنا لم نسمع أن القرون الأولى قد أتاها رسول بمثل ما أتيتنا به، فالقرون الأولى هناك هي آباؤنا الأولون هنا، والذي يؤكد هذا أكثر ورود

[1] سورة طه، الآية: 21.
[2] سورة النمل، الآية: 10.
[3] سورة القصص، الآية: 31.
[4] محمد خطابي، لسانيات الخطاب، ص 58.
[5] سورة طه، الآية: 51.
[6] سورة القصص: الآية: 36.

عبارة "القرون الأولى" في هذا السياق بعد عدة آيات، وذلك في قوله تعالى: " وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ"[1]

3- التغريض في سورة "طه":

يعد التغريض من المبادئ التي يبنى عليها التماسك النصي، وهو تمحور النص حول قيمة مركزية إما في عنوانه أو فاتحته أو تكون كلمة مكررة تحوم حولها جميع أجزاء النص، حيث تتوسع هذه البؤرة المحورية تركيبا ودلاليا لتنسج خيوط شبكة دلالات تشكل بها بنية كلية.

هناك علاقة وطيدة بين مفهومي "التغريض وموضوع الخطأ من جهة، ومع عنوان النص من جهة أخرى، وتتبين العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون العنوان يعد تعبيرا ممكنا واحدا عن ذلك الموضوع"[2].

إن الطريقة المثلى لوصف وظيفة العنوان في رأي الباحثين هو كونه أداة قوية للتغريض، لأننا حينما نجد اسم شخص ما بارزا في عنوان النص نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو محور الموضوع، إن هذا التوقع الخالق لمظهر التغريض، وخاصة على شكل عنوان، يعني أن العناصر المغرضة المبرزة لا تمدنا فقط بنقطة بداية يتبين حولها اللاحق في الخطاب، بل تمدنا أيضا بنقطة بداية تعيد فهمنا وتأويلنا لما يلحق"[3].

ننظر الآن كيف تم تغريض سورة "طه"، اسم السورة توقيفي، أي ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذه السورة تسمى سورة "طه" وتسمى سورة الكليم، وموسى، وهي اجتهادية من الصحابة باعتبار الحديث الأغلب فيها، وقد اختلف في تفسير اسمها المفسرون، "قال بعضهم: معناه يا رجل، وقال آخرون هو اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به، وقال آخرون: هو حروف هجاء،

[1] سورة القصص، الآية: 43.
[2] ج.ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، تر: مُحَمَّد لطفي الزليطني، منير التركي، ص 162.
[3] المرجع نفسه، ص 162.

وقال آخرون: هو حروفٌ مقطعة يدل كل حرف منها على معنى"[1]، وقد اتخذ "الشنقيطي" في تفسيره من ورود هذين الحرفين ي تلك المواضع التي لا نزاع في أنها من الأحرف المقطعة، دليلا على أنها هي أيضا مقطعة"[2]، فهي إذا عبارة عن حروف مقطعة.

فلو نظرنا إلى هذا الاسم وإلى الموضوع الرئيسي للسورة لوجدنا بين الاسم والموضوع نوعا من العلاقة والارتباط، فالمحور في السورة هو القرآن العظيم المتحدى به، والحروف إثبات على إعجاز القرآن ودلالة أنه من عند الله، فـ"طه" حروف مقصود بها التحدي، كأن الله يقول هذا القرآن مكون منها ومع ذلك تعجزون على الإتيان بمثله، فهذا الكبر دليل على أنه معجز، جاء في ظلال القرآن لسيد قطب: "مثل هذه الأحرف (...) إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه –مع هذا– هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله"[3]، ويضيف قائلا: "حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاما وأوزانا ويجعل منها الله قرآنا وفرقانا"[4].

على الأرجح أن "طه" حروف مقصود بها التحدي، وبذلك تتحقق علاقة الاسم (العنوان) بالمحور الرئيسي.

ننظر الآن إلى علاقة الاسم بالمحاور الأساسية في سورة "طه":

- من الآية [1 - 8] ومن [113 – 114] الحديث عن القرآن، التحدي بالقرآن بذكر الحروف المقطعة في مفتتحها قال تعالى: "طه "[5]، ودائما يأتي بعد الحروف الحديث عن القرآن "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "[6].

[1] الطبري، تفسير الطبري في كتابه جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، مج5، ص 183.
[2] الشنقيطي، أضواء البيان عفي إيضاح القرآن بالقرآن، مج4، ص 399.
[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ص 38.
[4] المرجع نفسه، ص 38.
[5] سورة طه، الآية: 01.
[6] سورة طه، الآية: 02.

- من الآية [09 – 99] قصة سيدنا موسى، التنويه بعظمة الله تعالى، وإثبات رسالة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم بأنها تماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره في الناس، فضرب المثل لنزول القرآن على مُحَمَّد ﷺ بكلام الله موسى عليه السلام. وبسط نشأة موسى وتأييد الله إياه ونصره على فرعون بالحجة والمعجزات ويصرف كيد فرعون عنه، وعن أتباعه، فبقصة موسى نقدم نموذجا كاملا لرعاية الله سبحانه لمن يختارهم لإبلاغ دعوته، فلا يشون بها وهم في رعايتها"[1].

- من الآية [115 – 123] قصة التحدي وصراع الإنسان والشيطان، ومشهد إغواء إبليس لآدم، وما حدث بينهما قديمة وأزلية فاحذروا أن تكذبوا رسول الله ﷺ، وفي هذه القصة "تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته، وهدايته له، وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار"[2].

- من الآية [124 – 125] – [100 – 112]، القيامة واليوم الآخر، القرآن هو الإيمان بالله واليوم الآخر، وتبين أن هناك ثواب وعقاب، ويحذر الله من التكذيب وعاقبة المكذبين، فالإيمان بالقرآن لا ينفصل عن التصديق بالقيامة.

وبناء على ما سبق يمكن القول أن التغريض في القرآن الكريم واضح بين يدل دلالة واضحة على قدرة الله على صنع كل شيء.

4- المناسبة في سورة "طه":

المعلوم أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة في لوح محفوظ، ثم نزل على الرسول الكريم في نيف وعشرين سنة، منجما في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة بحسب الوقائع والمناسبات[3]، إلا أن ثمة ترابطا محكما بين تلك السور والآيات، حيث جاءت كل سورة وكل آية في مكانها المناسب بالنسبة إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، فجاءت عقودا منتظمة أحسن نظام، يكمل بعضها بعض.

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص 2327.
[2] سيد قطب، المرجع نفسه، ص 2326.
[3] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 37.

لقد عني العلماء بهذا الترابط والتناسق بين الآيات والسور وسموه علم المناسبات[1]، وأفاضوا في إطرائه لما له من الأهمية في إدراك مقاصد القرآن، وتدبر معانيه، وتذوق بلاغته، قال البقاعي: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[2].

أنواع المناسبات في القرآن الكريم: تنقسم المناسبة إلى أنواع كالآتي[3]:

أولا– أنواع المناسبات في السورة الواحدة:

1– المناسبة بين الآيات في السورة (طه):

مثال ذلك قوله تعالى: "وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ "[4].

في الآية الأولى دعوة الرسول إلى أن يتوجه إلى ربه بالعبادة والإعراض عن الحياة الدنيا، "ولما كانت النفس ميالة إلى الدنايا، مرهونة بالحاضر، وكان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن يعلو همتها، قال مؤكدا إيذانا بصعوبة ذلك (ولا تمدنّ) مؤكدا له بالنون الثقيلة (عينيك)، أي لا تطول نظرهما بعد النظرة الأولى المعفو عنها، قاصدا النظر للاستحسان (إلى ما متعنا به)، بما لنا من العظمة التي لا ينقصها"[5].

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 360، الإتقان، ج3، ص 322، معترك القرآن، ج1، ص 55.

[2] برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص 06.

[3] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 68-91.

[4] سورة طه، الآية: 131، 132، 133.

[5] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص 369.

اتجه إلى ربك بالعبادة (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم)، أي: "لا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا يتمتعون بها من زمرة عاجل الدنيا ونضرتها (لنفتنهم فيه)، يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ونبتليهم، فإن ذلك فان زائل، وغرور وخدع تضمحل"[1].

فإنما تمتعهم بها ابتلاء لنفتنهم فيه، فكشف عن معادنهم بسلوكهم مع هذه النعمة، وذلك المتاع هو متاع زائل، كالزهرة سرعان ما تذبل، فما أنت فيه خير مما هم فيه (ورزق ربك خير وأبقى)، "وهو رزق للنعمة، لا للفتنة، ورزق طيب خير باق لا يذبل ولا يخدع"[2].

"وكما أمره بتزكية النفس، أتبعه الإعلام بأن منها تزكية الغير، لأن ذلك أدل على الإخلاص، وأجدر بالخلاص (وأمر أهلك بالصلاة)، ولم يذكر الزكاة لدخولها في التزهيد بالآية التي قبلها، ولما كانت شديدة على النفس عظيمة النفع قال: واصطبر بصيغة الافتعال على فعلها"[3]، فهي في حاجة إلى اصطبار على البلوغ بالصلاة إلى الحد الذي تثمر فيه ثمارها هذه في المشاعر والسلوك.

"ولما كانت النفس بكليتها مصروفة إلى أمر المعاش، كانت تقول: فمن أين يحصل الرزق؟ فقال: (نحن) بنون العظمة (نرزقك) ... فالمتقي لله المقبل على ذكره قانع راضي، فهو في أوسع سعة"[4].

هذه الصلاة والعبادة والاتجاه إلى الله هي تكاليف والله لا ينال منها شيئا، فالله غني عنك، وعن عبادة العباد "ولا نسألك رزقا نحن نرزقك"، فالإنسان هو الرابح بالعبادة في دنياه وأخراه، يعبد فيرضى، ويطمئن ويستريح.

2- المناسبة بين قصص السورة "طه":

القصص القرآني محور أساسي في النص المكي لا المدني، وإن لم يخل القرآني المدني من القصص

[1] الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، ص 234.
[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2357.
[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص 371.
[4] المرجع نفسه، ص 372/371.

القرآني، مثل: سورة البقرة وآل عمران وغيرها، لذا نجد سورة "طه" تنضوي على بعض القصص القرآني لأغراض تتفق مع مقاصد السورة كما يتضح فيما يأتي:

من مقاصد سورة "طه" أنها جاءت في بيان عظمة وأهمية هذا القرآن العظيم، فبدأها سبحانه بقوله لنبيه: "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ "[1]، فبيّن فيه سبحانه أنه لم ينزل هذا الكتاب لشقاوة الخلق، جاء في التحرير والتنوير: "افتتحت السورة بملاطفة النبي ﷺ بأن الله لما يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك، أي تصيبه المشقة ويشده التعب، ولكن أراد أن يذكر بالقرآن من يخاف وعيده"[2]، ووقوع الفعل (أنزلنا) بعد نفي (ما) يستلزم العموم، ويفهم من ذلك نفي وجود أي شقاء متعلق بإنزال القرآن من أي وجه من الوجوه، يقول ابن عاشور: "ووقوع فعل أنزلنا في سياق النفي يقتضي عموم مدلوله لأن الفعل في سياق النفي بمنزلة النكرة في سياقه، وعموم الفعل يستلزم عموم متعلقاته من مفعول ومجرور، فيعم نفي جميع كل إنزال للقرآن فيه شقاء له، ونفي كل شقاء بذلك الإنزال، أي جميع أنواع الشقاء فلا يكون إنزال القرآن سببا في شيء من الشقاء للرسول ﷺ"[3].

ولما نفي وجود شقاء متعلق بإنزال القرآن كان من المناسب أن يذكر الحكمة من إنزال، فقال: "إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ "[4]، والاستثناء منقطع، أي أنه سبحانه لم ينزله إلا للتذكرة كما قال في آخر السورة: "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا "[5]، ولما ذكر الحكمة من الإنزال أراد أن يبين عظمة المنزل، وجاءت الآيات بعد ذلك في بيان عظمة المنزل ليدل على عظمة المنزل وبيان عظمة القائل يعظم القول، ثم ذكر سبحانه قصة موسى مع قومه وبين حكمة ذلك بقوله: "كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا "[6]، "وتتجلى في غضون القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه

[1] سورة طه، الآية: 02.
[2] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 184.
[3] المرجع نفسه، ص 184-185.
[4] سورة طه، الآية: 03.
[5] سورة طه، الآية: 113.
[6] سورة طه، الآية: 99.

على عينه واصطنعه لنفسه"[1]، فقد طمأن الله موسى عليه السلام من الخوف من الحية قال تعالى: "قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ"[2].

وطمأنه من خوفه ألا يفقه فرعون كلامه لعقدة في لسانه بأن أجاب دعوته فانحلت عقدة اللسان، "قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ "[3]، وطمأن الله موسى وأخاه هارون عليهما الصلاة والسلام من خوفهما من فرعون أن يفرط عليهما أو يطغى: "قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ"[4].

وطمأن الله موسى حين أوجس في نفسه خيفة من الحبال التي خيلت إلها أنها ثعابين: "قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ "[5]، وطمأن الله موسى من أن يدركه فرعون: "فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ"[6]. ثم جاء الذم والوعيد للمعرضين عن هذا الكتاب الكريم،"وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرٗا ١٠٠خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا "[7]، والحديث عن أهوال يوم القيامة ليزيد من التفزيع والتخويف في نفوس المعرضين عن القرآن، وذكر تلك الأهوال العظيمة يوقع في نفوس المؤمنين الخوف والرهبة، فأمن وبشر أهل الإيمان ألا يخافوا إذا عملوا صالحا، ثمبين سبحانه الحكمة من ذكر تلك الأهوال بقوله: "وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا "[8]، قال ابن عاشور: "عطف على جملة "كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ "[9]، والغرض واحد وهو التنويه بالقرآن فابتدئ بالتنويه به جزئيا بالتنويه بقصصه، ثم عطف عليه التنويه به كليا على طريقة شبه التذييل لما في قوله: "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا "[10] من معنى عموم ما فيه"[11].

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص 2326.

[2] سورة طه، الآية: 21.

[3] سورة طه، الآية: 36.

[4] سورة طه، الآية: 46

[5] سورة طه، الآية: 68.

[6] سورة طه، الآية: 77.

[7] سورة طه، الآية: 99-100-101.

[8] سورة طه، الآية: 113.

[9] سورة طه، الآية: 99.

[10] سورة طه، الآية: 113.

[11] الطاهر بن عاشور، ج16، ص 313/314.

ثم أثنى سبحانه على نفسه بالقول (الملك الحق)، والملك لأنه ذكر أهوال يوم القيامة فهو ملك يوم القيامة، وثناؤه على نفسه بالحق ليكون كلامه من باب أولى حق، ثم ذكر قصة آدم وما آلت إليه من الهبوط من الجنة لتبدأ رحلة الشقاء في الأرض: "فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ "[1]، ثم أخبره بإتباع هداه ليسعد ولا يشقى ولا يضل، فهذه القصة أيضا تضمنت هدى الله لآدم بأن حذره من الشيطان وذكره بأنه عدوه، وطمأن الله آدم بأن لن يجوع في الجنة ولا يعرى، ولا يظمأ فيها ولا يضحى، وذكر جزاء من يعرض عن ذكره وأي ذكر أعظم من كلامه، ثم بين في آخرها أن أعظم ما أوتيه هؤلاء المكذبون هو هذا القرآن، فهذا أعظم آية بينة من ربه، "وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ "[2]، وكما جاء في قولهم : "فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ "[3]، إشارة ودلالة على أن من أعرض عن هذا القرآن في هذه نهايته ومآله فإن لم يهلك بعذاب كالأمم السابقة فسيعيش في ذل وخزي.

3- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

جاء افتتاحها بقوله تعالى: "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ"[4]، وفي آخرها: "وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَ لَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ"[5]، فهي مفتتحة بذكر القرآن والذكر، ومختتمة به، قال ابن عاشور: "ومن محاسنها (أي خاتمة السورة) أن فيها شبه رد العجز على الصدر، لأنها تنظر إلى فاتحة السورة، وهي قوله: "مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ "[6]، لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلغ كل ما بعث به من الإرشاد

[1] سورة طه، الآية: 117.
[2] سورة طه، الآية: 01.
[3] سورة طه، الآية: 133-134.
[4] سورة طه، الآية:01.
[5] سورة طه، الآية: 133-134.
[6] سورة طه، الآية: 02-03.

والاستدلال، فإذا لم يهتدوا به فكفاه انثلاج صدر أنه أدى الرسالة والتذكرة، فلم يكونوا من أهل الخشية، فتركهم وصلا لهم حتى يتبين لهم أنه الحق"[1].

4- المناسبة بين الآية وفاصلتها:

تأتي الفاصلة في القرآن الكريم في آخر الآية مستقرة في مكانها مترابطة مع موضوع الآية مناسبة له، فيتعلق معناها بمعنى الآية كلها، بحيث لو طرحت لاختل المعنى وشعرنا بالنقص في المعنى، فالقرآن الكريم معجز في أسلوبه، ومن أساليب القرآن المعجزة وتراكيبه المبدعة الكلمات التي تختم بها آياته، وتسمى فواصل القرآن الكريم.

فقد يحدث في هذه المناسبة ما يخالف الأصل للمحافظة على هذا الإيقاع الذي له تأثيره البالغ في النص، ومع ذلك تأخير ما حقه التقديم لنكتة بلاغية أخرى، كتشويق النفس إلى الفاعل في قوله تعالى: "فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰٓ "[2]، لأن الأصل أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول به، لكن أخر الفاعل هنا وهو (موسى)[3]، ليصبح فاصلة ويتناسب في موقفه المتأخر مع المعنى الذي يقتضيه المقام، فالتعبير القرآني أخر شبه الجملة "في نفسه"ليجاور الفعل ثم تلاه مخيفة للإشارة إلى أن الشعور بالخوف ظل كامنا في النفس لم يتجاوزها إلى الظاهر، وهو أمر غاية المناسبة للمقام الذي كان فيه موسى، فالمقام مقام تحدّ يحتاج إلى الثقة التامة لا إلى إظهار الخوف لاسيّما أنه في جانب الحق فاستوجب الأمر أن تكون لديه ثقة كالتي لدى خصومه، ويظهر ذلك جليا في تخييرهم إياه بين أن يلقي أو أن يكونوا هم الملقين فالأمر لديهم سواء، إذ الواثق من نفسه لا يبالي إن كان هو البادئ أو المختتم، بل إنهم أبدوا رغبة في أن يكونوا هم البادئين إمعانا في ثقتهم بأنفسهم وأن النصر حليفهم ويشير إلى ذلك قوله تعالى على لسانهم"...وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ"[4] ، فاستدعى ذلك كله أن

[1] محمّد الطاهر بن عاشور، ج16، ص 349.
[2] سورة طه، الآية: 67.
[3] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 56.
[4] سورة طه، الآية: 65.

يتقدم ما حقه التأخير ويتأخر ما حقه التقديم ليصبح فاصلة ويتناسب في موقعه المتأخر مع المعنى الذي يقتضيه المقام[1]

جاءت فاصلة السورة في جميع الآيات تقريبا مدة الألف، تلك الفاصلة التي لا يخرج عنها إلا الآية الثامنة والسبعون التي تنتهي بكلمة غشيهم، وإلا الآية الرابعة عشرة والآيات من الخامسة والعشرين إلى الثانية والثلاثين والآيتان الحادية والأربعون والثانية والأربعون، والآيات من الخامسة والثمانين إلى السادسة والتسعين(باستثناء الآية التاسعة والثمانين التي تنتهي بفاصلة الألف الممدودة)، وهذه الآيات تنتهي بمدة الياء ما عدا اثنتين منها تنتهيان بياء النسبة وواحدة بمدة الواو. نوجز ذلك في الجدول الآتي:

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة
02	لتشقى	مدة الألف
03	يخشى	مدة الألف
04	العلى	مدة الألف
05	استوى	مدة الألف
06	الثّرى	مدة الألف
07	أخفى	مدة الألف

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص 308.

08	الحسنى	مدة الألف
09	موسى	مدة الألف
10	هدًى	مدة الألف
11	موسى	مدة الألف
12	طوًى	مدة الألف
13	يوحى	مدة الألف
14	لذكري	مدة الياء
15	تسعى	مدة الألف
16	فتردى	مدة الألف
17	موسى	مدة الألف
18	أخرى	مدة الألف
19	موسى	مدة الألف
20	تسعى	مدة الألف

21	الأولى	مدة الألف
22	أخرى	مدة الألف
23	الكبرى	مدة الألف
24	طغى	مدة الألف
25	صدري	مدة الياء
26	أمري	مدة الياء
27	لساني	مدة الياء
28	قولي	مدة الياء
29	أهلي	مدة الياء
30	أخي	مدة الياء
31	أزري	مدة الياء
32	أمري	مدة الياء
33	كثيرًا	مدة الألف

34	كثيرًا	مدة الألف
35	بصيرًا	مدة الألف
36	موسى	مدة الألف
37	أخرى	مدة الألف
38	يوحى	مدة الألف
39	عيني	مدة الألف
40	موسى	مدة الألف
41	نفسي	مدة الياء
42	ذكري	مدة الياء
43	طغى	مدة الألف
44	يخشى	مدة الألف
45	يطغى	مدة الألف
46	أرى	مدة الألف

47	الهدى	مدة الألف
48	تولّى	مدة الألف
49	موسى	مدة الألف
50	هدى	مدة الألف
51	الأولى	مدة الألف
52	ينسى	مدة الألف
53	شتّى	مدة الألف
54	النّهى	مدة الألف
55	أخرى	مدة الألف
56	أبى	مدة الألف
57	موسى	مدة الألف
58	سُوًى	مدة الألف
59	ضُحًى	مدة الألف

60	أتى	مدة الألف
61	افترى	مدة الألف
62	النّجوى	مدة الألف
63	المثلى	مدة الألف
64	استعلى	مدة الألف
65	ألقى	مدة الألف
66	تسعى	مدة الألف
67	موسى	مدة الألف
68	الأعلى	مدة الألف
69	أتى	مدة الألف
70	موسى	مدة الألف
71	أبقى	مدة الألف
72	الدّنيا	مدة الألف

73	أبقى	مدة الألف
74	يحيى	مدة الألف
75	العُلى	مدة الألف
76	تزكّى	مدة الألف
77	تخشى	مدة الألف
78	غشيهم	الميم
79	هُدى	مدة الألف
80	السّلوى	مدة الألف
81	هوى	مدة الألف
82	اهتدى	مدة الألف
83	موسى	مدة الألف
84	ترضى	مدة الألف
85	السامريُّ	مدة الياء

86	موعدي	مدة الياء
88	فنسي	مدة الياء
89	نفعًا	مدة الألف
90	أمري	مدة الياء
91	موسى	مدة الألف
92	ضلوا	مدة الواو
93	أمري	مدة الياء
94	قولي	مدة الياء
96	نفسي	مدة الياء
97	نسفًا	مدة الألف
98	علمًا	مدة الألف
99	ذكرًا	مدة الألف
100	وزرًا	مدة الألف

101	حملاً	مدة الألف
102	زُرقًا	مدة الألف
103	عشرًا	مدة الألف
104	يومًا	مدة الألف
105	نسفًا	مدة الألف
106	صفصفًا	مدة الألف
107	أمتًا	مدة الألف
108	همسًا	مدة الألف
109	قولًا	مدة الألف
110	علمًا	مدة الألف
111	ظلمًا	مدة الألف
112	هضمًا	مدة الألف
113	ذكرًا	مدة الألف

114	علمًا	مدة الألف
115	عزمًا	مدة الألف
116	أبى	مدة الألف
117	فتشقى	مدة الألف
118	تعرى	مدة الألف
119	تضحى	مدة الألف
120	يبلى	مدة الألف
121	فغوى	مدة الألف
122	هدى	مدة الألف
123	يشقى	مدة الألف
124	أعمى	مدة الألف
125	بصيرًا	مدة الألف
126	تنسى	مدة الألف

127	أبقى	مدة الألف
128	النّهى	مدة الألف
129	مسمًّى	مدة الألف
130	ترضى	مدة الألف
131	أبقى	مدة الألف
132	للتقوى	مدة الألف
133	الأولى	مدة الألف
134	نخزى	مدة الألف
135	اهتدى	مدة الألف

نلاحظ أن الفاصلة المنتهية بمدة الألف تنقسم إلى قسمين: القسم الأول بألف غير منونة في ختام فعل أو اسم أو صفة (يخشى، العلى، موسى...)، أما القسم الثاني فينتهي بألف منونة في ختام الأسماء والصفات فقط (علمًا، ظلمًا، بصيرًا ...)، وبوجه عام نجد آيات كل القسمين يتلو بعضها بعضا مثلما تتجاور الآيات المنتهية بفاصلة الياء الممدودة (قولي، أهلي، أخي...).

ليس ذلك فحسب، بل إن ألفاظ الفواصل المتجاورة غير المنونة (فيما عدا فاصلة الألف الممدودة) قد أتت في الغالب على صيغة واحدة ... اسم مفرد على وزن فَعْل مضاف إلى ياء المتكلم[1].وهو ما سنوضحه من خلال الجدول الآتي:

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة	الصيغة
25	صدري	مدة الياء	فَعْل
26	أمري	مدة الياء	فَعْل
28	قولي	مدة الياء	فَعْل
29	أهلي	مدة الياء	فَعْل
32	أمري	مدة الياء	فَعْل
41	نفسي	مدة الياء	فَعْل

ثم إنّ فواصل الآيات الثلاث التي تلي ذلك هي كلها صفة على وزن فعيل (كثيرا، بصيرا)، وكذلك نجد جميع فواصل الآيات من السابعة والتسعين إلى الخامسة عشرة بعد المئة ما عدا آية واحدة (هي الآية السادسة بعد المئة) أسماء ثلاثية (ومرة صفة مجموعة ساكنة الوسط منكرة منونة(نَسْفاً، عِلْمًا، ذِكْرًا، وزْرًا، حمْلًا، زُرْقًا، عشْرًا، يوْمًا...).

[1] إبراهيم عوض: سورة طه، دراسة لغوية أسلوبية مقارنة، 1993،الطائف، ص:25.

وعليه يمكن القول إنّ سورة طه التزمت بفاصلة واحدة، مما جعل الإيقاع الموسيقي للسورة كلها يستطرد في جو رخي وشجي بذلك المد الذاهب مع الألف المقصورة في القافية كلها تقريبا، وهو ما يتناسب مع الجو العام للسورة ليمنحها ظلا خاصا يغمر جوها كله، ظل علوي جليل تخشع له القلوب وتسكن له النفوس، إنه الظل الذي يخلقه تجلي الرحمن على الواد المقدس على عبده موسى، في تلك المناجاة الطويلة والليل الساكن وموسى وحيد، والوجود كله يتجاوب بذلك النجاء الطويل، وهو الظل الذي يخلقة تجلي القيوم في موقف الحشر "وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا".

ثانيا– أنواع المناسبات بين السور:

1– المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

مناسبة هذه السورة لآخر ما قبلها، أنه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم، أي بلغته وكان فيما علل به قوله: "فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا"[1]، أكد ذلك بقوله: "مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ٣"[2]، والتذكرة هي البشارة والنذارة، وإن ما ادعاه المشركون من إنزاله للشقاء ليس كذلك، بل إنما نزل تذكرة[3]، فوجدها مناسبة لما قبلها أن الله سبحانه ختم سورة "مريم" بذكر إنزال القرآن، وأنه بشارة للمتقين، وإنذار للكافرين، وافتتح هذه السورة بالقرآن، وأنه أنزله لسعادته لا لشقاوته.

[1] سورة مريم، الآية: 97.

[2] سورة طه، الآية: 02-03.

[3] محمد بن يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص 212-211.

2- مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما بعدها:

ختم الله سبحانه سورة "طه" بذكر الوعيد: "قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ"[1]، قال مشركو قريش: مُحَمَّد يهددنا بالميعاد، والجزاء وليس بصحيح، وإن صح ففيه بعد، فأنزل الله تعالى: "ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ"[2]، و(اقترب) افتعل بمعنى الفعل المجرد، هو قرب كما تقول ارتقب ورقب، وقيل: هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء، وجعل ذلك اقترابا لأن كل ما هو آت وإن طال وقت انتظاره قريب"[3]، أي اقترب للناس وقت حسابهم، محاسبة الله إياهم ومساءلتهم عن نعمه هل قابلوه بالشكر، وعن أوامره هل امتثلوها وفي نواهيه هل اجتنبوها.

وبناء على النماذج التطبيقية السابقة يتضح دور المناسبة في تحقيق الانسجام بين الآيات والسور، إذ ينظر من خلالها إلى النص بوصفة وحدة متكاملة متماسكة، متجاوزة بذلك النظرة الجزئية التي تقسم النص إلى أجزاء صغيرة لا يتعلق بعضها ببعض.

---

[1] سورة طه، الآية: 135.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 01.

[3] مُحَمَّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص 274.

خاتمة

نهاية البحث استخلاص لنتائجه التي جاءت على الشكل الآتي:

يمثل علم النّص نقلة نوعية في مجال الدّراسات اللّغوية، حيث تحوّل معه اهتمام اللّغويين عن الجملة التي مثلت موضوع الأبحاث اللّغوية منذ أقدم العصور لينصبّ عن النّص، وذلك بعد أن حصل الاقتناع بأنه الوحدة الأساسية التي تتحقق من خلالها الوظيفة التواصلية للّغة، وبعد أن تبيّن بأنه بنية قارة مركبة تقوم على ما بين عناصرها من علاقات وروابط.

كان للعرب والمسلمين إسهاما مباشرا وغير مباشر في الثقافة العربية والإسلامية محاولة للإجابة عن سؤال أين يكمن الإعجاز في القرآن الكريم إلا أن ما قدمه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، بالإضافة إلى علم المناسبات عند كل من السيوطي والبقاعي والزركشي إنما هو من صميم ما تدرسه اللسانيات الحديثة، ما يؤكد تقاطع بعض نتائج تلك الدراسات الغربية بما عرفه التراث العربي الإسلامي غير أنها بقيت مشتتة ومتناثرة عير مختلف التخصصات: الفقه، التفسير، النحو، النقد وغيرها، في حين اتخذت الجهود الغربية صبغة علمية عالمية.

إنّ الاتساق والانسجام من أهم المقاييس النصية التي تميز بين النص واللانص يمكن دراستهما والبحث فيهما بمنهج لساني يتجاوز حدود الجملة إلى النص كله، فالاتساق يتحقق في ظاهر النص بالنظر في الأدوات الشكلية والروابط النصية التي تساهم في تعالق الأجزاء والوحدات المختلفة للنص عن طريق الإحالة والعطف والتكرار والحذف ...أما الانسجام فهو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق التماسك الدلالي بالاعتماد على عناصر غير نصية من خلال السياق والتغريض والمناسبة.

لقد أسهمت أدوات عدة في التماسك النّصي لسورة طه كان أبرزها الإحالة بنوعيها القبلية والبعدية، وقد كان منها ما يخص السورة بأكملها، فعمل على اتساق مقاطع السورة بعضها ببعض، وكان منها ما عمل على تماسك مقاطع معينة أو داخل قصة أو مقطع معين، وكان الضمير الإحالي الأكثر حضورًا.

كذلك تميزت سورة طه بالتكرار بمختلف أنواعه مما منح لها خصوصية، حيث إن تكرار الكلمات المحورية يساهم في اتساق العبارات والآيات ووحدات السورة.

ومن الأدوات التي ساهمت في اتساق السورة أيضا الحذف لكون سورة طه قد غلب عليها الطابع القصصي، فإن ذلك يؤدي إلى حذف مقاطع قصصية، وكان الحذف الاسمي الأكثر بروزا من بداية السورة إلى نهايتها مما أدى إلى اتساق السورة ككل عن طريق إثارة الذهن لملأ الفراغات وتقدير المحذوف، حيث إن تقدير المحذوف فيه تكرار معنوي للمذكور كما أن هناك رابطا بين المحذوف وما يدل عليه.

بالإضافة إلى العطف الذي لا يتوقف دوره على الربط بين الكلمات والجمل المتقاربة والعبارات، بل يتعداه إلى تحقيق الاتساق النصي في سورة طه فشكل وحدة متماسكة آخذ أولها بآخرها والسابق باللاحق.

ساهم الاستبدال في الربط بين أجزاء السورة، حيث لاحظنا طغيان الاستبدال الاسمي من بداية السورة إلى نهايتها مع غياب كلي للاستبدال الفعلي والجملة، ما أدى إلى اتساقها.فالاستبدال ليس مجرد وسيلة أو علاقة نحوية معجمية فقط بل لتحقيق علاقة دلالية كذلك، ومن الوسائل التي تستخدم لتجنب تكرار التعبير نفسه مع تحقيق الاستمرارية التي تمثل الغاية والمضمون في اتساق النص.

أما الانسجام النصي فقد ساهمت عدة آليات في تحققه أهمها:

يعد السياق أهم وسيلة يتحقق بها انسجام النص القرآني، لأنه لا يمكن فهم أي نص مهما تحقق فيه من بقية المعايير الأخرى دون تحقق معيار السياق، فالسياق النصي للسورة وللآية والمقطع ساهم في التماسك الدلالي بسورة طه.

مبدأ التغريض، السورة تبدأ من اسمها ثم مقدمتها ثم مضمونها ثم خاتمتها ، وذلك كله عبر آيات متعددة الفواصل، فعنوان النص أول ما يواجهه متلقي النص أو محلله ومن ثم فهو يحتل مكانة عالية في التحليل النصي، فالنص قد يكون مكملا للعنوان أو موضحا له ولا شك في أنه يكون مفصلا للإجمال الكائن فيه وكذلك اسم السورة "طه" ومن ثم لا يحتاج إثبات المناسبة بين اسم السورة ومضمونها إلى تأويلات كثيرة ، وهذا النمط يمثل أشهر الأنماط تحقيقا للانسجام النصي.

وآخر وسيلة من وسائل الانسجام التي تطرق إليها البحث هي المناسبة بمختلف أنواعها، سورة طه تدور حول مجموعة من المقاصد الفرعية وهذه المقاصد الفرعية يجمعها موضوع رئيس واحد

وهو قضية التوحيد –شأن القرآن الكريم والسور المكية – والإتباع، ويظهر هذا الموضوع من خلال تجسيد الصراع الدائم بين الحق والباطل، وكيف أن الباطل يؤدي إلى الفساد في الأرض لعدم توحيده لله، وعدم إتباعه لهدي الرسل وفي القصص كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في سورة "طه" يظهر لنا الصراع بين الخير والشر وبيان كيد ابليس لآدم وذريته، فهذه القصص بينها مناسبة وتربطها وشائج قوية تخدم المحور الرئيس للسورة ومقررة لحقيقة الصراع بين الحق والباطل ومن ثم تحقق الانسجام النصي في سورة "طه" من خلال التناسب بين القصص القرآني . بالإضافة إلى المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها، فكانت افتتاحية السورة مقدمة وخاتمتها تلخيصا لما عرض في سورة "طه"، وكما لبراعة الاستهلال في المقدمة أثرا في جذب اهتمام السامع فإن لخاتمة السورة وقعا حسنا في النفس لا يقل عن براعة الاستهلال، حيث افتتحت سورة"طه" بملاطفة الرسول صل الله عليه وسلم (ما أنزلنا عليك القرآن ليؤدي إلى شقائك به أو بسببه)، واختتمت بتسلية الرسول صل الله عليه وسلم عن إعراض المعرضين وتكذيب المكذبين، فلا يشقى بهم فلهم أجل معلوم. وبذلك كانت المناسبة عاملا مهما في الربط بين أجزاء ووحدات النص المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر والمراجع

أ) – الكتب العربية:

1. **إبراهيم خليل**: في نظرية الأدب وعلم النص، بحوث وقراءات، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.
2. **إبراهيم عوض**: سورة طه، دراسة لغوية أسلوبية مقارنة، الطائف، 1993.
3. **أحمد عفيفي** نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001.
4. الإحالة في نحو النص، جامعة القاهرة .
5. **أحمد مختار عمر**: علم الدلالة،ط5، عالم الكتب، القاهرة.
6. **الأزهر الزناد**: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.
7. **الاستراباضي رضي الدين**: شرح كافية ابن الحاجب، هجر للطباعة والنشر، 1993.
8. **إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي** الموافقات، ضبط نصه: أبو عبيدة مشهور، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1997.
9. الاعتصام، تح: سليم بن عيد الهلالي، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1992.
10. **اسماعيل بن عمر بن كثير**: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن مُحَمَّد السلامة، دار طيبة، ط2، 1999.
11. **أشرف عبد البديع عبد الكريم**: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008.
12. **إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد**: مدخل إلى علم لغة النص، مطبعة دار الكاتب، ط1، 1992.

13. **أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن**: مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، بيروت، 2006.

14. **الباقلاني القاضي أبو بكر بن الطيب** الانتصار للقرآن، تح: مُحَمَّد عصام القضاة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2001.

15. التمهيد، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957.

16. إعجاز القرآن: تح: السيد صقر، دار المعارف، مصر.

17. **بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي** :البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفصل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006.

18. البحر المحيط في أصول الفقه، دار الصفوة، 1992.

19. **برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي**: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984.

20. **تمّام حسّان**: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة المغرب، د ط، 1994م.

21. **الجاحظ**: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

22. الحيوان، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر.

23. **جعفر بن جرير الطبري**: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرشاني، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.

24. **جلال الدين السيوطي** الإتقان في علوم القرآن، تح: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1988.

25. معترك الأقران، ط 1، دار الكتب العلمية، 1988.

26. **جميل عبد المجيد**: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998.

27. **حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي**: المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ.

28. **حسام البهنساوي**: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث.

29. **الحسن حازم القرطاجني**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الدار العربية للكتاب، تونس.

30. **الحسن علي بن أحمد الواحدي**: أسباب النزول، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991.

31. **خليل بن ياسر البطاشي**: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير، عمان، 2009.

32. **رابح دوب**: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع هجري، ط2، دار الفجر، القاهرة، 1999.

33. **سعد مصلوح**: نحو آجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، فصول مصر، 1991.

34. **سعيد حسن بحيري** :علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997.

35. إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2008.

36. **سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر**: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988..

37. **سيد قطب**: في ظلال القرآن، دار الشروق،ط32، 2003.

38. **صبحي إبراهيم الفقي**: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000.

39. **صلاح فضل**: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، عالم المعرفة، الكويت، 1992.

40. **طاهر سليمان حمودة**: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998.

41. **طه عبد الرحمن**: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007.

42. **العباس مُحَمَّد بن يزيد المربد**: المقتضب، تح: مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1994.

43. **عبد السلام المسدي**: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986.

44. مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، 2010.

45. **عبد العزيز حمودة**: المرايا المقعرة، عالم المعرفة، الكويت، 2001.

46. **عبد القاهر الجرجاني** أسرار البلاغة، تعليق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي شرف، ط3، مكتبة القاهرة، مصر، 1979.

47. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح: مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد محمود الشنقيطي، تعليق: مُحَمَّد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، لبنان.

48. **عبد الله بن مسلم بن قتيبة**: تأويل القرآن، تحقيق ونشر: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط3، المدينة المنورة، 1971.

49. **عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي**: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، لبنان، 2006.

50. **عبد الملك بن هشام**: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

51. **عثمان بن جني**: الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

52. **عفت الشرقاوي**: بلاغة العطف في القرآن، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، 1981.

53. **علي بن حزم الأندلسي**: رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1983.

54. **عمر مُحَمَّد أبو خرمة** :نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004.

55. **مُحَمَّد أحمد بن طباطبا العلوي**: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.

56. **مُحَمَّد الأخضر الصبيحي**: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008.

57. **مُحَمَّد الأمين بن الجكني الشنقيطي**: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد.

58. **مُحَمَّد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر**: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981.

59. **مُحَمَّد الطاهر بن عاشور**: تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية، 1984.

60. **مُحَمَّد العمري**: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ط2، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.

61. **مُحَمَّد بن إدريس الشافعي**: الرسالة، تح: أحمد مُحَمَّد شاكر.

62. **مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي أبو حامد**: المنخول في تعليقات الأصول، د.ط، د.ت.

63. **مُحَمَّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي**: تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.

64. **مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف**: بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، 2003.

65. **مُحَمَّد خطابي**: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي الغربي، بيروت، 2006.

66. **مُحَمَّد زغلول سلام**: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع هجري، ط1، مكتبة الشباب.

67. **مُحَمَّد عزام**: النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2001.

68. **مُحَمَّد مفتاح**: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986.

69. دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الرباط، 1987.

70. **مصطفى مسلم**: مباحث في التفسير الموضوعي، ط3، دار القلم، بيروت، 2000.

71. **منذر عياشي**: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1 مركز الإنماء الحضاري، 2002.

72. العلامتية وعلم النص، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004.

73. **موفق الدين بن يعيش**: شرح المفصل،ج1، دار الطباعة المنيرية، مصر.

74. **نهلة فيصل الأحمد**: التفاعل النصي: التناصية، النظرية والمنهج، ط1، شركة الأمل، القاهرة، 2010.

الكتب المترجمة:

75. **آن روبول جاك موشلار**: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومُحَمَّد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2003.

76. **جوليا كريستيفا**: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، 1997.

77. **جيليان براون وجورج يول**: تحليل الخطاب، تر: مُحَمَّد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، السعودية.

78. **زتسيسلاف وآورزيناك**: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2003.

79. **فان دايك**: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: ع القادر قنين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

80. علم النص، مدخل متداخل التخصصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001.

81. **فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر**: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، المملكة العربية السعودية، 1999.

82. **كلاوس برينكر**: التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005.

ت –المعـاجـم:

83. **جمال الدين بن منظور**: لسان العرب، دار خليل، بيروت، مج 6، 1988.

84. **فارس بن زكريا أبو الحسين أحمد**: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مج 5، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

85. **الفيروز آبادي**: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج2، 1995.

86. **مجمع اللغة العربية**: المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطنبول ، 1989.

ث–المصادر الأجنبية:

87. **Jeans Dubois et autres** : Dictionnaire de linguistique et de science du language, Larousse, Paris, 2001

88. **Leonard Bloomfield** language, London.1973

ج– الرسائل الجامعية:

89. **فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي**: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة جامعة أم القرى، مكة،2005 .

90. **مُحَمَّد أحمد أبو لبن**: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية على جزء تبارك، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011.

91. **هاني مُحَمَّد محمود أبو شنب**: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية لسورتي يونس وهود، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة،2009.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
إهداء	
مقدمة	أ- ث
مدخل: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص	02
أولا- مفهوم الجملة.	10
ثانيا- مفهوم النص.	14
ثالثا- مفهوم نحو النص	33
الفصل الأول: الدراسات النصية في التراث العربي	37
1- التراث اللغوي	40
أ- النظرة البلاغية.	40
أ-1- ابن قتيبة ... بداية البحث في الانسجام	40
أ-2- الباقلاني ... النظرة الشمولية.	42
ب- النظرة النحوية.	48
ب-1- الجرجاني ... النظم ... التعليق.	48
2- التراث النقدي.	68
2-أ- الجاحظ ... التحام الأجزاء.	68

العنوان	الصفحة
2-ب- ابن طباطبا ... ضرورة التماسك.	70
2-ت- حازم القرطاجني ... التماسك النصي.	72
3-التراث الأصولي...الشاطبي	77
- التراث الديني.	78
أ- علم التفسير.	79
أ-1- الطبري ... مسألة الربط بين الجمل.	80
أ-2- البقاعي ... تناسب الآيات والسور.	83
ب- علوم القرآن، الزركشي والسيوطي ... التنظير لعلم المناسبات	88
الفصل الثاني: الاتساق والانسجام المفهوم والآليات	99
أولا- الاتساق:	102
- لغة.	102
- اصطلاحا.	104
مفهوم الاتساق في الموروث العربي.	107
ثانيا- آليات الاتساق:	111

العنوان	الصفحة
1- الاتساق النحوي	111
أ- الإحالة	112
ب- الاستبدال	117
ت- الحذف	118
ث- الوصل	121
2- الاتساق المعجمي	122
أ- التكرار	122
ب- التضام	125
ثانيا- الانسجام	126
- لغة.	126
- اصطلاحا.	127
العلاقات الدلالية التي تؤدي إلى انسجام النص	127
I. أبعاد الانسجام عند فان دايك	130
II. الانسجام من منظور ج يول G. Yulوبراون G Brown	137

العنوان	الصفحة
مبادئ الانسجام	139
السياق	139
مبدأ التأويل المحلي	140
مبدأ التشابه	140
التغريض	142
علم المناسبة	144
الفصل الثالث:الاتساق والانسجام في سورة طه	146
- في رحاب سورة "طه	148
أولا: الاتساق في سورة "طه"	149
1. التكرار	150
2. المصاحبة اللغوية / التضام	162
3. الحذف	175
4. الإحالة	193
5. العطف	224
6. الاستبدال	234

العنوان	الصفحة
ثانيا:الانسجام لنصي في سورة "طه"	238
1- السياق	238
2- مبدأ التشابه في سورة "طه	242
3- التغريض في سورة "طه"	243
4- المناسبة في سورة "طه"	246
خاتمة	268
قائمة المصادر والمراجع	272
فهرس الموضوعات	281

ملخص:

يعد علم لسانيات النص علما جديدا يبحث في تماسك النصوص وتعالقها، حتى يكون وحدة كلية تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة، حيث تميز هذا العلم بحداثته وتنوع موضوعاته، فقد ظهرت العديد من المصطلحات، ومن أهم المفاهيم التي عنيت بها لسانيات النص مفهوما الاتساق والانسجام، فالاتساق يهتم بالقضايا التي تجعل النص متماسكا فتبحث في النص عن التماسك النحوي و الصوتي والمعجمي، أما الانسجام فهو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق التماسك الدلالي فالباحث يجب عليه الاعتماد على عناصر غير نصية، حيث يكشف الترابط من خلال السياق ومعرفة البنية الخطابية والتغريض والمناسبة بين المقاطع، وقد وقع اختياري لسورة من سور القرآن الكريم وهي سورة طه لتكون مجالا تطبيقيا.

كلمات مفتاحية:لسانيات النص، النص، الاتساق، الانسجام.

Résumé :

La linguistique textuelle est une science moderne qui tend à chercher la cohésion et la cohérence des textes pour que ces derniers constituent un bloc uni qui sert à atteindre des objectifs précis, et ce dans les cas communicationnels bien détermines.

Cette science est moderne, se caractérisant par la diversité de ses sujets, c'est pour cette raison que plusieurs concepts terminologiques sont apparus et qui seront par la suite des pistes de recherches de la linguistique textuelle (la cohésion et la cohérence) alors que la cohésion s'intéresse aux éléments qui font du texte un ensemble cohérent sur les plans grammatical, phonologique et encyclopédique, la cohérence est l'ensemble des relations tacites qui vise l'unification sémantique, le chercheur doit se baser sur des éléments extratextuels afin de pouvoir découvrir les liens, et ce suite au contexte de production pour connaitre la structure discursive pour des fins cohésives entre les parties.

Nous avons choisi une des sourates du saint coran : sourate - Taha–pour la partie pratique.

Mots clés : La linguistique textuelle. Le Texte. la cohésion. la cohérence.